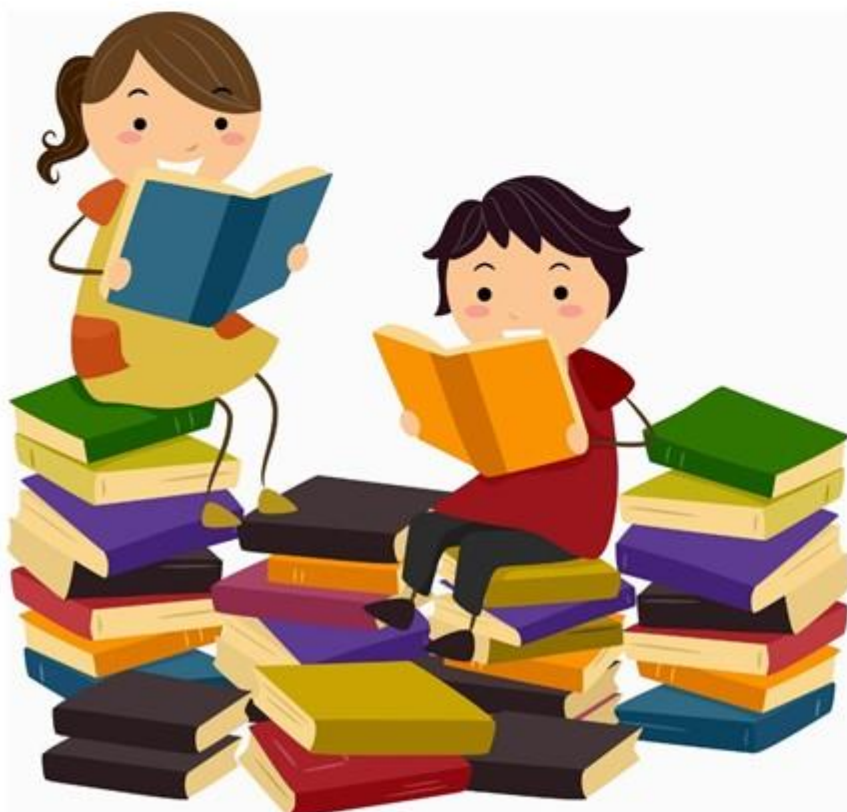


الفصول الأربعة

مجلة فكرية ثقافية تصدر مرة كل ثلاثة أشهر عن رابطة الأدباء والكتاب الليبيين

ملف العدد: واقع أدب الطفل في ليبيا



أنسنة الحيوان في قصص خليفة حسين مصطفى

أدب الاطفال بين التدمير أو التطوير

الشاعر عاشور الطويبى والإنصات إلى هسيس الطبيعة والكائنات

عن الحضارة والجنون بلسان: ميشال فوكو

العدد 133

السنة 34 أبريل – ربيع 2022



العدد: 133
السنة 34
أبريل – ربيع
2022م

للمراسلة:
البريد الإلكتروني:
alfosool.al4@gmail.com

الفصول الأربعة

مجلة فكرية ثقافية
تصدر مرة كل ثلاث أشهر عن رابطة الأدباء والكتاب الليبيين
دولة ليبيا



في هذا العدد

في هذا العدد

إبداعات الشعر:

متابعات:

ختامها مسك:

تنويه:

- المواد التي تنشرها المجلة تعبر عن آراء أصحابها.
- المواد الواردة إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- يخضع ترتيب المواد لاعتبارات فنية بحتة.
- لا تقبل صورة عن المادة المقدمة للمجلة، بل المخطوط الأصل.
- مواعيد نشر المواد المجازة يخضع لخطة التحرير.

شروط النشر بمجلة الفصول الأربعة:

طبيعة المجلة: فكرية ثقافية.

1- أن يكون المقال أو البحث من إعداد الكاتب نفسه.

2- ألا يكون تم نشره في مجلات تشبه طبيعة النشر في مجلة الفصول الأربعة، أو تم تداوله إلكترونياً..

3- توفر شروط المقال من الناحية اللغوية والفنية. وألا يتعدى حجم المقال 5 صفحات (A4)، بحجم خط 14، بمسافات مفردة.

4- توفر شروط البحث العلمي في كل بحث مرسل إلى المجلة. وألا يتعدى حجم البحث 10 صفحات (A4)، بحجم خط 14، بمسافات مفردة.

5- في خصوص الترجمات، لابد من بيان اسم وسيرة الكاتب المترجم له.

6- النصوص الإبداعية، من شعر وقصة، أو نص مفتوح، هي نصوص مخصصة للنشر بالمجلة، ولم تنشر سابقاً، على ألا يتعدى حجم النص الشعري صفحتان (A4)، بحجم خط 14، بمسافات مفردة، وألا يتعدى حجم النص القصصي، أو النص المفتوح 3 صفحات (A4)، بحجم خط 14، بمسافات مفردة.

7- للمجلة الحق في نشر أو عدم نشر المادة المرسلة إليها، مع إبداء الأسباب لصاحب العمل من أجل التوضيح.

8- ترسل المواد على إيميل المجلة: alfosool.al4@gmail.com

كلمة الفصول

- كنت طفلاً يحب القراءة – رامز رمضان النويصري

كنت طفلاً يحب القراءة

رامز رمضان النويصري

أهمية أدب الطفل

كثيرة هي الدراسات والبحوث التي تتناول أهمية أدب الطفل، أو الكتابة الأدبية الموجهة للأطفال. حيث يمكن لأدب الأطفال أن يعدهم للحياة في عالم الغد بما يحمل من متغيرات اجتماعية وعلمية وتكنولوجياته.

فأدب الأطفال العام والخاص بألوانه المختلفة، يقدم هنا خدمة للحياة في مناخ المستقبل: المادة المعرفية والمعلومات والمهارات والقيم، وهو ما يعين الأطفال على التكيف مع المستقبل، والتحلي بالمرونة، والتفكير العلمي، والقدرات الابتكارية والإبداعية اللازمة لمواجهة المتغيرات الجديدة.

والأدب يوسع خيال الأطفال ومداركهم من خلال متابعتهم للشخصيات القصصية، أو من خلال قراءاتهم الشعرية أو من خلال رؤيتهم للممثلين والصور المعبرة. كما أن الأدب يهذب وجدان الأطفال لما يثير فيهم من العواطف الإنسانية النبيلة، ومن خلال مواقف شخصيات القصة أو المسرحية التي يقرأها الطفل أو يسمعها أو يراها ممثلة فيندمج مع شخصياتها ويتفاعل معها.

وبالإضافة إلى ذلك؛ فالأدب يعود الأطفال على حسن الإصغاء، وتركيز الانتباه لما تفرض عليه القصة المسموعة، على سبيل المثال، من متابعة لأحداثها فتغريه بمعرفة النتيجة التي ستصل إليها الأحداث، ويعوده الجرأة في القول، ويهذب أذواقهم الأدبية، كما أنه يمتعهم ويجدد نشاطهم ويتيح فرصا لاكتشاف الموهوبين منهم.

ويعزز من غرس الروح العلمية وحب الاكتشاف وكذلك الروح الوطنية لديهم، كما أنه يوجه الأطفال إلى نوع معين من التعليم الذي تحتاجه الأمة في تخطيطها كالتعليم الزراعي، والصناعي، بإظهار مزايا هذا النوع من خلال سلوك محبب لأصحاب مثل هذه المهن.

أما أهم ما يجعل هذا الأدب مهما من وجهة نظري، هو أنه يشكل العتبة والأساس لدخول الطفل عالم القراءة والاطلاع، مما يعينه مستقبلا على الوصول للمعلومة والتحقق منها.

كنت طفلا يحب يقرأ!

ومازلت طفلاً كبيراً يحب يقرأ!! وأحاول أن تكون القراءة جزء من روتيني اليومي، لكن ماذا عن أولادي! الذين ولدوا في عصر ألعاب الفيديو والسوشيال ميديا! والذين تعد الأجهزة الإلكترونية جزءًا مهماً من تكوينهم الثقافي والمعرفي!؟

قد أكون نجحت على المستوى الشخصي من جعل القراءة مكونا أساسياً في تربيتي لأولادي، من خلال جلسات القراءة الجماعية أو اطلاعهم الشخصي كل حسب هواه، على ما تحتويه مكتبتنا، من قصص للأطفال والمجلات المصورة، والقصص البوليسية.

لكن ما لم أنجح فيه هو توفير المزيد من الكتب للقراءة!

نعم! وخاصة قصص ومجلات الأطفال؟ والسبب هو عدم وصول مجلات الأطفال أو كتب الأطفال والقصص بشكل منتظم إلي ليبيا، وهي حتى وإن وجدت فهي إما غالية أو ذات محتوى لا يخدم الأهداف التربوية التي نعمل كأسرة على تأسيسها في أطفالنا**!**

عندما كنت في عمر أكبر أبنائي، كانت هناك أكثر من مجلة للطفل تصل المكتبة الليبية، ومن بلدان عربية؛ كلبنان، تونس، الكويت، الإمارات، إضافة إلى مجلة الأمل.

كما إن قصص الكاتب الكبير "يوسف الشريف" كانت متوفرة في أكشاك بيع الصحف والمجلات، ولاحقا صرت أحصل عليها من المكتبات، أو أطالعها في مكتبة المدرسة خلال حصة المكتبة، والتي كانت حصة أسبوعية تُفرد لها كراسة لكتابة الكتب التي نطالعها ومعها ملخص أو اقتباس لما نقرأ.

ومنذ فترة لم تعد المكتبة جزء مهما من العملية التعليمية والتربوية في مدارسنا، ولم تعد تصل مجلات الطفل كسابق عهدها إلى بلادنا، كما إن مجلة الأمل، غير منتظمة في الصدور، أما قصص الأطفال والكتب الموجهة لهم إما كتب تجارية أو كتب تحتاج إلى ميزانية موازية لاقتنائها**!!**

• • •

عتبات لحل المشكلة!

إن حل هذه المشكلة، لا يتمثل في توفير ما يحتاجه الطفل من مجلات وقصص، من خلال توفير الدعم المالي فقط:

-إنما يتوجب أن يكون هناك عمل على مستوى الدولة؛ من خلال وزاراتها المختصة للنهوض بأدب الطفل، والاهتمام به، في أن يتحول هذا الأدب لمشروع وطني هدفه النهوض بثقافة المجتمع من خلال أدب الطفل لبناء جيل واع وقادر على النهوض بالبلاد.

-كما إن دعم الأدباء والكتاب، ممن يقومون على الكتابة للطفل، مهم في الرفع من مستوى إنتاجهم ثقافياً ومعرفياً، خاصة فيما يتعلق بالموسوعات العلمية التي نفتقدها بشكل كبير.

-الاهتمام بالإنتاج الليبي الخاص بالأطفال وإحيائه في مختلف الأجناس الإبداعية، وإعادة نشره وتوزيعه بشكل موسع.

-الدفع باتجاه العمل على تطوير التراث الثقافي بما يخدم بناء الدولة ومؤسساتها والرفع من إنتاجية الفرد.

-الاهتمام بإنشاء المكتبات العامة والمساحات المخصصة للقراءة؛ الخاصة بالطفل، بشكل أفقي، ثم العمل على وضع البرامج والخطط للنهوض بدورها في المجتمع.

-جعل المكتبة جزءًا أساسيا من كل مدرسة، وضمن خطة المنهج التعليمي للمرحلة الأساسية لما لها من أثر ودافع مهم في التربية والتعليم.

ختامًا

من المهم النظر إلى أدب الأطفال بالكثير من الاهتمام، ومنحه جزء مهما من اشتغالنا الثقافي والإبداعي، لما له من أثر مهم في بناء الوطن، ومنح المجتمع الفرصة لتغيير الكثير مما يفسده ويعرقل مسيرته نحو الاستقرار والثبات على خط النهوض والتطور.



المــلـــــف

- أنسنة الحيوان في قصص خليفة حسين مصطفى – حنان الصغير أبوالقاسم
- أدب الطفل في ليبيا – امراجع السحاتي
- أدب الطفل في ليبيا (مقدمة تاريخية) - اشتيوية حسين بن محمود
- الحكاية الشعبية.. أدب ثري لترسيخ الذاكرة الوطنية – د.سكينة بن عامر
- الموضوعات والأفكار في أدب الأطفال الليبي – أ.د.فريدة المصري
- أدب الاطفال بين التدمير أو التطوير – أمال الهنقاري
- استطلاع الملف: طفل اليوم ليس بطفل الأمس / قليلون نجحوا في كسب ود الطفل

رابطة الأدباء والكتاب الليبيين



مجلة الفصول الأربعة

ملف العدد 133 – أبريل 2022م

واقع أدب الطفل في ليبيا

أدب الطفل هو الأدب المخصص للصغار، فيفيدهم من خلال نقل المعلومة بقالب من المتعة والتسلية، وهو أدب فيه الكثير من الاختلاف والتنوع سواء في التقديم أو العرض. في هذا العدد نطرح للنقاش تجربة أدب الطفل في ليبيا، محاولة منا للوقوف على واقع هذا الأدب في تجربتنا الإبداعية الليبية، ومكاننا على خاطرة أدب الطفل عربياً وعالمياً.

في هذا الملف سنناقش المحاور الآتية:

التجارب الليبية في أدب الطفل.
مشكلات وتحديات الكتابة للطفل.
أدب الطفل التنوع والاختلاف.
أدب الطفل بين التخصص والعموم.
آليات الرقي بأدب الطفل الليبي.
الاستفادة من التجارب العربية والعالمية.

تستقبل المشاركات على بريد المجلة الإلكتروني
alfosool.al4@gmail.com
حتى تاريخ 15 فبراير 2022م

أنسنة الحيوان
في قصص خليفة حسين مصطفى

د. حنان الصغير أبوالقاسم

الملخص

إن الاهتمام بأدب الأطفال من أقوى السبل لتعريف الصغار الحياة بأبعادها في الماضي والحاضر والمستقبل، حيث يستطيع أن يبث القيم في نفوس الصغار؛ لأنه أول نوع من الإنتاج الفكري الذي يتعرض له الطفل في حياته، وتتوقف علاقته المستقبلية بالكتب والقراءة على انطباعه وتأثره بالكتب التي يصادفها في طفولته، ومن أشهر من كتب للطفل في ليبيا الكاتب / خليفة حسين مصطفى الذي ولد عام 1944م بطرابلس وانتقل إلى رحمة الله تعالى بعد صراع طويل مع المرض عام 2008م.

ومن أكثر ما يميز أدب الأطفال قصص الحيوان ذات البُعد الأساسي في الحضارة الإنسانيّة حيث اتخذت الشعوب القديمة منها رموزًا، في محاولة منها للربط بين ظواهر الحياة نفسها، وفي العصر الحديث عمل الأدباء على توظيف القصص التي تقوم فيها الطيور والحيوانات والزواحف بما يقوم به الأطفال والكبار من أعمال تفسر جوانب من الحياة، يمكن أن يتعلموا منها بعض آداب السلوك في التأهيل والإعداد، لا تتوقف الأنسنة على الحيوان، فكل جماد ونبات مألوف يمكن أنسنته ومحاكاة حركته وشكل تكوينه، وتقليد صوته من الريح والماء والشجر، وكل ما يألفه الطفل كالريح وصليل الحلي وخرير الجداول، إن من طبيعة الطفل أن يضفي الحياة على الكائنات الحية الأخرى والجوامد ويمنحها القدرة على التفكير، والقدرة على العمل، فمن النادر أن يوجد طفل لم يفكر في تَقمُّص حيوان أو جماد في ألعابه، كأن يركب العصا ويعاملها معاملة الحصان، أو يحتضن الوسادة أو الدمية أو الكرة ويتحدث إليها على أنها عاقلة، ومن النادر أيضًا أن يوجد كاتب للأطفال لم يدخل رحاب الأنسنة فيستنطق الموجودات نتيجة تأثرات أو تطلعات أو استجابات عاطفية وجدانية، سواء أكان ذلك الحيوان أم النبات أم الجماد.

ففي ليبيا يوجد العديد من الكتاب الليبيين الذين كتبوا قصص جرت وقائعها على لسان الحيوان. ومنهم الكاتب "خليفة حسين مصطفي" الذي كتب مجموعة من القصص الرمزية (سنابل)، والتي تهدف من خلال أحداثها وسياقها الحكائي إلى زرع القيم النبيلة في نفوس الأطفال، وهي القيم التي اكتسبتها الأمة العربية على مدى عصور متعاقبة، وهي التسامح والتعاون والعمل والتفاني فيه، ومد يد المساعدة إلى الآخرين والتمسك بالصدق والأمانة والاستعداد دومًا للتضحية من أجل المثل السامية وسعادة البشر.

المقدمة :

إنَّ الأطفال هم ذخيرة الأمم وعزَّها المأمول، وقد نبَّه العلماء إلى ضرورة الاهتمام بثقافة الأطفال وكتبهم وقراءتهم ومكتباتهم وبرامجهم كبداية وخطوة أولى على طريق خلق جيل واعٍ مثقف.

لذا كان الاهتمام بأدب الأطفال حيث إنه من أقوى السبل لتعريف الصغار الحياة بأبعادها في الماضي والحاضر والمستقبل، يستطيع أن يبث القيم في نفوس الصغار حيث أنه أول نوع من الإنتاج الفكري الذي يتعرض له الطفل في حياته، وتتوقف علاقته المستقبلية بالكتب والقراءة على انطباعه وتأثره بالكتب التي يصادفها في طفولته.

ومن هنا فإن محاولة استظهار أدب الأطفال المكتوب، وبيان مميزات بعضه وهي من أهم الواجبات التي تلح على الباحثين بأن يجعلوها محط اهتمامهم، ولعل عناية أكثر الدارسين بشَغْل الأطفال أكثر من عنايتهم بالقصص الهادفة ظاهرة بارزة، على مستوى ليبيا والوطن العربي.

التعريف بالكاتب :

مولده:

ولد خليفة حسين مصطفي عام 1944م بطرابلس (1)، عاش في أسرة متوسطة الحال ثم ذهب إلى المدرسة كغيره من الأطفال، يعتبر ما أخذه من المدرسة ليس إلا نتفًا صغيرة من المعلومات، وبعض الدروس الأخلاقية، التي لا تصح في الغالب، إلاَّ لصنع إنسان عادي، وعند انتهائه من المرحلة الإعدادية عمل بالتدريس وواصل تعليمه، وتحصَّل على دبلوم في اللغة العربية من معهد المعلمين بالانتساب ثُمَّ واصل تعليمه المسائي وتحصل على الشهادة الثانوية سنة 1969م، بالإضافة إلى عمله كمدرس في الفترة الصباحية.

في هذه الفترة كتب أول قصة قصيرة، وكان ذلك في سنة 1969م، وبعض المقالات القصيرة ثُمَّ انتسب إلى جامعة قاريونس، حيث درس التاريخ وتخرج سنة 1974م،

بدأ تكوينه الثقافي مع القصص البوليسية وبعض الروايات لمحمد عبد الحكيم عبد الله، وإحسان عبد القدوس ويوسف السباعي.

نُشِر أول نتاجه الأدبي بمجلة الإذاعة، ثُمَّ في الأسبوع السياسي، وكذلك في الأسبوع الثقافي والوحدة والبلاغ اللبنانية.

كما صدرت له مجموعة من الروايات الأدبية من بينها: المطر وخيول الطين 1981م، عين الشمس 1983م، جرح الوردة 1984م، عرس الخريف 1986م، آخر الطريق 1986، الجريمة 1993م.(2)

كما صدرت له مجموعات من الأعمال القصصية للأطفال من بينها: "سلسلة قصص الجهاد" التي تتكون من اثني عشر جزءًا، كل جزء يمثل قصة متكاملة من حيث المضمون والتكوين الفني والتي تضمنت: "الصهيل الأخير، المعركة والغزالة، الجرادة، الحزن والغضب السوط والجراح، العُرس لكنه لم يعد الرصاص لا ينتظر، أم السعد في رحلة الحرب، الرجل الذي فقد حذاءه "، كما صدرت له قصص لا تتناول جهاد الليبيين، نُشرت مستقلة، ونشرت مرات أخرى ضمن سلسلة سنابل من بينها: "أحلام القطة العصفور والزهرة البيضاء، قالت الأرض، هذه البقرة، بائع الماء، الوردة والمطر أحلام اليقظة، الحمار الكسول الغراب والفأر فرح الأرض، السمكة والصياد، منزل للقطة الرمادية."

الوظائف التي تولاها :

عمل محررًا صحفيًا بجريدة الأسبوع الثقافي، ومجلة الثقافة العربية، ومراسلًا لصحيفة الجهاد بلندن وأمينًا لقسم كتاب الطفل بالدار الجماهيرية وأمين التحرير المساعد لمجلة سنابل.

وفاته :

انتقل إلى رحمة الله تعالى الكاتب خليفة حسين مصطفي بعد صراع طويل مع المرض العضال صباح الجمعة 2008/11/21.

البُعد الاجتماعي لأنسنة الحيوان.

إن قصص الحيوان ذات بُعد أساسي في الحضارة الإنسانيّة، فقد اتخذت الشعوب القديمة منها رموزًا في محاولة منها للربط بين ظواهر الحياة نفسها، وفي العصر الحديث عمل الأدباء على توظيف القصص التي تقوم فيها الطيور والحيوانات والزواحف بما يقوم به الأطفال والكبار من أعمال تفسر جوانب من الحياة، يمكن أن يتعلموا منها بعض آداب السلوك في التأهيل والإعداد، كما أن لقصص الحيوان فوائد لا تخفي على أحدٍ وبخاصة تلك القصص الحكائية التي تُروى في نطاق الأسرة، التي تتوجه إلى تربية

الطفل، وتنمية خياله وقدراته الذهنية والوجدانية فضلًا عما تحققه من المتعة والتسلية والتعليل والسببيّة، والوصول إلى غرض اجتماعي ومغزى تعليمي عبر نماذج من السلوك الإنساني تكون فيها شخصيات الحيوان أداة معرفية تشكل تصوراته عن الكون والحياة والمحيط الاجتماعي الذي يحيا فيه، ولعل من متعة قصص الحيوان أن وقعها على النفس، ومذاقها لدى أطفال عصرنا، وهو المذاق نفسه الذي كان لها لدى الأجداد منذ مئات السنين، وفي ذلك ملمح إنسانيّ بديع.

ويرى محمد قرانيا أن: "الثقافة العربية عرفت أدب الحيوان فاغترف من معينه الحكماء والوعاظ والأدباء ووقفوا على كثير من خصائصه وعاداته وميوله وطباعه وصفاته، وتركوا في الكتابة عنه ينابيع ثرّة وتراثًا غنيًا مما جعله كنزًا للحكم والأمثال والتشابيه والقصص والأساطير والنوادر، وفي قصص كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع، أحب العرب قصص الحيوان ورمزيتها فتزخرفت حكايات "ألف ليلة وليلة" بحكايات الحيوانات الخرافية وخص الجاحظ "الحيوان" بكتاب فريد تأمّل في طباع أربعمائة حيوان وخصالها ومهاراتها وقدراتها.(3) "

وترى زهرة غناوط أن: "هذا الأسلوب الرمزي من القص على ألسن الحيوانات لا يخلو من عناصر القص الرئيسية ولا سيما الحدث والحوار والمتعة والتشويق والحكمة .(4)"

لعل من أسباب ذلك أن الشخصيات الإنسانية متشابهة في كل الأشكال والأحجام، بينما تختلف الحيوانات في أشكالها وأحجامها وألوانها.

إن الواقع الأدبي المعاصر، يختلف عن الواقع القديم بعض الشئ؛ ذلك لأن بعض قصص الحيوان المعاصرة تختلف اختلافًا كبيرًا عن تلك القصص القديمة، نظرًا لانتهاجها الأسلوب الفني والتزامها بروح العصر واتخاذ الحيوانات رموزًا؛ لمواكبة ما يدور حول الطفل من أحداث.

لا تتوقف الأنسنة على الحيوان، فكل جماد ونبات مألوف يمكن أنسنته ومحاكاة حركته وشكل تكوينه وتقليد صوته، من الريح والماء والشجر، وكل ما يألفه الطفل، كالريح وصليل الحلي وخرير الجداول، إن من طبيعة الطفل أن يضفي الحياة على الكائنات الحية الأخرى والجوامد ويمنحها القدرة على التفكير، والقدرة على العمل، فمن النادر أن يوجد طفل لم يفكر في تقميص حيوان أو جماد في ألعابه، كأن يركب العصا ويعاملها معاملة الحصان، أو يحتضن الوسادة أو

الدمية أو الكرة ويتحدث إليها على أنها عاقلة، ومن النادر أيضًا أن يوجد كاتب للأطفال لم يدخل رحاب الأنسنة، فيستنطق الموجودات، نتيجة تأثرات أو تطلعات أو استجابات عاطفية وجدانية، سواء أكان ذلك، الحيوان أم النبات أم الجماد.(5)

في ليبيا يوجد العديد من الكتاب الليبيين الذين كتبوا قصص جرت وقائعها على لسان الحيوان. منهم "سالم الأوجلي" و"علي فهمي خشيم" و"امحمد عبد الله الزكرة" والأديب "يوسف الشريف" و"محمد العارف عبيه" و"ليلى الجهمي" و"خليفة حسين مصطفي"، ولمزيد من المعلومات ينظر أدب الأطفال في ليبيا (6)، وقد خرج علينا الكاتب "خليفة حسين مصطفي" بمجموعته من القصص الرمزية، والتي تهدف من خلال أحداثها وسياقها الحكائي إلى زرع القيم النبيلة في نفوس الأطفال، وهي القيم التي اكتسبتها الأمة العربية على مدى عصور متعاقبة، وهي التسامح والتعاون والعمل والتفاني فيه، ومد يد المساعدة إلى الآخرين، والتمسك بالصدق والأمانة والاستعداد دومًا للتضحية من أجل المثل السامية وسعادة البشر.

فالحيوانات الأليفة وغيرها – في القصص - تلعب الأدوار الرئيسية، فتنقل المعاني الخلقية والتربوية بأسلوب جذاب قد لا تمكن الشخصية الإنسانية من تأديتها.

ففي سنة 1979م في لندن كتب قصته الموجهة إلى الأطفال سماها "الفئران تطير أيضًا"وقد غير عنوانها فيما بعد إلى "الغراب والفأر"، وأعاد طباعتها سنة 2006م بعنوانها الجديد.

استهلها بكان: كان الغراب يفتح عينيه كل يوم في الفجر على ضوء الشمس، عند بزوغها من وراء صف الأشجار العالية، ففي هذا الوقت كان يغادر العش؛ لكى يبحث عن طعام له ولصغاره الأربعة....

الملاحظ أن القصة لا تخرج عن الحيز التربوي من مطلعها فالطفل القاريء لها يتعلم أن النهوض مبكرًا عمل جيد لمن يريد أن يسعى في طلب الرزق... فرد جناحيه وطار محلقًا في الريح متجهًاإلى الحقول البعيدة.

ابتعد عن العش.

وبينما كان يطير على ارتفاع منخفض، رأى قطعة الجبن...

لابد وأن أحدهم نسيها هناك بمحاذاة السياج الخشبي ...

هبط إلى الأرض والتقطها بمخالبه وطار...

في طريق عودته أحس بالتعب...

فقد كان يطير عكس اتجاه الريح ...

قرر أن يرتاح قليلًا ثم يواصل رحلته إلى عشه غانمًا...

القصة من خلال ما سبق تزخر بقيمة تربوية، أراد الكاتب أن يوصلها للطفل من خلال قوله... في طريق عودته أحس بالتعب والسبب التقاط قطعة الجبن، وهي ملك غيره.

يكمل الكاتب القصة فيقول :

حط على صخرة كبيرة ووضع قطعة الجبن بجواره...

عندما استرد أنفاسه طار كالسهم محلقًا في الفضاء، لكنه لم ينتبه إلى أنه نسي قطعة الجبن...

أراد الكاتب من خلال الفقد أن يبين أن ما أخذناه بسهولة نفقده بسهولة...

عاد للبحث عنها...

هذه الصخرة التي توقفت عندها للراحة ولكن لا وجود لقطعة الجبن! !

بينما كان يفتش عنها... رأى فأرًا رماديًا يُطل برأسه من تحتها جرى بينهما هذا الحوار...

إنني أبحث عن قطعة جُبن كنت قد نسيتها فوق هذه الصخرة...

قال الغراب وهو ينظر إلى الفأر الذي كان يلعق شاربه بلسانه الأحمر: قطعة جبن! !

نعم كانت فوق الصخرة، لكنها طارت...

طارت!! إلى أين؟

فأجاب الفأر: لا أدري، طارت والسلام...

لاشك في أن الفأر هو الذي أكل قطعة الجبن، ومع ذلك فقد كذب عليه؛ ولهذا السبب فهو يستحق العقاب، في هذا كله فكر الغراب وهو يحوم في الجو مثل طائرة من الورق.

لاشك أن الكاتب قد استغل هذا العالم الفطري، حيوانًا وطيرًا وزواحف في تفسير طبيعة اجتماعية، لا علاقة للحيوان بها، أي أن الحيوان في هذه الحالة يصبح وسيلة تفسر واقعًا بعيدًا عنه هنا الظاهرة الاجتماعية متمثلة في الكذب، فالفأر أكل قطعة الجبن وكذب على الغراب عند قوله: نعم كانت فوق الصخرة لكنها طارت...

إذن القصة جزء من تربية الطفل وتثقيفه وتعليمه.

يكمل الكاتب القصة قائلًا: في اليوم التالي عاد الغراب وحط فوق الصخرة، وظل هادئًا في انتظار ظهور الفأر الكبير.

لكنه بدل من ذلك رأى عدة فئران صغيرة تتقافز قرب الصخرة، كانت صغيرة جدًا بحيث أنه أكلها الواحد بعد الآخر كما يأكل الديدان عادة.

وبعد قليل ظهر الفأر الكبير من وراء جذع شجرة تقدم في طريقه إلى جحر تحت الصخرة... لم يرى أثر لأبنائه فتش عنهم في الجحر وحول الصخرة... ألم ترَ أبنائي أيها الغراب...؟

توقف الغراب عن هز جناحيه وقال:

نعم كانت هناك، لكنها طارت كما طارت قطعة الجبن بالأمس، فما دامت قطعة الجبن طارت فإن الفئران يمكنها أن تطير أيضا أليس كذلك !(7)

ذَيَّل الكاتب القصة بنهاية مؤلمة ربما أراد من خلالها أن يوضح أن الجزاء من جنس العمل جعل الغراب فرح بما فعل، والفأر يتألم من خلال الحوار الذي حصل بين الغراب والفأر.

فالنهاية من شأنها أن تأخذ بمشاعر الطفل، الذي ما زال يحتفظ بأحاسيس الدهشة والعفوية والتلقائية.

وما يستوجب الدهشة هو أكل الغراب للفئران الصغيرة، السؤال الذي يطرح نفسه هنا هل ما قام به الفأر يتوجب فعلة الغراب؟

هذا السؤال لابد أن يدور في خلد الطفل.

يقول محمد قرانيا: "لو أنصفنا لأطلقنا عبارة "أدب العصافير" على مصطلح "أدب الأطفال"، ولن ينكر أحد أن كلمة "عصافير" لفظ مأنوس ترتبط في الذهن بالطفولة... ما إن تلفظ حتى ترتسم صورة هذه الطيور الجميلة بشكلها المغزلي، وتحليقها الإنسيابي وأصواتها العذبة ورمزها الجمالي، حتى يمكن القول أنها تسكن في داخل كل منّا، راشدين وصغارًا العصافير جمال.. والطفولة أحلام وجمال.(8)"

وقد جعل الكاتب "خليفة حسين مصطفي" من العصافير أبطالًا لمجموعة من قصصه منها :

قصة "العصفور والزهرة البيضاء:(9)"

بدأ الكاتب هذه القصة، بوصف حياة العصفور، الكاتب هنا عرض قضية ربما كانت تشغله فهي الحرية.

يقول: كان العصفور يرفرف في الجو مبتهجًا بضوء الشمس الدافيء والسماء الخالية من الغيوم فقد كان الفصل ربيعًا، والزهور والورود الجميلة متفتحة، ومن ارتفاع منخفض، رأى الأرض مفروشة ببساط أخضر من العشب فكر العصفور أن يرتاح قليلًا... وهكذا حط على غصن زهرة رقيقة الساق، وجعل ينفض جناحيه وهو ينظر إلى عدد من الأطفال كانوا متوجهين إلى المدرسة وهم يحملون حقائبهم على ظهورهم.

عندما أحست الزهرة بوقوف العصفور على غصنها الذي يكاد ينكسر... قالت

مخاطبة العصفور بصوت رقيق: لماذا وقفت على ظهري، هل ضاقت بك الحديقة على اتساعها؟

تعجب العصفور من سؤال الزهرة البيضاء وأخذ يصوصىء ساخرًا، ثم قال: لا يمكننى رؤية الشمس إذا لم أقف على ظهرك؟

فقالت الزهرة البيضاء: هذا غير صحيح، فأنت تستطيع رؤية الشمس إذا وقفت على الأرض أو على غصن شجرة من هذه الأشجار الكبيرة التي تحيط بالحديقة.

لكن العصفور رد عليها بعناد: مهما كان الأمر فلن أتحرك من مكانى إلى أن تغرُب الشمس.

أنسن الكاتب شخصيتي القصة، فجعل العصفور يفرح ويستمتع والورة تتألم، وأقام بينهما علاقة كالتي تقوم بين بني الإنسان، فتحاورا حوارًا عقليًا، يخدم الوظيفة التعليمية، فالعصفور الطائر بإمكانه أن يطير ويقف على الشجر، فهو أقوى من الزهرة والعصفور يعيش في الأعالي صحيح أنه يحتاج للتحديق والنظر إلى الآفاق واستشعار أشعة الشمس؛ لذلك عليه أن يستقر على أعلى الشجرة، وفي ذلك بُعد تثقيفي وتعليمي.

فمفهوم أدب الأطفال بصورة عامة، والقصة بصورة خاصة جزء من تربية الطفل وتثقيفه وتعليمه.

إن تقديم المعلومة في قالب حكائي تخيلي، أضفي كثيرًا من الواقعية على النص، فكان حوارًا طبيعيًا مقنعًا... فالزهرة أقل قوة من الشجرة، والبديل موجود وهو الشجرة، والعناد لا يؤدي إلى نتيجة إيجابية دليل ذلك ما ختم به الكاتب القصة.

اقترب أحد الأطفال من الحديقة، وعندما رأى العصفور واقفًا على غصن الزهرة البيضاء بحث حوله إلى أن عثر على حجر صغير، فالتقطه وقذف به في اتجاه العصفور الذي لم يستطيع تجنبه، فأصابه في رأسه.

سقط العصفور على الأرض وهو يتأوه من الألم.

فقالت الزهرة لنفسها :

هذا الطفل غير مؤدب.

ثم نحنت على العصفور مشفقة عليه من ضربة الحجر:

هل ترى الشمس الآن؟

فأجابها العصفور بصوت ضعيف:

يبدو أن الشمس غربت مبكرة في هذا اليوم (10).

إن تقديم المعلومة في قالب حكائي ضمن الحوار، أضفي كثيرًا من الواقعية على النص فكان حوارًا طبيعيًا مقنعًا، لا تناقض فيه، يراعي فنية القص بسهولة عباراته،

ووضوح مفرداته التي لم تتجاوز معجم الطفولة، وقد ترك الهدف التعليمي في الحكاية أمرًا ضمنيًا، يدركه الطفل القاريء من غير تصريح به وتتحول الحكاية أو القصة إلى درس في الأخلاق وتقديم المعلومة بهذه الصورة وهذا الأسلوب العفوي المُؤنسن يشير إلى حرص الكاتب على الإفادة من البيئة المحلية الفطرية، وعناصرها، العصفور والوردة والشمس والطفل والأرض، وربطها بالقيمة التعليمية، وهذا من شأنه أن يعمل على إثارة انتباه الطفل وجلب اهتمامه فضلًا عن صقل مواهبه، وتربية ذوقه وإثراء حسه الجمالي والادراكي المعرفي، وإشباع خياله، مما يساعد على فهم معنى الحياة والتكيف معها.

أراد الكاتب أن يعالج من خلال ذلك ظاهرة اجتماعية، هى تربية الإبناء على عدم إيذاء الغير.

يجب التنويه هنا إلى أن هذه القصة كانت تحت عنوان العصفور والوردة، ثم جرى التغير بعد ذلك إلى العصفور والزهرة البيضاء.

قصة "العصفور والسمكة :(11) "

فهى تخاطب الطفل بين سن السادسة والعاشرة، تعتبر هذه القصة باكورة، سلسلة قصصية تحمل نفس العنوان تتحدث هذه القصة عن حب الوطن، الشخوص فيها حيوانية تبدأ أحداث القصة حينما حط عصفور صغير على غصن شجرة وراح يغني بصوت رقيق، اتخذ الكاتب من العصفور نموذجًا للصدق والحب الإنساني والتعاطف الوجداني.

كان العصفور كأنه يوم عيد ينقر ورقة خضراء وينفض جناحيه في الشمس، عندما سمعت السمكة غناء العصفور سبحت نحو الشاطئ، ونادت بصوت أقرب إلى الهمس :

أيها العصفور الصغير الجميل، هل تسمعنى؟

توقف العصفور عن الغناء وأدار رأسه إلى الشاطئ، وقال :

ماذا تريدين أيتها السمكة الجميلة.

أجابت السمكة بلهجة متوسلة كلهجة الطفل وهو يرجو أمه أن تعطيه قطعة أخرى من الحلوى بعد أن أكل القطعة الأولى :

أرجو أن تساعدنى على الخروج من الماء لأغني معك.

رفرف العصفور في الجو قليلًا ثم عاد وجلس على الغصن :

أعتذر عن ذلك.. والأفضل أن تبقي في البحر.

لماذا أيها العصفور الجميل؟

قلت لماذا؟! ألا تعرفين أيتها السمكة أن من يغني بعيدًا عن وطنه فهو لا يغني وإنما يبكي! !

إن المزج بين العصفور وهو طائر وبين السمكة وهي حيوان بحري من شأنه أن يأخذ بمشاعر الطفل، الذي مازال يحتفظ بأحاسيس الدهشة والعفوية والتلقائية، وبحبه لهذا الطائر الصغير، وفي ذلك بُعد تربوي وثقافي.

وتغرد العصافير في دوحة أدب الأطفال، وتتردد أصداؤها، في كل مكان، فتنتعش الأجواء بأغانيها ورفرفة أجنحتها، وانطلاقها في السماء الزرقاء، وفوق الحقول الخضراء حتى لا يغدو العصفور رمزًا للعديد من رؤى الكتاب، فهو رمز للرقي الاجتماعي والحرية..

فهو في هذه القصة رمزًا للبراءة والفطرة والحب والحرية والانطلاق والصدق، فالعصفور من خلال تعجبه من طلب السمكة وطلبه منها أن تبقى في البحر لأنه وطنها وهو يغنى لأن الغصن والفضاء موطنه إذن الوطن هو الفرح.

قصة "العصفور والفلاح :(12) "

هذه القصة من عنوانها تحمل في عمومها موضوع اجتماعي شيق، وهو حب العمل وهي رسالة تربوية جيدة، تتركز في الحرص على العمل، فالذي لا يعمل لا يأكل، فكرتها تناسب مستوى الطفل في سن السادسة وما بعدها، كانت قريبة إلى الواقعية في طرحها مع اللجوء إلى استخدام المزاوجة بين الشخصية البشرية والحيوانية، فمن يعمل يأكل جاءت القصة تلقي بظلال رمزية سهلة الفهم يدرك المتلقي الصغير من خلالها أهمية العمل وهذا لا شك يعمل على تكوين اتجاهات إيجابية نحو حب العمل ويُنمي داخل الطفل هذا الشعور.

استهل الكاتب القصة بقوله: طار العصفور الذهبي وحلق عاليًا في الجو، كان فرحًا بالشمس المشرقة والزهور التي تزين الأرض... رفرف في الهواء قليلًا ثم مال نحو الحقل المجاور.

حط على الأرض لكنه لم يتناول سوى حبةٍ واحدةٍ من القمح وطار مرة أخرى... ذلك أن الفلاح أسرع من آخر الحقل وجاء مُهرولًا؛ لطرد العصفور الذي يتناول سوى حبةٍ واحدة من القمح.

ماذا قال العصفور!...

لماذا تطردنى وعندك قمح كثير يملأ الأرض؟ !

اسمع أيها العصفور، قال الفلاح انتبه لما أقول :

عندي شرط واحد لكي أدعك تتناول ما تشاء من الحب... وتأكل حتى تشبع...

فقال العصفور بسرعة :

وما هو هذا الشرط...! قل بسرعة فأنا جائع.

قال الفلاح: الشرط أن تقول ما هي مهنتك فأنا لن اسمح لأحد، بأن يأتي إلى حقلي ويأكل من طعامي وهو يعيش على الأرض بلا عمل.

هز العصفور رأسه في حيرة، كيف يجيب على هذا السؤال الغريب، وهو من يوم نبت ريشه وتعلم الطيران لم يعرف أن للعصافير أعمالًا تقوم بها...

في المساء قبل غروب الشمس عاد العصفور إلى شجرته جائعًا وحزينًا...

قبل أن يحط في عشه التفت إلى الوراء فأبصر عددًا كبيرًا من العصافير تصيح فرحة في الحقل المجاور... تتناول الطعام وتغني والفلاح يجلس بقربها يصفر لها...

طار نحو الحقل غاضبًا... وعندما رآه الفلاح نادى عليه ورحب به... وأحاطت به العصافير من كل جانب.

قال له "الحضري": لقد كبرت يا أخي ومن العيب أن تبقى بلا عمل.

قال له "الحسون": هناك أعمالًا كثيرة يمكنك أن تقوم بها.

قال "العصفور الذهبي": أعمالًا كثيرة... ما هي هذه الأعمال؟!

فقال "عصفور الشوك": يمكنك أن تغرد تنشر الفرح في كل مكان.

كما إنك تستطيع أن تحمي النباتات من الحشرات الضارة... كما أنه من الضروري أن تصيد الذباب الذي يجلب المرض.

وقال "الحسون": ويمكنك أن تمنع البعوض من الإضرار بالمحصول، فرح "العصفور الذهبي" ووعد أنه سوف يقوم بكل الأعمال في المستقبل، هنا ضحك الفلاح وقال :

والآن بعد أن عرفت ما هو عملك، يمكنك أن تأكل من القمح حتى تشبع، فالذي لا يعمل لا يأكل إلا العجزة هل تسمعنى...؟ إلا العجزة.

هذه القصة تهدف إلى بناء الشخصية، فتعرض السلوك وحياة المجتمع بصورة مبسطة إيجابية فهذه القصة تعرض للطفل كيفية بناء المجتمع عن طريق العمل فالبطالة تسبب الانفلات اللامحمود فهذه القصة تحمل أهدافًا تربوية عديدة للطفل منها تعريفه بالوظائف التي يمكن أن يعمل فيها، وضرورة الإخلاص في العمل وإتقانه، والمحافظة على المكان الذي يعمل فيه.

تشرح القصة أهمية التواصل مع الغير، والاتحاد معهم، والالتحام مع النسيج المجتمعي الذي هو جزء منه، ويحمله

مسئولية التفاعل الجيد والإيجابي معه، ويصرف عنه عبء عدم فهم المشكلات الاجتماعية التي قد تقع من حوله ومثلها الكاتب في الحشرات الضارة والآفات، كما يستثير حماسه للرقي بهذا المجتمع، من خلال حماية الحقل، وقد عرض الكاتب كل ذلك بأسلوب مبسط يفهمه الطفل استخدم خصائص البشر ممثلة في صورة الطير.

ترى الباحثة أن الأسلوب الرمزي غير المباشر الذي يحمل هذا النوع من القصص أضفى عليها تألقًا وشعاعًا يشد نظر الطفل إليها، فالطفل كما هو معلوم ينفُر من أسلوب الوعظ المباشر الذي قد يوجه إلى شخصيته، أو سلوكه، فتأتي هذه القصص بمثابة المرشد والموجه لتؤتي أُكُلها في تسامي نفس الطفل وإدراكه.

لم يغب عن ذهن الكاتب أهمية القصة على لسان الحيوان أو الطير؛ لذلك سعى لإصدار سلسلة عن قصص الحيوان والطير؛ ليزاوج بين المتعة والفائدة.

ذَيَّل الكاتب هذه القصة بنهاية مفادها تربوي، الذي لا يعمل لا يأكل.

السمكة والصياد :(13)

المُلاحظ على هذه القصة أن الكاتب ينهل من الثقافة الليبية، كالاعتماد على الصيد والساحل البحري الطويل، شجَّع على ذلك العاطفة الإنسانية التي طغت على هذه القصة، فقد أنسن الكاتب السمكة، وجعلها تحاور الصياد بعد أن طرح شبكته في الماء وعلقت السمكة الصغيرة بها.

ارتعشت السمكة من الخوف وقالت: لا تأكلني فلن أُشبِعك... ودعني أُساعدك في تنظيف البيت.

قال الصياد: لا ينفع في التنظيف من ليس له يدان... أما بيتى فأنا أنظفه بنفسى.

وجمت السمكة الذهبية ثم قالت: أحرُس لك أطفالك إذًا.

قال الصياد: من لا سلاح عنده فلن يحرس حتى نفسه... أما أنا فعندى بندقية.

سكتت السمكة فترة ثم قالت: أُغني لك فصوتي جميل.

قال الصياد مُلوحًا بيده: لا يُجيد الغناء من يُغني بعيدًا عن وطنه.

وهنا قالت السمكة في رجاء: دعني إذًا أعود إلى البحر.

قال الصياد: أدعك بشرط واحد.

قالت السمكة: ما هو أيها الصياد؟

فقال الصياد: أن تروي هذه القصة لاسماك البحر.

فقالت: أعدك بذلك... فسوف أحكي هذه القصة لكل سمكة تقابلني في طريقي.

هنا... ألقى الصياد بالسمكة في البحر ووقف يتفرج عليها إلى أن اختفت تحت الماء.

الملاحظ أن الكاتب ارتبط بالبحر في هذه القصة، وهي رسالة تعليمية للأطفال، أراد أن يوضح بها أن الصياد يصطاد السمك من البحر.

الحوار الذي تم بين السمكة والصياد عمل الكاتب على تشخيصه، عبر العاطفة الإنسانية فالتعبير عن الارتعاش والخوف، صفة إنسانية، اعتمد الكاتب على تقنية فن التعبير بالعاطفة لإبراز لوحة السمكة والصياد ملونة بالمشاعر العاطفية.

وجعل من السمكة شخصية حقيقية تعبر عما بداخلها من إحساسات تخص الناس كافة وقد هيأ لها لوازمها من صدق المشاعر والتفاعل حسب مقتضيات الحال، والحصول على الحرية والعودة للوطن وهو الشد والإرخاء في ثنائية الحياة والموت، المتمثلة في اصطياد السمكة وأكلها وهذا ما يمثله الموت أما الحياة فهي العودة للوطن.

القصة مشهد حواري، ينهض على حكاية بسيطة في مجملها، ولكنها متوهجة المشاعر تجسد ما يعيشه الإنسان، من رجاء وأمل في العودة للوطن، هذه القصة تحكمها نهاية مفرحة وهو العودة إلى الوطن الذي هو الحياة .

قصة "فرح الأرض :(14) "

في اعتقادي أن فرح الأرض من القصص الخاصة بعالم الطفولة، والتي فيها من الأحداث ما يشحن الطفل بالحقائق العلمية والسلوكيات القويمة، وبطريقة مشوقة.

كما تقدم هذه القصة معلومات علمية عن الطبيعة، وتَدَخُّل الإنسان فيها، ودور كل عنصر من عناصر الطبيعة ضمن سرد قصصى يشرح حاجة الأرض والورد والعصافير والأشجار للماء، في هذه القصة أنسن الكاتب الحيوان والنبات والجماد وقد أنزلهم منزلة العاقل نطقًا وصورة وقد أباح الكاتب الحوار بشكل مطلق بين الأرض والنبات والحيوان.

بدأ الكاتب قصته بقوله: يوم علمت الأرض لأول مرة بأخبار النهر الصناعي العظيم ودت لو أنها تملك صوتًا جميلًا كأصوات العصافير المغردة فوق الأشجار؛ لكي تغني بأعلى صوتها معبرة عن فرحتها وبهجتها بما سمعته، فيوم يأتي النهر سوف يكون ذلك اليوم يوم عيدها الكبير، لقد طال زمن الحلم والانتظار من دون أن يظهر لهذا النهر أى أثر، أما الآن فقد أصبح الحلم حقيقة يمكن لمسها باليد وقد جعل الكاتب من الأرض شخصة رئيسية حيث قال:

اهتزت الأرض بنشوة الفرح، فجاءت إثر ذلك شجرة زيتون مغبرة تجرجر أغصانها الجافة ورفرف عصفور على ارتفاع منخفض يهز جناحيه ينظر حوله مندهشًا، ثم أقبلت من بعيد نخلة قصيرة القامة بدون بلح ولم يعرف أحد من أين جاءت النخلة، التي فوجئت الأرض بطنينها وهي تلف حول نفسها كالدوامة، ثم ظهرت في الأفق شجرة وردٍ يغطي الغبار أوراقها الذابلة وبعد قليل انتشرت في الجو رائحة تشبه رائحة الفواكة غير الناضجة، وعلى أثرها لاح من بعيد صف من الأشجار تمشي منتظمة كصف من الجنود، وفي ظلالها كان يسير خروف هزيل بقرنين صغيرين، يلهث من العطش .

وقالت الأشجار بصوت واحد: ما الذي أثار أعصابك أيتها الأم الطيبة، ما الذي أغضبك وهزك بهذه الطريقة العنيفة؟

فضحكت الأرض وقالت: لا تخافوا، لقد هزني الفرح، أنتم يا أبنائي وبناتي لا تعرفون مقدار سعادتي بالخبر الذي سمعته صباح اليوم.

ترى الباحثة أن الكاتب جسد الأرض، فجعلها أم يعود إليها الأبناء، والأبناء هنا النبات والحيوان ودار الحوار بينها وبينهم أو بين اليأس والأمل، فإذا استقصيت الأبعاد الدلالية لهذا النص، فإن هذه الحكاية تجسد حركة الحياة بين الفرد والمجتمع، فالحياة أمل وتستمر مادام الحوار دائرًا بين أطراف المجتمع، حتى إذا انقطع الحوار لسبب من الأسباب ساد الحياة السكون والصمت، فالقصة تجسد لغة الحب والتفاهم بين الفرد والمجتمع الذي يمثل حركة الحياة، ربما يصعب فهم ذلك على الطفل؛ لذلك فالكاتب يمنح الصورة طاقة حركية كبرى توحي بالرغبة في تواصل الحياة واستمرارها، كما يُبرِز عناصر الطبيعة في المشهد الحركي لفضاءاته ذات الحضور الخارجي، وحيوية الصورة الدلالية المتمثلة في إبراز طبيعة العلاقة بين الطفل والمرئيات، الجامدة والمتحركة، من شأنه أن يُجسد الصورة الحركية، وهذا ما التفت إليه الكاتب في تركيزه على (الأرض) وحركة الأشجار، ورفرفة العصفور، وحركة النخلة والنحلة... الخ.

يُلاحظ أن الحركة والحوار بين العصفور والأرض، عندما حط العصفور على غصن من أغصان شجرة الورد وقال :

أرجو ألا يكون خبرًا عن عاصفةٍ أخرى كتلك التي هبت من البحر يوم أمس وخرّبت عشي.

مسحت الأرض وجهها من الغبار وقالت: لا يا بني، فهذا خبر يسر القلب... وأنا أتمنى من كل قلبي أن تحتفلوا به معي.

وتشاركوني سعادتي.

هنا الكاتب يصور بساطة فهم العصفور وعفويته.

فالأرض من البداية طلبت منهم عدم الخوف.

مع ذلك لم تنفُر الأرض من السؤال وأجابت بكل حب.

لا يا بني، فهذا خبر يسر القلب...

الكاتب – بذلك – يشق طريقًا قصصيًا فنيًا مستلًا من الحياة، وذلك بوقوفه على أدق الجزئيات والتفصيلات، وكأنه يُعلم الآباء الصبر في التعامل مع الأبناء وأسئلتهم الغريبة.

فقالت النحلة وهي مازالت تدور حول نفسها: قولي ما هو هذا الخبر فقد شوقتنا إلى معرفته.

فأجابت الأرض مبتسمة: سوف أقيم قريبًا عرسًا كبيرًا... أرجو أن تحضروه جميعكم... وأن توجهوا الدعوة باسمي إلى كل الحيوانات والطيور في كل مكان لمؤانستي في هذا العُرس.

وهنا صاح الخروف مذعورًا.

أي عرس هذا... أنا لا أحب سماع هذه الكلمة... ألا تعرفين يا أمي العزيزة أن الناس يذبحون الخراف بكثرة في أعراسهم؟

فقالت الأرض: فعلًا إنها عادة سيئة، ثم نادت على الخروف الذي أسرع هاربًا :

تعال يا صغيري فلن يمسك أحد بسوء...

عندئذ عاد الخروف وهو يهز رأسه.

وتابعت الأرض: هذا العرس هو عُرسي أنا، والذي لطالما حلمت به ليلًا ونهارًا لأعوامٍ طويلة فأطرقت أشجار الفاكهة وكفت النحلة عن الطنين.

لازال الحوار قائمًا بين الأرض وباقي الأطراف، وها هي الزيتونة تعُد ما تبقي من حبات سوداء لاصقة بأغصانها.

أما النحلة بصوت حزين :

نحن جميعًا نتمنى لك كل الخير... ما حكاية العُرس؟ !

فردت الأرض قائلة :

ليس في ما قلته شئ يدعو إلى التعجب والحيرة... دعتهم للجلوس وروت لهم قصة النهر الصناعي من البداية إلى النهاية ففرحت الأشجار والحيوانات بهذا الخبر.

الخاتمة هنا حملت مغزى الحكاية والنهاية السعيدة، إذن النهاية هنا حملت في معانيها الفرح وهذا الشئ يُسعد الأطفال ويناسبهم.

قصة "منزل للقطة الرمادية:(15) "

ترى الباحثة أن الموضوع الرئيسي الذي تعالجه هذه القصة هو الرفق بالحيوان، والعطف عليه وضرورة العناية به، وحب الحيوانات واللعب معهم ظاهرة تتوافق

مع ميول الطفل الطبيعية والسيكولوجية وتغرس فيه الشفقة والعناية بالحيوان صديق الإنسان.

ويمكن أن يُجعل من تدريب الطفل على الرفق بالحيوانات والعناية بها تدريبًا على رحمة بالإنسان والتسامح معه ومساعدته.

كانت مريم تحب الرسم... فما إن فرغت من كتابة واجباتها المدرسية حتى نهضت على الفور وأحضرت كراسة الرسم وقلمًا وعلبة ألوان، وجلست من جديد إلى طاولتها الصغيرة قرب النافذة.

أخذت تتفرج على الكراسة وهي تفكر في شيء ترسمه في الصفحة الأولى غابة من النخيل.

في الصفحة الثانية فلاح يحرث الأرض...

أما في الصفحة الثالثة فقد كان المجاهدون الليبيين...

ماءت قطتها التي كانت تستلقي في استرخاء قرب المدفأة...

فتذكرت مريم ما كانت قد قررته من قبل، وهو أن ترسم منزلًا جميلًا وتهديه لقطتها الرمادية كمكافأة لها على نشاطها في مطاردة الفئران...

تلونت عينا القطة الخضراوين بالفرح وقالت: إذن فلن أنام في المطبخ بعد اليوم.

فأضافت مريم ولا تحت السرير!!

انظري هنا... هذا باب لونه أخضر... أما الجدران فستبقى بيضاء ينعكس عليها ضوء الشمس في فصل الصيف الحار، وبهذا فإن جو المنزل يبقى باردًا...

هزت القطة رأسها في حيرة وهي تحدق في الورقة ثم صاحت :

ولكن أين السقف؟! إذا نزل المطر فسوف يبتل شعري...

وقد أغرق وأنا لا أعرف السباحة... لا... النوم في المطبخ أفضل على أية حال.

قالت مريم: طبعًا السقف ضروري.

ورسمت السقف مقوسًا كظهر الجمل...

قالت القطة :

بيت بلا نوافذ.. كيف يتجدد الهواء إذن؟إذا بقي المنزل بلا نوافذ فسوف أختنق فيه لا محالة.

مدت القطة رأسها نحو النافذة المطلة على الشارع وهمست: الشارع مزدحم بالعربات فأين ألعب؟

رسمت مريم سورًا من الأشجار الصغيرة يلتف حول المنزل...

لكن القطة ماءت بصوت حزين مرتعش ثم قالت: لن أسكن في هذا المنزل... المطبخ أفضل...

نعم لا ينقصة شيء... ولكن إذا رآني الكلب فسوف يطردوني منه...

وقد يهجم على ويعضني بأنيابه الطويلة ....

قالت مريم:

ما كان يجب أن تخافي من أحد، فلن يستطيع الكلب ولا غيره طردك من منزلك( ) ...

ابتهجت القطة مما قالته مريم... أرخت ذيلها ثم قالت :

سوف أذهب لأحضر أبنائي، وقفزت بخفة إلى الحديقة.

وترى الباحثة أن الطفل يتحرك في بيئة حية تؤثر فيه ضمن محيطه، فتحقق له القصة جانبًا من الواقع الذي يعيش فيه، والذي ينبهر فيه برؤية حيوانٍ ساكنٍ أو متحركٍ، وهي تتيح له تقمص أدوار الحيوانات، التي تساعده على التخيل والتفكير والمحاكاة من دون عناء، وفي ذلك إرضاء لميوله فيتشوق الطفل لمتابعة الحكاية نظرًا لاعتمادها على الصور الحسية الحركية في التعبير، حيث تمتزج الواقعية فيها بالخيال، فضلًا عن سهولتها؛ لأن شخصيات قصص الحيوان غالبًا ما تكون قليلة العدد وهذا ما لمسته في هذه القصة حيث أن الشخصيات تعتمد على مريم والقطة، ووضحت الفكرة التي هي البيت لمن يسكن فيه، فالبيت هو الوطن الآمن والبيت الذي ولدنا فيه، وهو ليس مجرد تجسيد للمأوى والسكن فحسب، وإنما هو تجسيد للأحلام والآمال أيضًا وقد زخرت القصة بهذا الرمز الحيوي الذي عرفه أدب الأطفال، فارتبط مفهوم البيت بالوطن وهذا الارتباط من شأنه أن يجعل القصة تحمل رمزها الموضوعي الذي منحها آفاقًا فنية جديدة فزخرت بإيحاءات شاعرية، نفسية واجتماعية ووجدانية، مشعة بنبض الحب والعيش الوادع المتمثل في مريم والقطة.

حكاية "عصفور اسمه مسعود:(16) "

ترى الباحثة أن هذه القصة وهي من المجموعة القصصية لسلسلة سنابل، تفتتح سردها بمشهد طفولي خالص، يقوم على تساؤلات طفولية بريئة يطرحها على نفسه بعد أن رأى عصفورًايرفرف فوق ولكن العصفور ما لبث أن فرد جناحيه وطار ليحلق بسربٍ من العصافير الربيعية كانت تعبر سماء الحديقة محلقة.

التساؤلات التي عرضها على نفسه أنه إذا تحول إلى عصفور فسوف يطير إلى أي مكان يريده، وأهم من ذلك أن أمه لن تأتي في الصباح لتوقظه من أحلامه اللذيذة؛ لكي يذهب إلى المدرسة، فلن تكون هناك واجبات مدرسية، ولا امتحانات في آخر العام، يظل أكثر من أسبوع ينتظر نتيجتها بقلق وخوف، إنه يرغب من كل قلبه في أن

يتحول إلى عصفور، ولكن كيف! لقد جسدت العصافير حلم الأطفال الإنساني في متعة حب الطيران.

بدأت المحاولة بعد أن تذكر مسعود ما قرأه في بعض الحكايات الخرافية، من الممكن أن يتحول لعصفور، ولكنه يحتاج إلى بعض التمرينات الضرورية... أحس بالتعب عاد فجلس على المقعد وأغمض عينيه وتخيل نفسه في هيئة عصفور، يجوب الآفاق ويطير إلى ما فوق السحاب .

هنا ينتقل من الواقع إلى الحلم، ليتخفف من جاذبية الواقع، فيتمنى لو أنه عصفور فتتحقق أمنيته في المنام، فيطير ويزقزق ثم يبدأ في الرؤيا – كيف أنه تحول إلى عصفور بمنقار صغير وجناحين، وذيل ملون وريش ناعم يكسو جلده ورأسه، وعلى الفور فرد جناحيه وطار إلى شجرةٍ ضخمة وتواصلت رحلته الحلمية بين الشجرة والهبوط ليلتقط فتات الخبز ولقاءه مع عصفور كبير يقول له: عندما تنتهي الحرب يجب أن تذهب إلى المدرسة؛ لتتعلم كي تبني لنفسك عُشًا تسكن فيه، يتعجب مسعود حرب ومدرسة!! يواصل العصفور الكبير إخبار مسعود أن العصافير لا تعتدي على أحد، لكن الغربان الملعونة تخطط لمهاجمة الغابة.

ويستمر في حلمه، حيث عاش في معركة مع الغربان، وقاتل مع إخوته العصافير بشجاعة ولكنه لم يستطع أن يتفادى الغراب الذي باغته ونقره في رأسه بعنف، بعد انتهاء المعركة، وضع إصبعه على الجرح وأخذ ينادي على أمه بصوت ضعيف.

أسرعت الأم إلى الحجرة وقالت:

ماذا بك يا مسعود؟

وضعت يدها على جبينه ثم هزته برفق، عندئذ استيقظ مسعود من النوم بسرعة؛ ليرتدي ملابسه ويستعد ليوم جديد، بينما هو يتناول طعام الإفطار روى لأمه حلمه العجيب.

إن ما فعله الغراب برأس مسعود كان بمثابة المنبه، فنادى على أمه ولبت الأم النداء.

ترسم القصة عالمًا سحريًا من عوالم الطفولة الحالمة، ينطلق مسعود وهو نائم على سريره في بيته، في عالم الخيال، وتحلق في فضاءات ذلك العالم الذي يوافق خيالات الطفولة، ولا يقيده المنطق العقلي الصارم يدور (الحلم) في القصة حول (عالم حيوي) في يوم من حياة الطفل الذي وجد نفسه وحيدًا في حديقة أمام العصافير.

إن الخيال وحده – على الرغم من ضرورته في العمل القصصي – لا يشكل حدثًا إذا لم يستند إلى الواقع، المدرسة والتعليم واقع والحرب واقع والوطن واقع، العدو والحياة مع الجماعة واقع، ألبس الكاتب الحلم الواقعي حُلَّة خيالية، فعبر عن تعلق الطفل العربي بأمه، وفي ذلك بُعد اجتماعي، وبُعد تربوي، وبُعد أمومي رحمي يوحي بتماسك الأسرة العربية...

أيضًا صور الكاتب طريقة الدفاع عن الوطن وأهميتها، من خلال المعركة مع الغربان والغربان يرمز لها بالشر في قصص الأطفال، بينما العصافير رمز الحب والجمال. الكاتب أسقط المشاعر الإنسانية على العصفور، المتمثلة في الحيوية والحركة والجمال وحب العيش واشتراكهما في الجوع والفقر، والبحث الدائم عن الرزق.

وإذا كان الكاتب أسقط هذه المشاعر الإنسانية على العصفور أو (أنسنه) فإن الأطفال يتقمصون شخصيات العصافير، في تبادل الأدوار بين الشخصيات، تحقيق التواصل الإنساني بين الطفل وطيور البيئة المحببة إليه.

الخاتمة:

فقد وجهت عنايتي لنتاج الكاتب خليفة حسين مصطفى والذي يحتل مرتبة بين أعلام أدب الأطفال في دولة ليبيا، وانطلق هذا الرجل فيما كتبه من منطلقات إسلامية عربية ووطنية واضحة حيث قدم أدباً ثريًا ليستحق الوقوف عليه، وقد أكد البحث أن أدب الطفل هو جزء من أدب الكبار غير أن له ما يميزه من خصائص وسمات، كما أثبتت الدراسة أن أديب الأطفال يحمل على كاهله عبء تربية الأجيال وتعليمها بتسخير فنه لصقل حياتهم بما ينفعهم، وقد أسفر البحث عن وجوب مراعاة الفوارق والمستويات الطفولية، وتخصيص كل مستوى بما يوائمه من الأدب، وأن القصة باب واسع يمكن للأديب أن يدلف منه إلى عالم الصغار لتحقيق مآربه.

لذلك أمتع خليفة حسين مصطفى الأطفال وأشجاهم، وأشبع نهم خيالهم، وقد عرض الكاتب نتاجه بأسلوب يقترب من مستوى الطفل ولغته، وقد عرض الكاتب نتاجه بأسلوب يقترب من مستوى الطفل ولغته، وقد مس حسَّه المُرهف فتمرس في اختيار موضوعات تهدف للرقي بالطفل.

المراجع :

1. أدب الأطفال في ليبيا دراسة في مضمون القصة.
2. اسماء الطرابلسي، قائمة ببليوجرافية بالقصة الليبية من عام 1951 وحتى عام 1981؛ الصيد أبو ديب، معجم المؤلفات الليبية في القصة القصيرة.
3. حسن شحاته، أدب الطفل العربي دراية وبحوث .
4. خليفة حسين مصطفى، الغراب والفأر.
5. خليفة حسين مصطفي: السمكة والصياد .
6. خليفة حسين مصطفي: العصفور والزهرة البيضاء .
7. خليفة حسين مصطفي، العصفور والسمكة
8. خليفة حسين مصطفي، حكاية عصفور اسمه مسعود .
9. خليفة حسين مصطفي، فرح الأرض .
10. خليفة حسين مصطفي، منزل للقطة الرمادية .
11. زهرة غناوط، صورة الطفل في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة(2010 – 1980) .
12. عبد الله سالم مليطان، معجم القصاصين الليبيين.
13. محمد قرانيا، تجليات قصة الأطفال – التجربة السورية.
14. خليفة حسين مصطفي، فرح الأرض، الصادر عن سلسلة سنابل، اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، ص 3.
15. خليفة حسين مصطفي، منزل للقطة الرمادية، ص75.
16. خليفة حسين مصطفى، منزل القطة الرمادية، ص 7 .
17. خليفة حسين مصطفي، حكاية عصفور اسمه مسعود، ص 3.



أدب الطفل في ليبيا
التاريخ... التحديات.... المعالجات

امراجع السحاتي

حقيقة الأدب هو الأدب إلا أن التطور والتخصص أردى أن يقسم ويفرع وحتى يشعب كل شيء كلما تطور الإنسان وتطورت مخيلته وصار يتحول من شيء إلى شيء آخر. فالإنسان البدئي ليست هو الإنسان في عصر ما قبل بروز الحاضرات أو المدن، وكذلك إنسان الحاضرة أو المدينة والإنسان البدئي ليس هو إنسان ما بعد الثورة الصناعية وليس هو إنسان ما بعد الثورة في عالم التكنولوجية والمعلومات والاتصالات، لقد تفرعت اختصاصات اغلب العلوم فمثلاً الطب بعد ان كان هناك طبيب شامل عام صار هناك طبيب للدم وللقلب والكلى والمخ والاسنان والعيون وتشعبت الاختصاصات فمثلاً في العيون صار هناك متخصص في الشبكية وفي القرنية وغيرها، انه العلم والتطور وتزايد عدد السكان اضافة إلى السعي للحصول على مكاسب مادية مما يمتهنون هذه المهن، بعد ان كانت الكثير من المهن هي مهن إنسانية كالتعليم والطب، والأدب هو الآخر من تلك العلوم التي صارت تتفرع وتتشعب. جاء من الاسباب التي ذكرت بعد ان كان الأدب أدب واحد تفرع إلى الكثير من الآداب مثل الأدب النسائي وأدب الأطفال والذي استشعر ان فيهما تمييز أدبي خاصة وان الأدب يعتبرونه من اختصاص الرجال سواء كان في القصة أو الرواية أو الشعر أو غيره.

بدء أدب الطفل بالروايات المنطوقة شفوياً وهذا ما لامسناه في ليبيا من خلال تجارب الكثير من النخب الأدبية وغيرها، وهذا ما اكدته الموسوعة الدولية لأدب الطفل المصاحب، وقد اشير بان الموسوعة قد اشارت إلى ان بعض من انواع الكتب ليست ثابتة وغير واضحة من ناحية هل هي للأطفال أو للبالغين، وقد اعطى مثال على ذلك لكتابات ج. ك. رولينغ (هاري بوتر) والتي كتبتها للشباب لكنها صارت مقبولة من قبل البالغين، ويضم هذا النوع من الأدب وفق ما اشارت اليه بعض المصادر عدة انواع من الأدب وهي- :

1

- كلاسيكيات الأدب العالمي خاصة بأدب الطفل.

2- الكتب المصورة.

3- القصص المكتوبة من اجل ان يستطيع قراءتها الطفل.

4- الحكايات الخيالية.

5- التهويدات.

6- الخرافات.

7- الأغاني الشعبية .(1).

وقد اشتهرت عالمياً كتب تحاكي الأطفال منها على سبيل المثال كتاب مارك توين " توم سوير " عام 1876م وقد أعجب به حتى الكبار، كما ظهر كتاب " أطفال الماء" لتشارلز كينجسلي الكتاب الانجليزي عام 1862م وهو من الأعمال العالمية الكلاسيكية الخاصة بالطفل، كما صدر عام 1883م كتاب الايطالي كارلو كولودى "مغامرات الدمية بينوكيو .(2) "

ومن أشهر من كتب للأطفال عالمياً ولازالت أعماله إلى الآن تقدم للطفل في عدة صور منها في شكل رسومات ورقية ومنها ما هو على شكل رسوم متحركة هو الكاتب والشاعر الدنماركي هانس كريستيان اندرسن (1805- 1875) حيث كانت له مؤلفات مثل " بائعة الكبريت "، و" جندي الصفيح "، وعقلة الاصبع "، وقد ترجمت أعماله إلى أكثر من مئة وخمسين لغة، وقد استوحت الكثير من الاعمال الدرامية من ملفاته تلك .(3)

وفي ليبيا وعلى غرار ما كتب خارجياً ظهرت بعض الكتابات في الصحف والجرائد والمجلات وبعض الكتب اضافة إلى الاعتماد الكبير جداً على ما كتب للطفل خارج ليبيا، وقد تأثر الطفل الليبي بهذا الكم الهائل من الانتاج العالمي سواء كان عربي أو اجنبي، وحتى مع بروز التعليم صار ما يقدم للطفل من صنع خارجي من خارج البيئة الليبية سواء من قصص أو اناشيد أو اشعار وهذا ما لمسناه في موضوعات القراءة والمطالعة والمحفوظات والنصوص في المرحلة الابتدائية في الخمسينات والستينات إلى الآن، حيث لاحظنا ذلك في اناشيد واشعار مثل " ديكي.. ديكي..... انت صديقي.."، و" قطتي الصغيرة..... سميتها سميرة"...

وموضوعات للقراءة والمطالعة مثل " بائعة الحلوى المكشوفة " وغيره، وبعضها زود بقصص أمثال وأغلبها رسمت لها رسوم.

حقيقة هذا النوع من الأدب من أصعب انواع الأدب ولهذا نجد ان الكثير من الكتاب والمهتمين بالثقافة قليلون فيه

اضافة فهو يحتاج إلى قدرة في الكتابة والمام بالعلوم الاجتماعية والتربوية والنفسية، اضافة إلى ان رواده قليلون خاصة عندما يكون العمل الأدبي مكتوب سواء في كتاب ورقي أو الكتروني.

أولاً أدب الطفل في ليبيا التاريخ والمفهوم:

المقصود بأدب الطفل في ليبيا هو الأدب الذي ظهر في ليبيا والموجهة للطفل، وقد بدء شفوياً منذ القدم وهو الذي اعد اول المناهج التي درست شفوياً وساهمت في التنشئة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية وهو الذي ساهم في تمسك الليبيون بالوطن والوطنية، ثم ظهر على شكل كتب وجرائد ومجلات ورقية وساهمت هذه في انعدام الوطنية والفساد والخيانة بعد انتشار افكار وايديولوجيات موجهة لليبيين وساهمت هذه الكتب والمجلات في انتشار متطرفين سياسياً ودينياً واقتصادياً وثقافياً بعد ان صار هناك قراء لما يستجلب من جرائد ومجلات وكتب، والى ان صار الان يأتي عن طريق الفضائيات والانترنت فزادت الخطورة .

عرف أدب الطفل بانه " الأدب الذي يخصص للصغار "...، وقيل بأنه " كل ما كتب وصور في إطار مواضيع وأهداف تعليمية كتبت من أجل تزويده للطفل " (4).

وقيل بأنه " هو مجموعة من الأعمال المكتوبة والرسوم التوضيحية بهدف الترفيه أو ارشاد الشباب "..، وقيل بانه " خيال أو غير خيالي أو شعر أو دراما مخصصة للأطفال والشباب "...، وقيل كذلك بانه " جميع الكتب المكتوبة للأطفال، باستثناء الأعمال المصورة "... وقيل بان أدب الطفل هو " الأدب الذي يخصص للصغار فيفيدهم من خلال نقل المعلومة بقالب من المتعة والتسلية " (5).

اشير بان هذا النوع من الأدب في القرن الخامس عشر صار يحمل رسالة اخلاقية ودينية وكانت أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من اهم القرون لأدب الطفل وعرف ذلك بالعصر الذهبي لأدب الطفل بسبب ما نشر من كتب صارت فيما بعد من اهم كتب أدب الأطفال .(6)

رغم ان هناك من الكتاب من قالوا بان الكتابة للطفل في الوقت الراهن تحتاج لغة ومنهجية واسلوب وايحاء تتمشى والوقت الراهن حيث نجد الاديب العراقي فاضل الكعبي يقول في كتابه (العلم الخيال في أدب الأطفال) يقول: - " هل يعقل أن نكتب لأبناء هذا الوقت باللغة والمنهجية

والاسلوب والايحاء والاجواء نفسها، التي كنا نكتبها لأبناء القرن الماضي؟ "

ولكن في اعتقادي ليس الكتاب أو المواضيع التي يتطلب ان تغير انما هو الوسيلة التي تنقل تلك المعلومة فالخير هو الخير سواء في الماضي أو في الحاضر أو المستقبل، وكذلك هو الشر فنحن نرى اعمال منذ مئات السنين لازالت تتربع على أدب الطفل وتهم الطفل بل ان بعضها صارت عالمية مثل اعمال كتاب عظام امثال الدنماركي هانس كريستيان اندرس والتي تحولت إلى رسوم متحركة كمادة بصرية تبث وتعرض لتخرج بالصوت والصورة والحركة عبر التليفزيون والسينما والمسرح، والحواسيب والهواتف المحمولة من خلال اليوتيوب والقنوات الفضائية بمساعدة وسائل اتصال كثيرة كالأقمار الصناعية والشبكة الدولية للمعلومات الانترنت. منهجية واسلوب وايحاء هانس لازالت هي ولكن الذي تغير هو طريقة التقديم والعرض، اذن من خلال ما تقدم فان أدب الطفل يحتاج إلى تفنن في طريقة التقديم والعرض فبعد ان كانت الوسيلة شفوية عن طريق الجدات والامهات صارت تتطور إلى كتب ورسوم ورقية والى ان صارت تقدم عبر الانترنت والقنوات الفضائية.

حقيقة أدب الطفل في ليبيا ظهر منذ القدم من خلال الأدب الموجهة للطفل شفوياً حيث كانت هناك موضوعات أدبية تحاكي الطفل من خلال ما تقدمه الامهات والجدات من آداب وعلوم من اجل تثقيف وتنوير فكر الطفل حيث كانت هناك الحكاية الشعبية الشفوية تقدم للطفل بسرد مشوق من قبل الامهات والجدات وكانت هناك الأغاني الهادفة والمشوقة التي تغنيها الامهات والجدات من اجل امتاع وتنوير عقل الطفل، وكانت هناك الالغاز والاحاجي، هذا الأدب الشفوي الموجهة للطفل خزن في عقول الأطفال وصار من مخزونها الثقافي واستفادوا منه كثيراً في حاضرهم ومستقبلهم، بعضهم ترسخ في فكره وحوله بعد أن صار يافعاً إلى دراما في الكتب والتليفزيون .

ظهر أدب الطفل في ليبيا شفوياً من خلال الحكايات والاساطير والأغاني والألغاز الشعبية ومن خلال سرد سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن خلال السرد المبسط لسير الانبياء وقصص الهلالية وسيرة عنتر بن شداد والزير سالم.

وقد افاد الأدب الشفوي أدب الطفل الليبي خاصة ما كانت تقدمه الأم فالأم هي المدرسة الاولى التي يتلقى فيها الطفل

تعليمه وتنشئته الاجتماعية. هذا الأدب الشفوي افاد الكثير وصار في مخيلتهم وافكارهم بل ان بعض مما تلقوا هذا الأدب طوره واستلهموا منه قصص وحكايات وكانت سبباً في نجاحهم الأدبي سواء في الغناء أو القصة أو المسرحية أو الرواية. نتيجة للأدب الشفوي للطفل الليبي ظهرت قصص قصيرة وطبعت في كتب، كما ظهرت اغاني واذعت وبث في الراديو والتليفزيون. كما نجد من الكتاب من تخصص في أدب الأطفال مستلهماً من الأدب الشفوي حيث نذكر على سبيل المثال ما قدمه الشاعر عبد المطلوب محمد من اشعار غنائية مستوحاة من الأدب الشعبي الليبي موجهة للأطفال ومعظمها عموماً مستلهم من الأدب الشفوي للطفل الليبي. أدب الطفل في ليبيا متنوع منه العربي والتباوي والتارقي والامازيغي والافريقي والاوروبي والاسيوي وحتى اليهودية وفق التركيبات الليبية التي عاشت وتعيش في ليبيا فمثلاً نجد في التراث التباوي في ليبيا كثيراً ما كان التباوي يسرد على أسرته وأصدقائه الحكايات التي حدثت له في الخلاء خاصة من الرعاة والصيادين والمحاربين، من تلك الحكايات حكاية (الكذاب والجمجمة) وهي حكاية تباوية تحكي حكاية شخص كذاب كان كذبه وجمجمة سبباً في قتله، في الحكاية التباوية قد تكون الشخصيات من الحيوانات والطيور المتواجدة بالبيئة التباوية كحكاية (الحمار والهدهد)، حكاية (التيس والأسد)، حكاية (الثعلب والأسد)، حكاية (الأسد والذئب والثعلب)، حكاية (ميثاق الغابة)، حكاية (النصائح الثلاث)، و(حكاية الأرنب والعنزة)، حكاية (حوار المجانين)، حكاية (يوم قتل الشيطان)، وأسطورة (نانادي)، وحكاية (الكذبة التي أعجزت السلطان)، حكاية (المرأة والجمل) وهي لا تختلف عن الحكايات الهندية والإغريقية التي جاءت شخصياتها من الحيوانات والطيور. كما يمكن أن تكون بين إنسان وحيوان مثل حكاية (التمساح والرجل) أو بين إنسان وجن مثل حكاية (موشي والشاب والشيخ)، وأسطورة كازوراء موشي والجنية التي تضرب الأطفال وتدخل البيوت بدون أستاذان. الحكاية الليبية عموماً والتباوية خصوصاً هي حكاية هادفة القصد منها إعداد مناهج للتنشئة الاجتماعية للمستهدفين بالتنشئة خاصة الصغار، ليس كل الحكايات التباوية للصغار بل أن أول ما يتداولها الكبار ويتم تهذيبها وإعدادها بشكل يتناسب مع قدرة الصغار في الفهم .

في ظل ما تراكم من أدب للطفل في ليبيا نجد انه لم يتأخر عن باقي أطفال العرب والعالم خاصة وان ذلك ظهر واضحاً في الناجحات التي تحصل عليها الليبي اينما

حل في العالم، ولكن المشكلة تكمن في الوسيلة التي تنقل هذا الأدب للطفل والدعم المفقود لكتاب هذا النوع من الأدب والتدريب الفني والعلمي لإخراج ما يكتب على شكل صور وصوت وحركة في شكل افلام سينمائية سواء بالرسوم المتحركة أو غيرها .

في ليبيا كانت هناك اغاني لترقيص الطفل الصغير أو الترجيب أو الهدهدة وهي اول ما تصل إلى الطفل بعدها كانت الحكاية القصيرة جداً، بعد ذلك يعطى الطفل في مرحلة عمرية معينة قصص وحكايات وخرافات اطول مثل نقارش وأحميده بن السلطان نص انصيص وأم بسيسي، وحكايات عن الغول، والجن أو موشي كما يطلق عليه التبو، هذا وقد أشير بأن اهم القصص الشعبية الليبية التي كان ما تعارف عليها الليبيين قديماً وكما يشير احد المصادر هي حكايات (كوبسيس الليبية)، والتي اشار المصدر بانه قد تم العثور على ثلاثة منها من قبل الدكتور علي فهمي خشيم وقد ترجمها إلى العربية ونشرها في كتاب بعنوان (بحثاً عن فرعون العربي) عام 2001م، وهي تمثلت في حكاية (النسر الجريح)، (أفعى العطش)، (الغولة الحسناء)، والتي اشير بان الدكتور علي فهمي خشيم قد اشار بانها تنافس شهرتها قصص (ايسوب) في التاريخ الغربي وقصص (كليلة ودمنة) في تاريخ الشرق، واشير بان هذه الحكايات الثلاث كانت بمكتبة الاسكندرية وخرجت منها في القرن الثاني الميلادي إلى روما، وهناك اخذها الشاعر نيكوستراس ومزجها مع مجموعة قصصية يونانية وترجمها إلى اللاتينية، كما اشير كذلك بان السيدة هنربيت سكسك فراج جمعت مجموعة اخرى من القصص الشعبية الليبية واعدتها في كتاب بعنوان (يا حزاركم) وذلك عام 1991م، كما اشار المصدر وذلك بعد ان تم تهذيبها وتنقيحها جيداً وتبسيطها لتكون سهلة لتلاميذ الصف الخامس والسادس الابتدائي لفئة عمرية معينة لتساعدهم على تقوية ملكاتهم الانشائية، واشير بان هذا الكتاب (حزاركم) قد ضم تسع قصص وهي (عطية، جهنم، ذكاء، لا يعرف بالرجل سوى صاحبها، راس العروس، سباق، مصيبة حمار، وصية الشيخ سالم، جائعان)، واشير بان السيدة هنربيت قد ذكرت في مقدمة كتابها (حزاركم) قد ذكرت بان لهذا الكتاب جزء ثاني. ومن الكتب أهتم بها الأطفال كذلك كتاب الدكتور محمد سعيد القشاط وهو بعنوان (من القصص الشعبي في الصحراء) عام 1996م وقد اشير بان هذا الكتاب ضم عشرة موضوعات اغلبها عن الطيور والحيوانات والحشرات، كما حفظ بعض الطلاب من البنين بعض الاشعار من الكتاتيب ابان العهد العثماني وقد تثقف

بعضهم وتعلم امور الدين والسيرة النبوية واللغة والنحو والصرف من تلك الكتاتيب (7).

كما ساهمت الحركة الكشفية الليبية في الستينات من القرن العشرين في نشر أدب الطفل من الاناشيد والتعاليم والارشادات التي كانت تقدمها لأشبالها من الكشفيين ومن خلال مجلتها (جيل ورسالة)، كما اشير بان البداية الحقيقة للتأليف ونشر أدب الطفل في ليبيا كانت في بداية السبعينات من القرن العشرين بإصدار لمحمد عبد الله الزكرة تحت عنوان (الفلاح السعيد) و(بوبي الظريف) عام 1970م من خلال مطبعة محرم، بعد ذلك تم اصدار قصة (التفاحة الاثمة) عام 1973م عن طريق مطبعة الزهراء بمصر، بعد ذلك صارت هناك اصدارات اخرى صدرت عن الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان عام 1974م منها (حكايات جدتي)، و(كتاب الطفل)، و(البساتين الجميلة)، كما اشير بانه قد ظهر بعض الكتاب للطفل مثل الكاتب يوسف الشريف وخليفة حسين مصطفى وسالم الاوجلي، كما ظهر في ساحة أدب الأطفال في ليبيا منذ تلك الفترة وإلي الآن عدة كتاب ما زالوا يعطون الأطفال قصصاً وكتباً قيمة، نذكر .(8).

كما ظهرت مجلات وزوايا في صحف ومجلات تحاكي الطفل مثل مجلة الأمل ومجلة الاسرة والبيت بعد ان ظهرت الصحافة في ليبيا وبدء انتشار بعض الكتب والصحف والجرائد ظهرت بعض الصحف التي كانت للكبار واستفاد منها الصغار مثل جريدة ابو قشة التي صدرت في العهد العثماني الثاني وهي جريدة كشكولية هزلية كانت تصدر كل اسبوع مرة وقد استمرت إلى عام 1911م، حيث كانت هذه الجريدة منهل من مناهل الأدب سريع الانتشار بين الكبار والصغار وقد رسخت في اذهان الكثير من الأطفال العصر التي كانت تظهر فيه وقد اسسها محمد الهاشمي في طرابلس .(9).

كما ظهرت في طرابلس عام 1918م ابان الاحتلال الايطالي لليبيا جريدة جيبلي وهي جريدة مصورة كانت مواضيعها فكاهية وكانت هي الاخرى منهل جيد من المناهل التي استفاد منه الطفل الليبي، وقد استمرت هذه الجريدة إلى عام 1919م، كما ظهرت جريدة صوت المربي عام 1955م، كما ظهرت صحف ومجلات اخرى مثل جريدة " هنا طرابلس الغرب " والتي اشير بانها قد نشرت على صفحاتها قصة خيالية بعنوان " سبب ملح البحر" وذلك في عدد يوليو عام 1954م، كما اشير بان جريدة " برقة الجديدة " الاسبوعية في الستينات من القرن العشرين قد نشرت

على صفحاتها بعض الملاحق للأطفال وكذلك جريدة الحقيقة، ومجلة المرأة، ومجلة الجيل التي اشير بانها خصصت ملحق بعنوان " مع حلقة الاشبال " عام 1965، وكذلك مجلة الاذاعة بملحقها للصغار فقط عام 1968م. ومجلة ليبيا الحديثة بملحقها الليبي الصغير ومجلة الامن والمجتمع بملحقها الفصلي.

كما كان هناك دور في ابراز أدب للطفل في جريدة الحقيقة عام 1964م والتي اصدرها محمد بشير الهوني في بنغازي وهي يومية سياسية جامعة واستمرت إلى عام 1972م كان من ابرز كتابها الصادق النيهوم وعبد ربة الغناي وغيرهما وقد نشر فيها الصادق النيهوم عدد من قصصه الشهيرة للأطفال التي كانت تعبر عما يكنه في نفسه للمجتمع واصدرت فيما بعد في كتاب ورقي، كما ظهرت جريدة الرواد عام 1964م وهي شهرية وابرزت بعض الموضوعات في أدب الطفل، كما ظهرت الليبي الصغير عام 1965م، والمرأة عام 1965م وهي شهرية تعنى بالمرأة والبيت التي اصدرتها ادارة المطبوعات في طرابلس واستمرت إلى عام 1969م وجميعها كانت تظهر بها بعض الموضوعات عن أدب الطفل.(10)

كما ظهرت بعد سبتمبر 1969م صحف وجرائد ومجلات اخرى برز فيها نوع من أدب الطفل من اهم تلك الصحف والمجلات خلال الفترة من 1 سبتمبر من عام 1969م إلى عام 1971م هي، المرأة الجديدة عام 1970م، ورسالة التربية عام 1971م.(11)

كما اصدر الكاتب عبد الحميد محمد عامر كتاب بعنوان " أدب الأطفال في ليبيا – دراسة في مضمون القصة " عن منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والاعلام، كما قامت الكاتبة اسماء مصطفى الاسطى بإصدار كتاب " النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا 1921-2005"، وفي عام 2006م اصدر مجلس الثقافة كتاب تحت عنوان " أدب الأطفال في ليبيا " من تأليف الكاتب سالم احمد العواسي، كما اشير بان الكاتب يوسف الشريف قد قام بافتتاح مكتبة خاصة بالأطفال بمدينة طرابلس عام 2008م تحوى مجموعة من كتب خاصة بأدب الطفل، وقد اشير بانه كانت هناك جهود من بعض الشخصيات في نشر أدب الطفل مثل جمال الدين الميلادي في العشرينات من القرن العشرين حيث اشير بانه ساهم في وضع مناهج تربوية فعالة لتثقيف الطفل.(12)

كما ظهرت صحف ومجلات ليبية خلال الفترة من 1977/3/2 إلى 2011/2/16 حيث ظهرت صحف وجرائد ومجلات ظهر على بعض صفحاتها اشياء تخص

الطفل والطفولة حيث برزت الفجر الجديد والجماهيرية والشمس والزحف الاخضر ومجلة لا، ومجلة الامل وهي للأطفال.

كما كان للراديو عند ظهوره ليبياً خالصاً عام 1957م دور في ابراز نوع من أدب الطفل حيث قدمت فيه بعض البرامج وتمثيليات التي كانت تحاكي الطفل، كما قدمت اغاني للطفل تحاكي الطفل وبرز كتاب تربويين موجهين كتاباتهم للأطفال امثال محمد السوكني الذي قدم برامج اجتماعية مثل " مرشد اجتماعي" وقدم اغاني للطفل مثل " هات الشنطة ايش خذيت اليوم يا حسين "، كما قام الشاعر عبد المطلوب محمد بتأليف اغاني للأطفال قام الأطفال بغنائها وكان نشط في هذا المجال في السبعينات من القرن العشرين.

قامت الدولة الليبية وبعض المكتبات الخاصة باستجلاب مجلات وكتب قصصية للأطفال في السبعينات اضافة إلى ما كانت المراكز الثقافية الاجنبية والعربية تعرضه في مكتباتها مثل المركز الثقافي المصري وغيره، وقد كان من أهم الكتب والمجلات التي جلبت للأطفال وفق سننهم العمرية (سبورمان) و(الوطواط) و(طارق) و(سمير) و(ميكي) ومجلة (ماجد) و(سندباد) وكتب الالغاز التي كانت تجلب من مصر والتي كانت لمرحلة عمرية معينة.

كما كان للتليفزيون دور في نشر برامج موجهة للأطفال على شكل رسوم متحركة اجنبية غير مترجمة في بداية بث التليفزيون الليبي الذي بدأ عام 1968م حيث ظهرت حلقات ميكي ماوس وغيره، بعدها ظهرت عروض للعرائس المتحركة، وبعد ذلك بدأ التليفزيون الليبي يجلب برامج للأطفال على شكل رسوم متحركة مثل توم وجيري وسندباد وقصص وحكايات علمية مثل بائعة الكبريت وغيرها.

مع بروز الفضائيات وظهور صحون استقبال وانتشارها في بداية التسعينات بعد ان كانت ممنوعة ودخولها بتصاريح امنية من الامن الداخلي لعامة الناس، وبعد التطور الذي حدث في وسائل الاتصال والتكنولوجيا وانتشار الانترنت والقنوات الفضائية قلة إلى درجة كبيرة الاعتماد على الوسائل الورقية في أدب الطفل الا ما كان يقدم للتلاميذ في مراحل التعليم الاساسي. صار الطفل في ليبيا يعتمد على البرامج التي تقدمها الدول الاخرى خاصة في برامج الرسوم المتحركة، وبعد ذلك صار الطفل الليبي يعتمد على قنوات فضائية خاصة بالأطفال اسستها دول اخرى مثل اسبيس تون، وطه،

وطيور الجنة، وماجد، وسي ان عربية الخاصة بالأطفال والتي مازال بعضها ينقل للطفل الليبي ما تعده الدول الاخرى وهذا في اعتقادي خطر على الطفل الليبي خاصة وان بعضها ممنهج فكريا وبعضها ديني كالقنوات المسيحية التي تعرض رسوم متحركة تسرد قصص وسير رسل وانبياء سرداً مغلوطاً، وقناة طه التي تخاطب الطفل الشيعي وتبث التفكير الشيعي، وغير ذلك من القنوات .

بعد الثمانينات من العشرين صارت هناك رسوم متحركة من انتاج ليبي بسيطة ناقدة للوضع الاجتماعي، تقبلها بعض الأطفال وكانت تهل في العادة في شهر رمضان مثل الحاج حمد وغيرها، كانت هناك بعض المحاولات في مجال الرسوم المتحركة في ليبيا الا انها توقفت لأسباب متعددة.

بعض من الباحثين يقولون بان ليبيا تشهد انتعاش في أدب الطفل لوجود العديد من المجلات والصحف الطفلية وكثرة الكتاب والمبدعين الذين يهتمون بالأطفال حيث يقول الدكتور جميل حمداوي في ذلك: - " تعتبر ليبيا من أهم دول المغرب العربي التي أعطت عناية كبيرة لأدب الأطفال صحافة وشعراً ومسرحاً وروايةً وقصةً وحكايةً. واستطاعت ليبيا بفضل مجهودات المبذولة في ظرف زمني وجيز أن تحقق النجاح والأزهار في مجال ثقافة الطفل، من خلال توفير البنيات الثقافية العديدة كبناء المسارح وتوفير المتاحف التشكيلية وإيجاد قاعات السينما وبناء معاهد الموسيقى وتشييد المكتبات العامة والخاصة وتطوير المنشآت والمؤسسات الطابعة. كل هذا ساهم في ترقية أدب الأطفال في ليبيا وانتعاشه في جميع الأجناس الأدبية والفنون الجميلة، إلى أن أصبحت ليبيا اليوم تنافس الدول العتيدة في مجال أدب الأطفال كمصر وسوريا والأردن والعراق.. والدليل على انتعاش أدب الأطفال في ليبيا وجود العديد من المجلات والصحف الطفلية، وكثرة الكتاب والمبدعين الذين يهتمون بالأطفال كتابة ودراسة ونقدا وتوجيها .(13) "

وهذا في اعتقادي فيه شيء من الغلط فالكتاب المتخصصين للأطفال قليلون جدا وإصدارتهم شحيحة وكل الذين كتبوا للأطفال لا يتجاوز عددهم اصابع اليد الواحدة وكذلك في المجلات هي محاولات بسيطة، كانت هناك مجلة واحدة للطفل هي مجلة الامل والتي كانت تنقطع عن الاصدار بين فترة واخرى لسنوات وكذلك كانت هناك مجلة البيت أو المرأة تقدم شيء للطفل هي الاخرى كانت كالإنسان المريض مرة يشفى وينشط ثم يعاوده المرض ويبقى طريح الفراش وهكذا هو أدب الطفل في ليبيا، وكذلك في المسرح الذي يقدم للطفل هي مجهودات فردية

من بعض اساتذة المسرح بدون دعم وهي قليلة جداً لا ترقى إلى ان نقول ان هناك مسارح ثابتة للطفل في ليبيا، وكذلك في الاشعار والأغاني، نهيك عن الافلام السينمائية والمسلسلات التي تحاكي الطفل اضافة إلى الرسوم المتحركة التي تعد الان من اهم الوسائل التي توصل الفكرة وتهذب النشء هي معدومة في ليبيا (14).

ثانيًا أهم وسائل نقل أدب الطفل في ليبيا:

مرت ليبيا في نشر أدب الطفل مثلها مثل الدول الاخرى وكانت في البداية شفوية إلى انتهت الان بالأنترنت والفضائيات وتعد هذه الوسائل وتواريخها هو تاريخ لأدب الطفل في ليبيا.

1 -الوسائل الشفوية: تعددت الانواع الأدبية والوسائل التي كانت تنقل الأدب للطفل، حيث كانت في ليبيا اهم تلك الوسائل السرد الشفوي من الجدات والامهات من خلال الحكايات والاساطير والخرافات والأغاني الشعبية، والذاكرة الليبية تحوي مخزون كبير من ذلك الأدب الموجهة للطفل وحتى الشاب فنجد هناك في التراث الليبي عامة من عرب وتباوي وامازيغي وتارقي وحتى المكونات الاخرى التي عاشت في ليبيا كاليهود. كانت هناك الحكاية والخرافة والاسطورة التي تقدم للطفل شفوياً مثل حكاية أحميده بن السلطان وحكاية نقارش وحكاية عويشة والغول وحكايات الغول وحكاية ام بسيسي وخرافة تانس واطلانتس، وحكاية الكذاب وحكاية الاسد والحمار وهي من الأدب والتراث التباوي، والتارقي والامازيغي والعربي والافريقي وحتى الاوروبي والاسيوي الذي يحويه الأدب الليبي.

ومن الأغاني التي قام الأطفال بتأليفها اغاني كانت منتشرة عندما يقبل شهر ذو الحجة كان الأطفال خاصة البنات يتغنين بأشعار من تأليف الأطفال من تلك الاغنية التي كانت تؤدى جماعياً من اثنان إلى خمسة أطفال حيث كانت تمسك كل طفلة اخرى ويسرن وهن يرددن :

دج.. دج

بآتي عد للحج

جبلنا شوى لوبان

قسمنا على الجيران

عطينا الولية اضربتنا بالحكية

عطينا العجوز اضربتنا بالعكوز"

وفي الاعياد الدينية كان الأطفال بنين وبنات يرددون اغاني من التراث الليبي وقد رسخت في اذهان الأطفال وصارت مورروث يتقنه الأطفال ففي المولد الشريف

كان الأطفال يخرجون بقناديلهم مرددين اغنية تقول - :

هذا قنديل وقنديل يشعل في ظلمة الليل

هذا قنديل الرسول فاطمة جابت منصور

هذا قنديلك يا حواء يشعل من البرح لا تواء

هذا قنيدل النبي فاطمة جابت على"

نجد هنا بان الأغاني هذه جاءت شفوية وهي تعد الان من التراث الأدبي الليبي الخاص بالطفل، وهي تمثل وتحكي تاريخ المجتمع الليبي وفرحة الأطفال بهذا الموسم الذي تأتيهم فيه الهدايا، كما ان الجيران تأتيهم هدايا هم كذلك ولهذا تجد المجتمع مترابط والجميع فرحان سواء كان اهل الحاج أو جيرانه، كما تبرز لنا بعض المصطلحات التي كانت سائدة في ذلك الوقت مثل باتي أي ابي، وجبلنا أي احضر لنا، والولية أي المرأة، وشوى أي قليل، والحكية وهي علية الصفيح، وجابت أي ولدت، والبرحْ أي ليلة أمس، وتواء أي الآن.

وايضا من الأغاني التي كان يتغنى بها الأطفال في ليبيا ما كان يصاحب عادة استجلاب الامطار بدمية من الخشب والقماش والتي يطلقون عليها أم قطمبو، حيث كانت النسوة عندما تتأخر المطر يصنعن دمية من الخشب ويلبسنها قميص لامرأة كريمة ليأخذها الأطفال ويمضون بها مرددين اغنية تقول- :

"حن علينا يا مطلوب والزريعة تحت الطوب

ام قطمبو جيا بصخيبها طالبه المولى ما يخيبها

ام قطمبو يا لصغار جيا تشحت في الامطار

ام قطمبو بصخيبها تطلب ربي ما يخيبها

الزريعة تحت الطوب حن عليها يا مطلوب

الزريعة بددناها حن عليها يا مولاها

حس أجدى قال ماء يريد نقيطة من السماء"

وهذه العادات كانت تمارسها مجتمعات وأطفال أخرى مثل المجتمع التونسي، ومصطلحاتها كان يتخاطب بها الليبيون. كما كان الطفل الليبي يحفظ بعض الأغاني الشعبية التي كان يلقيها الكبار في الافراح والتي تعد جزء من أدبه وتراثه.

2 -الكتاب الورقي: ظهرت في الصحف والجرائد والمجلات وهي قليلة رغم الكم المعقول من الصحف والجرائد والمجلات التي عرضت أدب خاص للطفل ففي مجال الشعر يبدو أن شعراءنا مقصرون تجاه الطفولة علي الرغم

ظهرت في كتب الصفوف الابتدائية أشعار واناشيد رسخت في اذهان التلاميذ من سن السادسة وما فوق مثل من ديكي.. ديكي أنت صديقي، وكذلك قصص صغيرة شخصياتها حيوانات كالحمار والثور والثعلب والاسد والفار وهذه جاءت في المطالعة والمحفوظات والنصوص.

قام بعض من الشعراء والكتاب بمحاولات لكتاب الشعر للأطفال رغم انهم من فحول الشعراء امثال حسن السوسي الذي أصدر ديوانا يحاكي الطفل بعنوان " الزهرة والعصور " وقد صدر عن الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان سنةم، 1992 كما أصدر عبد اللطيف المسلاتي ديوان شعر بعنوان " 02 قصيدة للأطفال الجزء الاول ذاكرة الطفولة " عام 5991م وهو من ديوان مائة قصيدة للأطفال، وقد ضم هذا الديوان عشرين قصيدة نذكر منها قصيدة (معادلة) والتي تقول مقدمتها: -

خلقاً من بعد خلقٍ

جئنا فرادى.

حفاة عراة

..

وسنرجع – هكذا – واحدا، واحدا.

فمن أين جئنا بالأمسِ

والى أين سنرحلُ في الغدِ

يا ترى؟.(15)" !

وكذلك قصيد (كيان) والتي تقول ابيات منها- :

"خلقاً من ْ بعد خلقٍ

أتينا على حينِ غفلةٍ – منا –الى

حيث جئنا.(16) " ...

وقصيدة (سيميا تكوين) والتي يقول مطلعها- :

"خلقاً منْ بعد خلقٍ

جبلنا على هيئة من الطين تارةً

ثم صرنا إلى كل ما في الطبيعة من عناصر.(17)" ...

الملاحظ ان الديوان اضافة إلى القصائد المبسطة مزود بالرسوم من رسومات المؤلف وهي رسوم بسيطة ومعبرة تجذب الطفل وتجعل مخيلته تسبح في فضاء الفكر.

3 -المكتبة المدرسية: تعد المكتبات المدرسية من الوسائل التي تنقل أدب الطفل ولهذا كانت هناك مكتبات مدرسية بالمدارس وكانت هناك مادة المكتبة عملي ونظري، هذا وقد اشير بان اول مكتبة مدرسية تأسست في ليبيا كانت عام 1770م على يد مصطفى الكاتب بن قاسم المصري، وقد اشير بان بدايات تأسيس المكتبات المدرسية بشكل رسمي كان ما

بين عام 1944م إلى عام 1945م حيث كان المحاولة بواسطة نظارة برقة، ثم توقفت، بعد ذلك وكما يشير احد المصادر تم أنشاء مكتبتان عامتان في بنغازي والمرج كان بها قسم خاص بالأطفال، وفي السبعينات زاد عدد المكتبات العامة وانتشرت في ارجاء ليبيا، كما صار لكل مدرسة مكتبة خاصة بها.(18)

كانت معظم المدارس الابتدائية في ليبيا متواجد بها مكتبات تحوي كتب ورقية للأطفال كتبت خصيصاً للأطفال ذات شهرة عالمية مثل الاقزام السبعة وذات الرداء الاحمر وسندريلا وبائعة الكبريت، اضافة إلى انه كانت هناك مادة تعرف بالمكتبة فيها التلاميذ يذهبون لمكتبة المدرسة ويطلعون على ما فيها من كتب تخص الطفل، ولكن للأسف هذه المادة وهذه المكتبة تم الغاءها بدل ان يتم تطويرها لتواكب العصر خاصة بعد تطور وسائل الاتصال وتوفر المعلومة والكتب الالكترونية بعد ان كانت وزارة التعليم تجلبها بعد عناء ومشقة، من هذه المكتبات وهذه المادة نمت عقول عدد كبير من التلاميذ وساعدت على اقتحامهم مجال الكتابة والتأليف، كما ساعدتهم بان يتعمقون في التعليم ويبحثون عن النجاح في شتى العلوم.

4 -المسرح: بظهور المسرح في ليبيا بدأت الحركة الأدبية التي ينشرها المسرح في ظهور بعض الأدبيات التي اهتم بها الطفل وكان لها تأثير في فئات عمرية معينة، كما كان هناك الكركوز أو خيال الظل منتشراً بين الأطفال في ليبيا ابان العهد العثماني والعهد الايطالي والعهد الملكي وقد ساهم بعض الموضوعات الثقافية للأطفال بواسطة بعض الهواة والمثقفين امثال بازاما والذي صار كراكوزه يعرف بكراكوز بازاما.

مع تأسيس الكثير من المسارح نشطت الحركة المسرحية في عدة مدن من ليبيا منها المسرح الذي اسسه محمد عبد الهادي عام 1928م في درنة والذي اشير بانه اول من اسس الحركة المسرحية في ليبيا، بعد ذلك انتشرت المسارح في طرابلس وبنغازي. بعد ذلك ظهرت المسارح المدرسية حيث اشير بان اول ظهور له كان عام 1946م في عدد من المدارس حيث صارت المدارس تلحق بها مسارح، وفي عام 1976 تم تأسيس مسرح الطفل في طرابلس حيث قدم هذا المسرح وفق ما تشير المصادر عدد من المسرحيات مثل مسرحية (ثعلب من غير ذيل) وكانت عام 1977م، ومسرحية (الكلمات الطيبة)، ومسرحية (قدقود والسر العجيب)، ومسرحية (فرفور وكعبور)، ومسرحية (عهد الابناء) وكان

جمهور المشاهدين والمستمعين لها من الأطفال، وكان هناك بعض المسارح تخرج لتقديم عروضها بالمدارس، وكانت هناك مشاركات محلية وعربية ودولية. كما اشير بان هناك عدد من الاصدارات المسرحية التي كانت تخص الطفل مثل مسرحية " الصراع الابدي " عام 1970م، ومسرحية " مسرحيات تربوية " عام 1974م لمهدي ابو قرين.(19)

كما ظهر مسرح السنابل للطفل في بنغازي وقدم بعض الانتاج الخاص بالأطفال كما قام المسرح ومديره الفنان رجب العريبي بتدريب جيل من الأطفال والبالغين في شتى انواع الفن والاعلام وبرز منهم المذيعين والمطربين، ولكن ولقلة الدعم تعطل المسرح، كما ظهرت مسارح اخرى للطفل ولكنها مهملة واقيمت لأغراض معينة كالاستفادة من مخصصاتها مثل مسرح الأم والطفل في بنغازي .

5 -الراديو: بظهور الراديو في ليبيا وانتشاره على نطاق واسع عام 1957م صارت هناك برامج اذاعية تذاع من الاذاعة الليبية خاصة بالأطفال تقدم فيها المعلومة والتمثيلية المعبرة للطفل وبعض الأغاني التي تغنى بها الأطفال معظمها من اشعار كتاب من ليبيا امثال الشاعر عبد المطلوب محمد وغيره.

كما قام الاستاذ والفنان رجب العريبي بتأسيس اذاعة لطفل تبث عن طريق الراديو وهي قناة السنابل المسموعة المحلية اف ام وقد ساهمت في نشر المعلومات للطفل وكانت تبث برامجها على الهواء في حدود مدينة بنغازي وكان يشرف عليها فنياً الاستاذ رجب العريبي وأكرم العريبي، ولقلة الدعم من جهات الاختصاص تم توقف هذه القناة.

6 -السينما: بظهور السينما في ليبيا ابان العهد الايطالي في العشرينات من القرن العشرين صار هناك رواد لتلك الوسيلة التي تعرض الدراما بالصوت والصورة، وصارت تعرض فيها افلام سينمائية جذبت الكثير من الأطفال في مراحل عمرية معينة خاصة افلام الحركة والمغامرات امثال افلام طرازان وزورو وسبورومان والافلام التي بعض شخصيات من الحيوانات، اضافة إلى ما أنتج من افلام كرتونية.

اضافة إلى ان بعض المترددين على السينما كانوا يحكون ويسردون تلك الافلام التي شاهدوها على بعض الأطفال وكان الأطفال يتخيلون ما يحكى لهم كل بطريقته ومخيلته.

والسينما لم تدوم طويلاً في ليبيا لو قلنا بانها قد ظهرت في اواخر العشرينات من القرن العشرين وانتهى دورها في بداية

الثمانينات من القرن العشرين رغم ان هناك مخصصات لإنعاش هذا القطاع المهم.

7-التليفزيون: عندما ظهر التليفزيون سنة 1968م برزت معه أدبيات تخص الطفل ولكن اغلبها كان بنهكة اجنبية حيث ظهرت الرسوم المتحركة الاجنبية مثل ميكي ماوس والطفل الابيض، اضافة إلى حلقات الرسوم المتحركة والعرائس المتحركة والتي كانت تقدم كذلك على المسارح والتي تخاطب عقول الطفل، كما ظهرت بعض البرامج التي كان يعدها بعض من الليبيين غير المتخصصين حيث كانت بداية للبرامج التليفزيونية الليبية وهي برامج خاصة بالأطفال بها اغاني للأطفال. ومع تطور وسائل الاتصال وظهور الفضائيات صارت هناك منافسة قوية للتليفزيون الليبي رغم انه قدم الكثير من الاعمال .

بظهور التليفزيون في ليبيا عام 1968م ظهرت وسيلة تساهم في تقديم شيء من تقديم ونقل أدب للطفل الليبي حيث ظهرت برامج للأطفال تحاكي الطفل في ليبيا وتقدم له المعلومة والحكاية والاغنية وكان خلف هذه البرامج كتاب وفنيين ومخرجين.

كما ظهرت حلقات للرسوم المتحركة التي كانت موجهة للطفل من اجل الترفيه رغم انها قدمت بدون دراسة وهي تهم امم وشعوب بعضها يسرد تاريخها، وبعضها غير تربوي وافكارها لا تتمشى مع عادات وتقاليد المجتمع الليبي.

من خلال التليفزيون الليبي ومن خلال برامجه الموجهة للطفل صار هناك نوع من أدب الطفل الذي يحاكي الطفل وتعلق الطفل الليبي بهذه البرامج سواء كانت برامج مباشرة أو غير مباشر أو حلقات للرسوم المتحركة رغم ان حلقات الرسوم المتحركة هي التي صارت تطغى على فكر الطفل نهيك عن بعض المسلسلات والتمثيليات والافلام التي كانت موجهة اساساً للكبار.

اطلاع الطفل الليبي على أدب غير مكتوبة من التليفزيون وصار يخزن في فكره ويؤثر في تنشئته الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية والتي كان النظام يقدمها من خلال بعض الشعارات الفكرية التي تعرف بالنظام.

ان ما قدمه التليفزيون من خلال بعض ما اعداده بعض الكتاب من برامج موجهة للطفل ومن خلال ما الفه بعض الشعراء من اغاني كانت تخاطب الطفل كانت سبباً في ابراز نوع من الأدب نستطيع ان نقول عليه أدب المشاهدة والاستماع وهو نوع من ارسال الرسائل الأدبية للطفل وهو يعد من اهم الوسائل الأدبية التي ترسل للطفل

لعدة اسباب منها سهولة الحصول على تلك البرامج اضافة إلى قرب التليفزيون من الطفل خاصة وان التليفزيون صار في كل بيت من ليبيا.

8-الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت: والتي يظهر ما تنشره عبر الحواسيب والهواتف الذكية حيث يظهر فيها الكثير من الكتب الالكترونية والتي اعدت في الماضي للأطفال في شكل كتب ورقي، وكذلك الدراما والبرامج بالصوت والصورة والحركة، وصار الاطلاع عليها من خلال الانترنت أو الاقراص المدمجة، وتبرز من خلال الحاسوب أو الهاتف الذكي.

9-اللوحات واللافتات الدعائية: كما تعتبر اللوحات واللافتات الدعائية سواء كانت المخطوطة والمعلقة على الحوائط والجدران أو تلك التي تظهر دعايتها من خلال الشاشات الدعائية الكبيرة المعلقة في الشوارع والميادين من الوسائل التي بالإمكان ان يتم فيها نشر المعلومة للطفل وفق السن العمرية. وطبعاً هذا معدوم في ليبيا.

ثالثًا أهم التحديات التي تواجه أدب الطفل في ليبيا:

لقد اشارت بعض الدراسات إلى ان صعوبة فهم الطفل، وصعوبة اخضاعه لمنهج التجريب، اضافة إلى عدم قدرته على التعبير، واضافة إلى الاختلاف في الوراثة والبيئة والثقافة تساهم في الصعوبة للكتاب للطفل بوجه عام، وفي هذا يقول الكاتب المصري الكبير توفيق الحكيم اثناء تسجيله حكايات للأطفال عام 1977م: - " ان البساطة أصعب من التعمق وانه لمن السهل ان اتكلم كلاماً عميقاً ولكن من الصعب ان انتقي واتخير الاسلوب السهل الذي يشعر السامع بأنني جليس معه ولست معلماً له وهذه هي مشكلتي مع أدب الأطفال.(20) " !

افتقار المكتبة الليبية خاصة والمكتبة العربية عامة لإنتاجات أدب الطفل وفي هذا يقول الروائي الكويتي طالب الرفاعي: - " للأسف، ما زالت المكتبة العربية لأدب الطفل، تدور في خانة الصياد والحمار والحمامة والديك والقرية، وهذه الأشياء على أهميتها ما عادت تمثل الواقع الحياتي الراهن. كما أنها تُقدم للطفل بطريقة بائسة محمولة على الوعظ والارشاد " (21).

أدب الطفل في الوطن العربي عموماً والليبي خصوصاً يعتمد كثيراً على الانتاج الاجنبي وهذا تحدي خارجي قد يكون مهدداً للطفل وفي هذا يقول احد المصادر:- " يعتمد انتاج كتب الأطفال على النقل أو الترجمة في المجتمع العربي نجد في المجتمع الغربي مجموعة من

كتب الأطفال دخلت موسوعة الارقام القياسية من حيث المبيعات وتم تحويلها إلى افلام سينمائية فأدب الطفل في الدول الغربية يحظى باهتمام وتقدير من الأطفال وجميع افراد المجتمع بينما أدب الطفل في عالمنا العربي ابتعد عنه الأطفال واتجهوا نحو الأدب الاجنبي وتحاور حياته اليومية.(22) "

وقد أشير بأن من اهم ما يميز أدب الطفل الناجح هو مراعاته لحاجة الطفل وقدراته وكذلك مراعاته لتحديد الاسلوب ليكون مناسباً لكل فئة عمرية للطفل وهذا نجح فيه عدد من الكتاب الاجانب، كما وفر عدد من الكتاب الاجانب المادة العلمية الجيدة وزينوا كتبهم بأغلفة جذابة للطفل وزودوها بصور ورسوم معبرة وذلك لجذب الأطفال للاطلاع عليها.

ونظراً لصعوبة الخوض في الكتابة في هذا النوع من الأدب أشير بأنه لم يقتحمه كبار الكتاب امثال الكاتب والروائي نجيب محفوظ والكاتب الإيرلندي برنارد شو (23).

يواجه أدب الطفل في ليبيا خطراً كبيراً بسبب عدم وجود مهتمين بهذا الأدب من المتخصصين في الكتابة للطفل خاصة وان الطفل يواجه عزو ثقافي كبير من كافة انحاء العالم بسبب القنوات الفضائية والشبكة الدولية للمعلومات الانترنت حيث ان هذه الوسائل صار تقتحم كل منزل وكل غرفة دون استاذان من أحد وصارت تقدم افكار وتوجهات لا حدود لها اغلبه هدام للفكر.

الكتابة للطفل من أصعب انواع الكتابة فهي تحتاج حنكة وبراعة، ولهذا نجد ان المتخصصين في هذا النوع من الأدب والكتابة فيه قلة، يقول الكاتب سليمان كشلاف في هذا: - " الكتابة للأطفال منتهى المسئولية لأنها تعطي تأثيراً سريعاً على عقول النشء، تحاول أن تصوغ تجارب الحياة ومختلف العلوم والمعارف في أفكار مركزة، وفي صياغة مبسطة ومكثفة وبطريقة تبتعد عن المباشرة ليكون استيعاب الطفل لها أكثر.(24) "

ظهرت محاولات من بعض الكتاب المعروفين في المجال الأدبي ولكن هذه محاولات لاقت نقداً من عدد من المتخصصين فعلى سبيل كتب الكتاب الصادق النيهوم مجموعة قصصية للأطفال بعنوان " من قصص الأطفال "، وهي تحوي سبع قصص كتبت للأطفال يقول فيها سليمان كشلاف على سبيل المثال: - " ما الذي يريد (الصادق النيهوم) أن يقوله لأطفالنا، بعد أن خرج خلفه صف من (الكتبة) يبشرون بخلاص الثقافة الليبية على يديه؟

من خلال أفكار ومضامين تلك القصص لا نجد الا التفاهة وضحالة التفكير على العقول.

فأن (يقتبس) قصة (سيدنا يوسف) مع (عزيز مصر) ليعطيها معنى آخر... أو يمسخ الصورة الجميلة في أذهاننا عن شخصيات شعبية من (جحا) إلى (أبو زيد الهلالي) و(الزناتي خليفة) إلى (الحسن البصري) ... شيء قد يكون مقبولاً، لو كان الهدف أن تحل قيم ومثل وأخلاقيات وسولك جيدة أفضل من أخرى قديمة، نريد أن يعرفها الطفل، ويفهمها، ويسترشد بها في حياته، لكن أن يكون كل ذلك في سبيل أن يلقن الطفل ألفاظ البذاءة وعدم احترام الأسرة ليعطي أفكاراً وقيماً معكوسة عن البشر فهذا هو المرفوض.

اننا لا نجد في هذه القصص الا تحريضاً على فئة معينة من الناس، وتزكية لسلوك وتصرفات أشخاص آخرين.(25) "

ومن خلال اطلاعنا على تلك المجموعة القصصية إلى كتابها الصادق النيهوم نجد انها بسيطة الاسلوب يستريح الطفل للإصغاء اليها والتعمق في قراءتها والاستماع لمن يقرأها وجاءت بأسلوب السرد الشفوي للجدات والامهات حيث نجد ذلك في السرد في قصة (عن مراكب السلطان) الاتي: - " كان يا ما كان

وكانت (جالو) ميناء في سالف الأزمان، وكانت تدعى ايضاً جوهرة البحار وترتادها سفن التجار والقراصنة.(26) "..

وكذلك في قصة (عن بائع الملح الطيب القلب): - " ثم كان يا ما كان

وكان في مدينة بنغازي زنجي عظيم طويل القامة يطوف الازقة بأكياس الملح ويضع الاحياء القديمة كل يوم وراء حماره المحمل اصبعه في أذنه وينادي بصوته الجهوري ملح.. ملح وكان الناس في بنغازي يدعونه (عبد الملح)، وكان الأطفال يرهبون رؤيته ويلاحقونه بعيونهم في صمت.... ".. ".. ولكن الزنجي كان يحب الأطفال، وكان يطلع لهم لسانه شديد الحمرة وصدر به صوتاً يشبه نقيق الضفدعة حتى يغرق الأطفال في الضحك .(27)"

أما في التربية والتهذيب والتثقيف نجد انها ابتعدت عن كل هذه المعاني حيث نجد فيها الالفاظ والعبرات المشينة والتحاور البذي حيث نجد ذلك واضحاً في قصة (عن بائع الملح الطيب القلب) في السرد الاتي: - " وقد جاءته امرأته على الفور وبصقت فوق وجهه .(28) "...

وفي قصة (عن أحسن لص في المملكة) نجد السرد التالي: - " من القصص غير المعقولة التي ترويها العجائز في بنغازي أنه لما مرض شيخ اللصوص وأحس بدنو

الأجل، جمع لصوص المملكة من ادناه إلى اقصاها حول فراشه ودعاهم إلى قراءة الفاتحة، ثم قال لهم، وهو يعبث بطرف عمامته: -" اعلموا يا اولادي، ان الموت نهاية كل حي، وأنه ليس باقياً الا وجه الله، وأنا عجوز وهن عظمه، واحنى الدهر ظهره، بلا الدنيا بحلوها ومرها، ولم يعد يرجو منها سوى خير الثواب، وحسن المآب. وقد رأيت أن أذهب إلى مكة هذا العام، واغسل جثتي من الذنوب والآثام قبل ان يفوتني القطار، ويقطع على الموت طريق الابرار "...

ويضيف: - " لذا قررت ان اجمعكم هنا كي تختاروا من بينكم شيخا اقلده الامر بعدي ويتولى منصبي .(29) "

وفي قصة (عن مراكب السلطان) ما جاء في السرد والحوار التالي: - " وبقي الفقي مطرقاً لبرهة من الوقت رفع راسه وقال بثبات " اعلم يا مولاي اننا قرأنا في كتب السلف الصالح أن (جالو) ستخرب بعد عمار وسوف يرسل الله عليها ريحاً حامية تجوس بها سبعة ايام وسبع ليالي، لا تتنفس نبتة الا ماتت في حينها .(30) "

ويقول السرد في قصة (عن مراكب السلطان): - " لقد هدأت الريح بعد سبعة ايام وسبع ليالي – كما قال الفقي – وخرجت جالو من اقصاها إلى اقصاها ثم غفر لها الله ذنوبها وخطاياها .(31)"..

وفي قصة (عن العظم وراقد الريح) نجده يسرد بأسلوب العجائز ويقول: - " يحكى، والله اعلم بغيبه واحكم، واعز وأكرم، والطف وارحم ان الشيطان كان يقف ذات يوم كعادته أمام بوابة الجحيم ويحصي ضحاياه الجدد الذين وصلوا لتوهم من دار الدنيا. وكان يضحك ملء شدقيه ويهز ذيله القبيح العاري من الشعر صارخاً بأعلى صوته .(32) "

وفي قصة (عن النسر السحري الابيض) يقول في سرده العجائزي: - ".. ثم كان يا ما كان.

وكان ثمة فقي ذائع الصيت في جامع الحدادة وكان يفك الرصيدة ويعلم القرآن للأطفال ويشفي في العقم وسائر الامراض ويكتب احجبة المحبة. وقد تبحر في علوم الاولين واغترف من انهار الحكمة وعرف الاوراد السبعة وخبايا المملكة والجان ولغة الطيور وضرب الرمل .(33) "

..."وقد عرف اللصوص أنه يملك ياقوتة، وان الشيخ سوف يضع حول عنقه القلادة وينصب عليهم طوال حياته، لأنه حقاً أحسن لص في المملكة ولكن اللص المدعو الزناتي خليفة هز لهم راسه ثم شرع يصرخ دون ان يتوقف عن الضحك...."... وانهاءها بالآتي: - " هذا ما تقوله العجائز في بنغازي."

بدأ قصصه بالأسلوب العجائزي ووفق ما تقص الخرافة والحكاية الشعبية كان يا ما كان حيث نجده يقول في سرده في قصة عن مراكب السلطان: - " كان يا ما كان...

وكذلك في سرد من قصة (عن أحسن لص في المملكة) الذي يقول: - " من القصص غير المعقولة التي ترويها عجائز بنغازي .(34) "...

وكذلك في السرد الذي يقول: - " هذا ما تقوله العجائز في بنغازي .(35) "

وفي قصة عن النسر السحري الابيض يقول كذلك: - "... ثم كان ما كان.

وكان ثمة فتى ذائع الصيت في جامع الحدادة وكان بفك الرصيدة ويعلم الأطفال .(36) "..

وفي قصة (عن غلطة جحا) يقول في سرده كذلك: - " قيل، والله اعلم بما يقال في هذه المدينة الطويلة اللسان.(37)"

وفي قصة (عن قوت العيال) يقول في سرده كذلك: - ".. ثم كان يا ما كان

وكان رواد المقهى في الفندق القديم ".. .(38)

نلاحظ في هذه القصص من اتباع اسلوك غير مستحب من المجتمع الذي يتحدث فيه الكاتب قرائيه اضافة إلى انها كتبت بأسلوب فلسفي يحكي نفسية الكاتب مع مجتمعه والنظرة إلى ينظر فيها لهذا المجتمع لأسباب اجتماعية تعرض لها هذا الكاتب في حياته وهي كثيرة وسيرته توضح تلك الاسباب.

ومن هنا نجد ان هناك صعوبة وتحديات في الكتابة للطفل حتى من أكبر الكتاب الذين تربعوا على الساحة الأدبية في ليبيا لعدة سنوات امثال الصادق النيهوم وغيره. اذن هناك تحديات وصعوبات تواجه أدب الطفل في ليبيا منها الاتي- :

1- اقتحام مجال الكتابة للطفل دون دراسة مسبقة للطفل من كافة النواحي.

2- عدم معرفة ميول طفل الأدبي.

3- قلة الكتاب في مجال أدب الطفل.

4- ضعف المناهج والخطط الدراسية في الجامعات الليبية في تدريس العلوم الاجتماعية والنفسية واعتمادها على التدريس بالطرق التقليدية.

5- عدم اختيار الموضوعات واقحام الصور والرسوم المناسبة التي تجذب الطفل للكتاب وهذا يعاني منه الكثير من أطفال العالم حيث اشار إلى ذلك الكاتب وطبيب الامراض النفسية اللبناني انطوان الشرتوني بان هناك عدة اشياء تجعل الطفل ينجذب نحو الكتاب في مقدمتها الصورة الخارجية للكتاب وعندما تكون هذه الصورة وغيرها من الصور والرسوم

داخل وخارج الكتاب مميزة تجعل الطفل ينجذب إلى الكتاب .(39)

6- عدم وجود نقاد في مجال أدب الطفل، وهذا لم يكن في ليبيا فقط فهو تعاني منه دول عربية وغير عربية كثيرة وفي هذا الخصوص اشار كاتب الأطفال المصري يعقوب الشاروني ان إلى هناك نقص وتقصير في عملية النقد لمواكبة أدب الطفل، واشار إلى ان عدم مواكبة النقد لأدب الأطفال يؤثر سلباً على تطور وتقدم أدب الطفل، وهذا يوضح لنا بان أدب الطفل يعاني تحدي أدبي حقيقي.(40)

7- عدم اختيار قصص مناسبة لعمر الطفل وفق احتياجاتهم النفسية، وما يتوافق مع ميوله العمري، وهذا طبعاً مرت به الكثير من الدول ولاحظه الكثير من المتخصصين في أدب الطفل، وفي ذلك فان الكاتب انطوان الشرتوني والذي نشر أكثر من 450 قصة وحكاية، وتخصصه العلمي في الامراض النفسية والتحليل النفسي يقول: - "إن بعض الكتاب للأسف يختارون قصصاً غير مناسبة لعمر الصغار، واحتياجاتهم النفسية، ومتطلبات مراحل نموهم المختلفة، والتي تختلف مع كل عتبة مرحلة جديدة، مما يجعل الأطفال يبحثون عما يناسبهم في مواضع أخرى ." .(41)

8- عدم وجود دعم بالمهتمين بأدب الطفل، وقد لامسنا ذلك من خلال الجهود الفردية التي كانت مبذولة من عدد من المهتمين بالطفل والتي تحتاج إلى دعم وتشجيع، فعندما قام الاستاذ رجب العريبي برفع شعلة تثقيف الأطفال وتشجيع المواهب من خلال مسرح الطفل واذاعة السنابل الا انه لم يلق تشجيع من الدولة رغم انه أبرز مواهب في الاعداد والتقديم والغناء والموسيقى والتمثيل والشعر.

9- عدم وجود دعم من الدولة لكتاب أدب الطفل مما ساهم في عزوف الكثير من الكتاب عن الكتابة للأطفال واتجاههم إلى كتابات اخرى وفي هذا الصدد يقول الكاتب الجزائري عبد الله لالي: - " قلة الدعم الحكومي أو من الخواص. وهذا الامر يؤرق المبدعين ويثبط عزائمهم، ويجعلهم في كثير من الحالات ينصرفون عن الابداع في مجال أدب الطفل، وقد يتوجهون إلى مجالات اخرى، ربما تلقى اهتماماً أكبر ورواجاً أكثر .(42)".

10- النظرة الدونية للطفل كمتلق ومستلك للأدب وليس منتج له، وفي هذا تقول الكاتبة التونسية سمر سمير المرغني: - "منذ طفولتي وأنا أرى معظم قصص الأطفال ساذجة، مجترة من قصص عالمية، ومملة بعض الشيء، إلى

درجة أنه يمكن للطفل القارئ التكهن بأحداث القصة قبل قراءتها. أحس أن ذلك مرتبط بنظرتنا الدونية للطفل العربي كمتلق ومستهلك للأدب لا بوصفه منتجاً له وفاعلاً فيه .(43) ."

11- التدفق السريع للمعلومات الهدامة للطفل دون رقابة من وسائل التواصل الاجتماعي وما ينقل ويبث عبر الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت.

12- عدم وجود خطة تربوية جيدة لروض ورياض الأطفال والمؤسسات التعليمية في المرحلة الابتدائية والاعدادية، وتذبذب تقديم المعلومات دون مشاركة ذوي الاختصاص بالطفولة والشؤون الاجتماعية عموماً.

13- اهمال المؤسسات التعليمية لحصص المكتبة وعدم توفر محتويات لها ورقية وإلكترونية.

14- عدم تعاون المؤسسات الحكومية فيما بينها في الاهتمام بأدب الطفل خاصة التي تعنى بالشؤون الاجتماعية والثقافة والاعلام والتعليم.

15- قلة البرامج والمؤتمرات التي تعد من اجل الطفل وما يقدم له من أدب سواء من خلال الشعر والقصة والمسرحية والتمثيلية والفيلم والتي تعد خصيصاً للأطفال.

16- عدم وجود مسابقات فكرية وأدبية تخص أدب الطفل.

رابعًا النتائج والتوصيات

في دراسات سابقة لعدد من المتخصصين اعطت توصيات في مجال الكتابة للطفل حيث اوصى الكاتب الجزائري عبد الله لالي المتخصص في أدب الطفل إلى ضرورة ان يتفرغ الكتاب الموهوبون في أدب الطفل وضرورة تشجيع المبدعين في أدب الطفل للكتابة للطفل، وضرورة ان تقام مسابقات سنوية في مجال أدب الطفل، وان توضع إبداعاتهم ضمن المناهج الدراسية، أما الكاتبة التونسية سمر سمير المرغني فقد اشارت إلى انه يتطلب التخلص من احتكارية الأدب، والتخلص من محدودية المواضيع والتطرق المواضيع واساليب جديدة، وان يشمل هذا الأدب قضايا إنسانية عامة ويكسر الحدود الذهنية للأطفال، واما الكاتب انطوان الشرتوني فقد ركز على اهمية اللغة وتكوينات الجمل بحيث يتم استيعابها من قبل الطفل وينجذب اليها ويضيف بان كتاب الطفل يتطلب ان يكون مسلياً ويحتوي على صور جميلة جذابه للطفل وان تكون الجمل قصيرة وبسيطة ذات هدف ورسالة.(44)

ا- النتائج:

اضافة إلى ما تقدم من تحديات فان اهم النتائج أنه لوحظ الاتي- :

1- عدم اهتمام الدولة بأدب الطفل اهتماماً حقيقية انما ما تقدمه للطفل فانه على سبيل الدعاية لها وبسبب الضغوط المحلية والدولية.

2- عدم وجود كتاب متفرغون للكتابة للطفل.

3- ضعف الانتاج المرئي والمسموع المقدم للأطفال.

4- اعتماد الدولة الليبية على الدول الاخرى في البرامج وما يقدم للأطفال والتي تبثها على قنواتها الفضائية وقلتها.

5- عدم وجود كتاب وشعراء متخصصين في أدب الطفل.

6- عدم تشجيع الكتابة للطفل واهمال الكتاب والشعراء في هذا النوع من الأدب.

7- عدم وجود كليات واقسام في الجامعات الليبية متخصصة بأدب الطفل على غرار الأدب الإنساني الآخر.

8- عدم توفر مكتبات ورقية والكترونية بمدارس التعليم الاساسي ووسائل عرض مرئي لروض ورياض الأطفال تعرض برامج كتبت خصيصاً للطفل وفق مرحلته العمرية.

9- عدم وجود قناة تليفزيونية خاصة بالأطفال تخاطب الأطفال وفق مراحلهم السنية.

10- عدم توفر مناهج أدبية مكتوبة خصيصاً للأطفال وفق مراحلهم العمرية ضمن مناهج المدارس في التعليم الاساسي.

ب- التوصيات:

من خلال ما قدم من تحديات ونتائج وما قدمه المتخصصين في دراسات سابقة فان الدراسة توصي بالآتي- :

1- ضرورة ان يتفرغ الكتاب الموهوبون في أدب الطفل للكتابة للطفل.

2- ضرورة توظيف خرجي التكنولوجيا والمعلومات في تكوين جهاز امن للإنترنت لمتابعة ما يمرر من معلومات عبر الشبكة الدولية للمعلومات والتي تخص الطفل.

3- ضرورة تشجيع الكتاب والرسامين للكتابة للطفل الليبي من خلال تقديم المساعدة المادية والمعنوية.

4- ضرورة ان يتم اختيار الالفاظ اللغوية من افعال ومفردات المناسبة لكل مرحلة من مراحل الطفولة.

5- ضرورة استحداث اقسام وكليات لأدب الطفل على غرار الآداب الإنسانية اخرى.

6- ضرورة التزام كتاب أدب الطفل بالكتابة للطفل ووفق مراحلهم السنية المتعارف عليها علمياً.

7- اقامة المسابقات والمؤتمرات والندوات المحلية والدولية بشأن أدب الطفل .

8- تأسيس قناة تليفزيونية خاصة بالطفل الليبي تقدم فيها برامج تهم الطفل يسيرها متخصصين في المجالات والموضوعات التي تطرح فيها.

9- تشجيع المسارح التي تعنى بالطفل ومتابعتها وتقديم العون المادي والمعنوي لها.

10- وضع منهج أدبي مبسط مخصص للطفل في المراحل الاولى لتعليم الاساسي.

11- ضرورة اشراك المتخصصين بالطفولة والشؤون الاجتماعية والنفسية بإعداد المناهج الدراسية الخاصة بالمراحل الدراسية الابتدائية والاعدادية.

12- ضرورة اعادة حصص المكتبة وتوفير محتوياتها سواء كانت ورقية عن طريق الكتب الورقية، والكترونية عن طريق الحواسيب.

____

الهوامش والمراجع:

1 " -أدب أطفال"، /https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ الاطلاع عليه، 2022/1/12.
2- المرجع السابق.
3- عبادة تقلا، 2020/3/1، "أدب الطفل في الوطن العربي.. بين حكايات الأطفال وروايات اليافعين"،https://www.alfaisalmag.com/?p=17910، تاريخ الاطلاع عليه 2022/1/13.
4 -https://www.uobabylon.edu.iq/eprints/publication_10_25468_1390.pdf، تاريخ الاطلاع عليه .15/1/2022
5- أدب أطفال، مرجع سابق.
6- المرجع السابق.
7- فريدة المصري، " أدب الأطفال في ليبيا.. النشأة والتطور"،https://tieob.com/archives،2016/10، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2022/1/15 .
8- المرجع السابق.
9- احمد محمد عاشور ركس، مدخل إلى اعلام عربي ليبي، طرابلس - ليبيا: دار الفرجاني، ط2، 1975، ص – ص 130- 140 .
10- احمد محمد عاشور راكس، مرجع سابق، ص- ص 143-144.
11- المرجع السابق، ص، ص 149، 150.

12- جمال حمداوي، 2014/1/30، "أدب الأطفال في ليبيا موقع متقدم ينافس التجارب العربية العريقة"، https://www.afrigatenews.net/article1، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2022/1/17.
13- المرجع السابق .
14- المرجع السابق.
15 -عبد اللطيف المسلاتي، 20 قصيدة للأطفال الجزء الاول ذاكرة الطفولة، طرابلس – ليبيا: الشركة العامة للورق والطباعة، ط1، 1995، ص 71.
16- المرجع السابق، ص 74.
17- المرجع السابق، ص78 .
18- فريدة المصري، مرجع سابق.
19- المرجع السابق.
20- منى نصر، " أدب الطفل بين ثقافات العرب والغرب.. دليلك الشامل نحو تنشئة فكرية سليمة لطفلك https://librabuzz.com/2753 "، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2022/1/19.
21 -عبادة تقلا، مرجع سابق .
22- منى نصر، مرجع سابق .
23- المرجع السابق .
24 -سليمان كشلاف، دراسات في القصة الليبية القصيرة، طرابلس – ليبيا: المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان، ط1، 1979)، ص 69.
25- المرجع السابق، ص، ص 70، 71 .
26- الصادق النيهوم، من قصص الأطفال، الماية – ليبيا: تالة للطباعة والنشر، ط1، 2002م، ص11
27- المرجع السابق، ص 21.
28- المرجع السابق، ص28.
29- المرجع السابق، ص 31.
30- المرجع السابق، ص14.
31 -المرجع السابق، ص 20.
32- المرجع السابق، ص 49.
33- المرجع السابق، ص41.
34- المرجع السابق، ص21.
35- المرجع السابق، ص39.
36- المرجع السابق، ص41.
37- المرجع السابق، ص59.
38- المرجع السابق، ص 73.
39" -أدب الطفل العربي وتحديات المتعة"، https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2021/3/12 ، تاريخ الاطلاع عليه 2022/1/19.

40- المرجع السابق.
41- المرجع السابق.
42- المرجع السابق.
43- المرجع السابق.
44 " -أدب الطفل العربي وتحديات المتعة"، مرجع سابق .



أدب الطفل في ليبيا
(مقدمة تاريخية)

اشتيوية حسين بن محمود

كانت القصص الشعبية تتداول مشافهة، ولعل أول قصة مكتوبة عُثر عليها كانت في القرن الأول للميلاد، والتي عرفت بـ(حكايات كوبسيس الليبية) في قصيدة بعنوان النسر الجريح أشار أسخليوس (450 ق . م) إلى الحكايات الليبية قائلا :

"إليكم هذه القصة التي تروى في الحكايات الليبية عندما ضرب السهم المنطلق من القوس نسرًا، رأى النسر ذلك الشيء المجنح الماكر فقال:

إذا ليس بالآخرين بل بريشنا نحن نضرب"، وأيضا هناك حكاية أخرى تضمنتها أعمال دو كريسوستم، تتحدث عن كائن خرافي نصفه أنثى ونصفه حيوان وكانت الصحراء القريبة من سرت مسرحًا لقصة (الغولة الحسناء)، ومن الحكايات التي سُجلت من قبل لوشيان (أفعى العطش) التي تجعل ضحاياها يشعرون بالعطش وكلما شربوا ازدادوا عطشا، ولعل ذلك استيحاء من مرض يصيب الإبل يعرفُهُ أهل الصحراء وهو الهيام .

تعود بدايات (فن القصة الموجهة للأطفال في ليبيا) للكاتبة اللبنانية (هنيريت سكسك فراج) التي عملت في إدارة التوجيه في وزارة التربية والتعليم في ليبيا، ونتيجة للخبرات التي تحصلت عليها قامت بجمع بعض الخرافات الليبية الشعبية في عمل مقدم للأطفال وأطلقت عليه اسم (يا حزاركم) الصادر عن دار الفرجاني بطرابلس عام 1963م، ثم أعيدت طباعته مرتين عام 1971م، 1991 م، ويعدّ الكاتب (امحمد عبدالله الزكرة) رائداً لأدب الأطفال بصدور قصته (التفاحة الآثمة) في مدينة الإسكندرية عام 1972م، ثم أصدر (صادق النيهوم) مجموعته (من قصص الأطفال) في السنة نفسها، وكتب القاص يوسف الشريف عشر قصص عام 1977م، ثم توالت مؤلفاته بغزارة في هذا المجال ليُشكل دعامة قوية في أدب الأطفال الليبي، ممّا أصدره من سلاسل قصصية متنوعة موضوعة ومؤلفة.

ومن هذه الإصدارات: (قصص ليبية للأطفال) في عشر أجزاء، و(طفل يقرأ) في خمسة عشر جزء، ومن هذه القصص: (عيون النار، ندى وشمس الربيع، نار في البيت المهجور، قصة غريبة، انتقام العصافير، لماذا تبكي العصافير، الجمل الذي تنزه في الغابة، صياد يدخل الغابة) وله قصص مترجمة منها: (من حكايات الشعوب) و(حكاية الساحر العجيب وحكايات أخرى)، وغير ذلك من المؤلفات.

وقد تدافعت الأسماء في هذا المجال، ففي سنة 1978م صدرت ست قصص، الأولى لمحمد العارف بعنوان (أم بسيسي) والثانية مترجمة لليلى منير وهي (عوض البعباع) وأخرى للأديبة ليلى الجهمي بعنوان (الجحش الصغير) وقصتان للأديبة خديجة الجهمي هما (عزيزة - أمينة)، ثم ثلاثية خليفة حسين مصطفى (الفئران تطير أيضًا_ السمكة والصياد_ العصفور والوردة)، وفي عام 1987م صدرت سلسة قصص الجهاد التي حوت عشر قصص من تأليف خليفة حسين مصطفى وقصتان من وضع إبراهيم الكوني، وفي سنة 1990م قدم طاهر الدويني مجموعته القصصية (الأسد يحتفل بعيد ميلاده)، وفي سنة 1992م أصدر الأديب سعيد المحروق كتابه (أصوات منتصف الليل) والذي كُتبت مقدمته عام 1978م وهو مجموعة من الحكايات الشعبية، لكن ما يثير الاهتمام هو أن الناقد عبدالحميد عامر جنّسها على أنها للأطفال حيث لم يُصرَّح بذلك في المجموعة القصصية، وفي عام 1992م كتب الروائي أحمد نصر قصة (القط الطائر) ثم قصة (عرس الأزهار) سنة 1997م، وفي سنة 1996م كتب سالم الهنداوي مجموعة قصصية بعنوان (قصص للصغار)، وفي سنة 1999م صدرت للأديب يوسف بالريش قصة (الإطارات الطافية) التي ذكرت الناقدة فريدة المصري أنها من الممكن أن تناسب اليافعين، وفي عام 2000م صدرت للأديب سالم الأوجلي ثلاث وعشرون قصة وحكاية للأطفال، اثنتا عشرة حكاية وأحد عشر قصة، وفي عام 2008م صدرت مجموعة (الفلوس والقطوس) وهي عبارة عن قصص مستوحاة من التراث الليبي، وفق ما ذكرت المؤلفة نعيمة العجيلي، وكم من طفل ليبي استمتع في طفولته بحكاية (بقرة القزازين) وحكاية (صنعة اليدين ولا مال الجدين) لقد كانت القاصة على قدر من التمكن في الإمساك بزمام السرد ليكون مناسبا حتى للكبار الذين يقرؤون الحكاية لأطفالهم كما أن حجم الأوراق والصور الداعمة للنص تزيد من جماليته، ولكن هذا النوع من القص

الميثولوجي يكاد يكون نادرًا في أدب الأطفال، فالتركيز على المذهب الواقعي واضح في معظم النصوص الموجهة للأطفال، وربما يعود ذلك إلى أن معظم النصوص موجهة لمرحلة الطفولة المبكرة أو المتوسطة من حيث الفكرة، كما في سلسلة حب الرمان الصادرة عام2010م عن دار حب الرمّان، وهي مجموعة من القصص جاءت في أغلبها على لسان الحيوان مدعمة برسومات ملونة، منها (فرحة لم تكتمل، الراعي، الأرنب الصغير)، إلا أن طريقة تقديم الفكرة أو القالب فيم يبدو غير متسق مع مرحلة الطفولة المبكرة من حيث الأسلوب.

وقد كان للصحافة دور في أدب الأطفال، إذ كانت بداياتها مع ظهور مجلة (الليبي الصغير) عام 1965م، كملحق مجاني لمجلة ليبيا الحديثة، كما أن لمجلة الأمل التي أصدرتها المؤسسة العامة للصحافة وأسستها خديجة الجهمي دورًا بارزًا في الاهتمام بالجانب الأدبي ونشر العديد من النصوص منها قصة (السيارة الصفراء) للأديبة نادرة العويتي، وقصيدة (بنغازي) للأديب راشد الزبير السنوسي، وقصة (من قصص القرآن الكريم "أصحاب الحديقة") إعداد الأديبة حواء القمودي، وقصة (أغاني الدموع) للكاتب الراحل صالح عباس، وبعض القصص المصورة مثل (مسعود والعنزة) للرسام موسى أبوسبيحة، وقصة (القيمة المفقودة) للكاتبة أمينة القمودي الحافي، وقصص مترجمة مثل (العصا السرية) التي نقلها_ من التراث الإفريقي_ عبدالرزاق العلاقي، وهناك بعض النصوص التي لم ترفق بتعريف لكتّابها ليتسنى إدراجها ضمن مجال معين كما شحّت المصادر. المتوفرة أثناء الدراسة والتي يمكن الوصول إليها_ على شبكة المعلومات لتترجم لهؤلاء المبدعين، ومن هذه النصوص قصة (البحارة الأقوياء) وأنشودة (العلم) لعمر أبو شهاب وأيضًا القصة المصورة (البادي أظلم) سيناريو ورسوم نورا محمد أحمد، و(سحابة) لسالم العدل، وقصة (قنديل والقبطان أمين) للكاتبة فتحية المبروك، وأنشودة (شهر رمضان) للكاتب عبد المطلوب محمد .

وفي النصف الثاني من القرن الماضي كانت أول بداية للنشاط المسرحي_ للأطفال _ في ليبيا على يد الأديب (المهدي أبوقرين)، في كتابه (الصراع الأبدي) ليردفه بمجموعة (مسرحيات تربوية) عام 1974م وقد ضم الغلاف الملون لوحة تجريدية، وثلاث مسرحيات بعنوان (الأرض والأقوات_ ليلى والعصفور_ الوحش)، وفي سنة 1986م صدر لمحمد وريّت كتابًا بعنوان (غيث أو الفتى الشهيد) تضمن مسرحية شعرية

تحمل ذات العنوان، وفي عام 1990م كتب خليفة حسين مصطفى ثلاث مسرحيات منها (جناحان للحجر_ عاشور الشجاع)، وقد كتب البوصيري عبدالله خمس مسرحيات للأطفال وهي (ما قبل الرحيل_ الرحلة الأولى أحزان طائر السنونو- محنة الأخوين مستوحاة من ألف ليلة وليلة_ جوهرة السلطان مستوحاة من ألف ليلة وليلة- حبة القمح الذهبية) وبالعودة إلى مسرحية (ما قبل الرحيل) التي تتكون من مشهد واحد وشخصياتها الأربعة من طيور الكناري مع شخصية (السيد) وهي شخصية معنوية لا يظهر منها سوى الصوت واليد اليمنى واليسرى ذات الخواتم الذهبية؛ حيث دار حوار بين الشخصيات عن: (الحرية_ الأحلام_ الحب_ التردد)، وكانت النهاية مأساوية، إن نصًا فلسفيًا بسيطًا بكل هذه المزايا يستعصي على التصنيف، ويفتح ذراعيه ليرتمي الجميع بأحضانه، الجدة والأم، الكهل والشاب والفتاة والطفل، كل ذلك من سمو المشاعر التي تحملها تلك الكائنات الصغيرة بين أضلعها، ففيها طرح رشيق لقضية التضحية وما يلامسها من القيم .

وفي مجال الشعر اختلفت الآراء بين النقاد والمؤرخين؛

فمنهم من يرى أن شعر الأطفال لم ينل سوى ديوان واحد للشاعر حسن السوسي بعنوان (الزهرة والعصفور) 1992م، ومن هؤلاء فريدة المصري وأسماء الأسطى وسالم محمد العواسي بينما يدرج عبد الحميد محمد عامر بعض القصائد التي لم توجه للأطفال في أصلها وإنما خاطبتهم أو استنهضت هممهم ومن هذه القصائد (غيث الشهيد للشاعر أحمد رفيق المهدوي، 1962 م) الذي يرى بأنها قادرة على محاكاة أفكار الصبيان الليبيين، وكذلك نشيد علم البلاد للشاعر أحمد قنابة 1968م لاحتوائه على نزعة حماسية.

وذلك فضلا عن الجدل القائم حول كتاب عبداللطيف المسلاتي المعنون (20 قصيدة للأطفال) 1995م، من أنها تتسم بطابع فلسفي لا يناسب الأطفال، ولكن، أي أطفال يا ترى؟!

لأن فترة الطفولة يتحول مدلولها عبر الحقب لتمتد خلال عشرين عاما أو أقل أو أكثر ولا يخفى أن أغلب الدراسات النقدية في ليبيا لم تُلقِ بالاً للمرحلة العمرية التي يتسم منتجها بأسس معينة، لافي التأريخ ولا في التحليل، إلا في جانب الأسس النظرية فقد حظي بالتركيز على هذه النقطة، أما باقي الجوانب؛

فاكتفت بالإشارة دون التوقف، كأن تفرد دراسة لنوع أدبي معين يختص بمرحلة معينة من مراحل الطفولة لتتنوع الدراسات وتبتعد عن التكرار، فتكون أعمق وربما تقترب من النقد أكثر منه إلى التأريخ فيُصبغ البحث بروح صاحبه وثقافته وميوله بالإضافة إلى تناوله قضية موجودة بالساحة النقدية وهي في حاجة إلى الدراسات الأكاديمية الجادة.



الحكاية الشعبية
أدب ثري لترسيخ الذاكرة الوطنية

د. سكينة بن عامر

قالت لي أمي وهي تحكي لي (مر شيخ الجامع على (زرزور) (1) صغير راقد على ظهره ورافع (كريعاته) (2) للسماء، سأله (كنك رافع كريعاتك للسماء؟) رد عليه الزرزور: (قالوا السماء تبي اطيح وأنا نبي نمسكها بكرعيا) ضحك الشيخ وقاله (يعني توا أنت بكريعاتك العويدات تقدر تمسك السماء؟) رد عليه (الزرزور) (أنا شاد البقعة الخاصة بي والباقي عليكم، كل واحد يشد بقعته من السماء). ضحكت وأنا صغيرة على هذه الحكاية، وبقيت سنين طويلة أضحك كلما طار بقربي زرزور فأتخيل ثقته المفرطة في (كريعاته العويدات).

اليوم وبكل ما نحن فيه من تغيرات أدركت قيمة حكاية أمي ومغزاها العميق، فلو أن كل واحد منا أمسك البقعة الخاصة به مهما كان حجمه ومهما كانت قوته، ومهما كان اختلافه؛ لاستطعنا أن ننقذ الوطن من كل هذه التجاذبات التي تتنازعه، اليوم فهمت مغزى الحكاية، واتخذت من حكمتها مبدأ لي أسير عليه في كل مواقف حياتي، أنا الآن أمسك البقعة الخاصة بي، ولو أمسك كل واحد منا بقعته فلن تقع سماء الوطن.

عميقة هي المعاني والدروس التي منحتها لنا الحكايات الشعبية، وأصيلة هي المكارم والأخلاق التي تزرعها في وجداننا عبر السنين، فالحكاية الشعبية هي شكل أدبي ينسجه الخيال الشعبي حول حدث مهم يمر في المجتمع، فتلتقطه الحكاية وترسخه كموروث ثقافي في ضمائر أبناء الوطن، فتصبح تلك المواقف حكايات ذائعة الصيت في كل المجتمعات وفي كل الأمكنة والأزمنة، قد يكون بعضها بسيطاً ببساطة المجتمع الذي تحكى فيه، وببساطة الزمن الذي نُسجت عبره، ولكن لها عمق تربوي كبير ينقل الحكمة والموعظة والقدوة والتربية الحسنة.

وقد يكون بعضها معقداً طويلاً يوثق مراحل تاريخية وأحداث جسام مثل ملحمة الهلالية التي توثق التغريبة العربية الشهيرة، أو حكاية نص نصيص التي توثق قيم الإيثار والبطولة وحسن التدبر وعمق التفكير، خاصة وأن الحكايات الشعبية تنتقل عادة بيسر وسهولة من راوٍ إلى آخر، وتتوارث بين الأجيال لأنها تتميز بشكلها اللفظي المميز المرتبط بوجدان المجتمع، وتتميز بنسقها العام الذي يرتبط بتراث الأمة، وفكر أبنائه. وبالرغم من أن الحكاية الشعبية مجهولة المؤلف ولها روايات كثيرة إلا أنها تمثل مجموعة من الحكايات والأحداث يتناقلها الناس شفوياً جيلاً بعدَ جيل باعتبارها حكايات تمثل ذاكرة الشعوب التي أبدعتها، وهي تحمل السمات الجوهرية لوعي هذه الشعوب وثقافاتها وتصوراتها العامة، وثقتها العميقة بانتصار قيم العدالة والخير والحق، فمن مميزات الحكايات الشعبية أن السامع يقبلها بعاطفته ووجدانه لأنها تخلو من الاستدلال العقلي وتكتفي بالسرد دون خوض في التفسيرات، وبذلك يمكن استعمالها بشكلٍ إيجابي في تنمية مخيلة الطفل وإثرائها بتوظيفها فيما يوسع آفاقه التصويرية وثقافته الخيالية، خاصة إذا ما رويت على ألسنة الحيوانات ووحوش الغابة، ولعبت فيها دور البطولة ؛ إذ تصف هذه الحكايات كل وحش أو حيوان بصفات ثابتة تميزه من غيره؛ فالأسد شجاع وعادل، والثعلب خبيث ومحتال، والديك مغرور وطائش، والذئب شرس وجشع، والسلحفاة حكيمة، وبذلك يستطيع الأهل تجسيد القيم المعنوية بشكل مرح يسهل فهم أبعادها وتصور تأثيرها. ولأن مرحلة الطفولة هي المرحلة الأهم في تكوين شخصية الإنسان، إذ تتبلور فيها السمات الأساسية لما ستكون عليه شخصية الطفل في المستقبل، لذلك يزداد الاهتمام بتربية الطفل تربية متكاملة تشمل النواحي الوجدانية والعقلية والاجتماعية كافة، وتكون الحكايات الشعبية واحدة من أهم الوسائط التربوية التي تنهض بهذا الدور، خاصة إذا ما استعملت في تنمية سلوكه الإيجابي، وتعديل السلوك السلبي، وتفعيل نشاطه الفكري، وتأسيس مناخٍ نفسي طيب لديه .

وبالرغم من تباين أراء التربويين في أهمية استعمال الحكاية الشعبية للغايات التربوية المختلفة بين مؤيد لاستعمالها في التربية، وبين رافض لاستعمالها لما فيها من تعارض بين الخيال والحقائق العلمية، وبين من يؤيد استعمالها بشرط تنقيتها من القيم السلبية التي توجد بها، إلا أن الحكاية الشعبية تبقى واحدة من أهم وسائط أدب الطفل في المجتمعات كافة.

أنا من مؤيدي استعمال الحكاية الشعبية في التربية مع تنقيتها من الشوائب والقيم السلبية التي ترسخها، إذ ليس هناك تعارض بين الحكايات الشعبية بما فيها من أساطير وخرافات من جهة وبين العلم من جهة أخرى لأن لكل منها حقله الخاص، والمجال المحدد لعمله، وكل منها يشبع حاجات ورغبات مختلفة في النفس الإنسانية، وعليه تبنى بعض علماء ولا خوف من استعمال الأسطورة والحكاية الخرافية في تربية الطفل، إذ أن مبدأ اهتمام الطفل بالقصص الخرافية ينطلق من حاجته إلى إعطاء شكل درامي للمشاكل التي تعترضه، ومن رغبته في ترجمة إبداعات خياله في شكل حكايات وأساطير خيالية وخرافات، إذ أن عديد المواقف المتضمنة في الحكاية، بما في ذلك المشاهد العنيفة، تتطابق مع عالم الطفل الباطني، وهي تساعده على أن يتقمص بسهولة مختلف مظاهر الحكاية، وبذلك يصبح استعمال هذه الحكايات مسألة صحية بسبب ما تمتلكه من مواقف قوية تعتمد على القدرات الذاتية لأبطال الحكاية وتحقيق المعجزات وتجاوز الصعاب والعقبات، وامتلاك حركة الزمن والمكان فيها، وهذا مما يثري مخيّلة الطفل وينميها. ولأن الأساطير والحكايات الشعبية تلعب دوراً أساسياً في بناء الحضارة الإنسانية، من خلال تجسيد ذاكرة الشعوب وحفظها من الضياع، لذلك يمكن توظيف هذه الحكايات الشعبية في تنمية المواطنة والانتماء الوطني، وتربية الطفل عقلياً ووجدانياً، وتنمية مخيّلته، وقدراته الذهنية والوجدانية، خاصة إذا ما قدمت هذه الحكايات الشعبية للطفل نموذجاً من السلوك الإنساني الجيد، واضحت أداة لتشكيل تصوره عن الكون والمحيط الاجتماعي، وساعدته في تحقيق ارتباطه بوطنه ومجتمعه، خاصة إذا ما عولجت هذه الحكايات الشعبية وأعيد صياغتها بمقاييس العصر الحالي ومعاييره، ونُقيت من التصورات المرعبة، والقيم الضارة، والشوائب المفسدة، قبل أن تقدّم للطفل .

وأما الذين يرفضون بشكل قاطع أن تستعمل الحكايات الشعبية في التربية، واستندوا في رفضهم لاستعمالها على امتلائها بنماذج وصور نمطية سلبية قد تفسد علاقات الطفل وأخلاقه، مثل القصص التي تحمل صورة سلبية عن (زوجة الأب) القاسية الشريرة التي لا تتورع عن قتل ابن زوجها لأتفه الأسباب، مما يخلق كرها وعداء مسبقين لدى الطفل تجاه كل (زوجة أب) ويخلق كرهاً مماثلاً لدى الزوجة نفسها تجاه أبناء وبنات زوجها, بالإضافة إلى تمجيد بعض

السلوكيات السلبية مثل السرقة التي رُبطت ببطولات الشطّار واللصوص المحببة مثل بطولات (علي بابا) الذي يرسخ شرعية السرقة، وأيضاً اعتمادها على الخيال الواسع والوسائل السحرية، وتركيزها على ارتحال الأبطال إلى عالم المجهول، مثل عالم الأرواح والشياطين والأشباح، فهؤلاء نظروا إلى الأساطير باعتبارها مادة سيئة مليئة بالأحداث المفزعة والشخصيات المرعبة التي تهدد أمن الأطفال الداخلي، وتشعرهم بعدم الأمان في هذا العالم. لكن الطفل في حاجة إلى أن يستشعر الخوف الخرافي كي يواجه الخوف الحقيقي كما واجه الأبطال خوفهم، أما قولهم بأن العالم الخرافي أو الأسطوري من شأنه ابعاد الطفل عن معرفة ذاته، وتغريبه عن محيطه، وتقديم حلول جاهزة للمشاكل العويصة التي تتطلب نضالا مريرا في بعض الأحيان، فهذا الرأي حقيقي إذا ما كانت الحكايات الخرافية مغرقة في القدرية والقسمة والنصيب، وتركز على أفعال الزمن ومكائده، وتمجد أفعال الهروب من المسؤولية، وتبني نزعة التبرير، وتشجع على إرجاع الأمور إلى إرادات مستترة، وتحض على الاندفاع والطيش عندما يكون التروي والحذر ضروريين، وتزين الجبن والتواكل وقت الجد، وترسخ الإيمان بالخوارق والإيمان بالمشعوذين والدجالين، وما إلى ذلك مما تحمله تلك الحكايات الخرافية من قيم سلبية تعد من مكامن الخطورة في الأساطير الحكايات الخرافية، وهنا يبرز دور التربوي سواء أكان ولي أمر أم معلم أم موجه أو إعلامي في توضيح الخطوط الفاصلة بين الحقيقة والخيال، وهذا ما فعله الأهل معنا، إذ لا يمكن بأي حال استبعاد الحكايات الشعبية من التربية بهذه الحجة، فالحكايات الشعبية تمثل جزء مهماً من تراثنا الشعبي الليبي، وعليها اعتمدت الأسرة الليبية في تربية الأبناء من جهة، وفي بناء جسور التواصل بين الأجيال من جهة أخرى. ويستلهم الأطفال كثير من مواقفهم الحياتية من الحكايات الشعبية خاصة إذا ما كانت الحكايات ذات طابع إنساني وتحلى أبطالها ببعض الصفات الفريدة التي تجعلهم محبوبون وأقوياء وشجعان ومقدامين، وهم أيضاً لطيفين يسارعون لتقديم المساعدة في المواقف الصعبة، وينصرون الضعفاء ويهزمون الأعداء، وبالتالي فهؤلاء الأبطال الخياليون يحرضون الرغبة لدى الطفل في مساندتهم، والتحلي بصفاتهم ومزاياهم، فينبذ الأطفال الكسل والخمول، ويسارعون إلى الإيمان بالمعجزات وقوّة الإرادة، وأن لا شيء مستحيل، فيتنامي لديهم الشعور بقوتهم الداخلية، وبإمكاناتهم غير محدودة، ويتحررون من

المخاوف، ويصبح لديهم يقين بقدرتهم على تحدي الصعوبات التي تواجههم .

أيضاً يكتسب الطفل من الحكايات الشعبية قيماً جمالية عديدة مثل الجمال والبطولة والتفوّق والسعادة، بالإضافة إلى التعرف على الواقعية والمقولات الجمالية المختلفة كالبشاشة والبطولة والنبل والكرم، كما يتعلمون الإحساس بالزمان والمكان واستيعابها فنيا ونفسياً، ثم فيزيائياً، فالإحساس بالزمن يتم التعبير عنه من خلال عبارات اعتيادية في الحكاية مثل عبارات: (كان يا ما كان في قديم الزمان) و(مر الزمان وجاء الزمان) وما إليها، فالطفل كلما كان أصغر سناً، انساب الوقت بالنسبة له أكثر بطئاً لأنه يعيش دون زمن مثله مثل الحكاية نفسها، كما أن المكان عنده أيضاً غير محدود بما يراه من حوله فهو جبال وغابات وسهول وسماوات ومياه، ويتعلم من خلال الحكاية التعبير عن الإحساس بالمكان من خلال وصف الفضاءات الواقعية الضيقة مثل استعمال عبارات (في إحدى الممالك) أو (في قصر السلطان) أو (في المغارة) في (السوق) وما إليها. أيضاً تنمي الحكاية الشعبية قدرات الطفل على الحوار والحديث، خاصة عندما تكون شفوية، فهي تساعد في تركيز الانتباه، وتقوية المهارات اللغوية لدى الطفل، بالإضافة إلى مساعدته على الربط بين الواقع والخيال، وتنمية الحوار بينه وبين الآخرين، وتنمية مهارات الاستماع وآدابه، وعدم المقاطعة، والإجابة بشكل مرتب خاصة بعد طرح سؤال محدد، بالإضافة إلى تعميق الروابط بين أفراد الأسرة لاشتراكهم في سماع الحكايات نفسها في الوقت نفسه، ومناقشتها معاً في جو ديمقراطي سمح، أو إعادة سردها فيما بينهم، وبذلك تصبح لحظة سرد الحكاية هي لحظة تفاعل بين الأهل وأطفالهم، ولحظة اندماج فيما بينهم تختفي أثناءها عصبية الأبوين، وتتوقف الأوامر والنواهي فيزول تمرد الأبناء، وتحل روح الود والصفاء والحميمة محل الخلافات والصراخ والعصبية .

جميل ألا نتوقف عن سرد الحكايات الشعبية ونقلها للأبناء والأحفاد كما نقلها لنا الآباء والأمهات والجدات.

هوامش:

(1) الزرزور: عصفور صغير من الطيور المحلية المقيمة ويعرف بطائر الدوري.

(2) كريعاته: تصغير محبب للأرجل والكراع كلمة عربية تعني الرجل.



الموضوعات والأفكار في أدب الأطفال الليبي

أ.د. فريدة المصري*

تنوعت موضوعات أدب الأطفال في ليبيا، فشملت موضوعات وطنية وقومية، وموضوعات تاريخية، ودينية، وتربوية، وغيرها، وإن كان التوزيع في الموضوعات كان غير متكافئ في بعض الأحيان، حيث نجد موضوعات قد أثريت، مثل الموضوعات الوطنية والتربوية وما شابهها، ونجد موضوعات قد أصابها بعض الإهمال، مثل الموضوعات العلمية، والموضوعات الفنية.

واشتمل أدب الأطفال في ليبيا على مجموعة من القيم المتنوعة والمختلفة، منها المادية، ومنها المعنوية، ومنها ما يجده الطفل واضحا بينا من خلال سرد القصة، ومنها ما يستخلصه من بين ثناياها.

وقد تميزت الموضوعات الوطنية في بعض الأحيان بتوثيق بعض الحوادث المعاصرة، فكانت شاهدا على هذه الحوادث، كما بينت حقائقها للأطفال، باعتبار أن الأطفال هم جزء من المجتمع وعليهم الإلمام بهده الأحداث دون زعزعة الثقة في أنفسهم، بل بتثبيتها وترسيخها.

ففي مجال القصة نجد مجموعة من الموضوعات، فتمثلت الموضوعات الوطنية في قصتي فرحة الجلاء وأبو خليل للكاتب محمد الزكرة، كما تمثلت في مجموعة من قصص يوسف الشريف نذكر منها: طائرة فوق بيتنا والعصفور والشجرة وسنابل الثلج وعنتر ينهض من نومه.

وتمثلت الموضوعات التاريخية في سلسلة تاريخية للكاتب الروائي خليفة حسين مصطفى تضمنت العديد من العناوين، نذكر منها: أم السعد في رحلة الحرب – الرجل الذي فقد حذاءه – الصهيل الأخير المعركة والغزال – الجرادة – الحزن والغضب – العرس – السوط والجرح – لكنه لم يعد – الرصاص لا ينتظر.

كما نجدها في قصة عاشور يذهب إلى الحرب ليوسف الشريف ونجدها أيضا في قصتين لإبراهيم الكوني هما: الطريق إلى الأوراس – واحة تضج بالغناء. وتمثلت الموضوعات التربوية في العديد من القصص نذكر منها على سبيل المثال: الأبناء الثلاثة – الخيوط الذهبية – الفلاح السعيد – الأستاذ سرور للزكرة وعاشور لا يذهب إلى المدرسة – الحمامة تزرع شجرة ليوسف الشريف، كما نجدها في قصص سالم الأوجلي متمثلة في قصصه سر المعلم فرحان – مرآة العبقري حسن – من خلف السور ونجده في قصة فرير الصغير للمهدي أبو قرين وقصة القرد والقنفد في مجموعة الغابة لسالم الهنداوي، ولم يهمل كاتب الأطفال الليبي الموضوعات المسلية التي تدخل السعادة والبهجة على الأطفال من دلك ما نجده في البطة المرحة – الفلاح الأبله لمحمد الزكرة وقصة عيد الميلاد للمهدي أبو قرين.

في الجانب المسرحي أيضا تنوعت الموضوعات حيث استمد المضمون عناصره من خصائص مراحل النمو المختلفة للأطفال، كما استمدها من ظروف البيئة واحتياجاتها المتميزة على ما يناسب الأطفال فيها، لدا فإن المضمون الجيد ينبغي أن يصل إلى الأطفال عن طريق مراعاة العناصر الفنية المختلفة من الحبكة ورسم الشخصيات والصراع والروح الفكاهية التي يفضلها جمهور الأطفال.

وفي المسرح المدرسي فلا ينبغي أن يتحول المضمون إلى درس تعليمي بقدر تحول المادة التعليمية إلى مسرحية متقنة وكانت مسرحيات المهدي أبو قرين الصراع الأبدي – الأرض والأقوات – ليلى والعصفور تمثل هدا الجانب، واهتم كتاب مسرح الطفل بالعديد من الجوانب الوطنية والتربوية ونشر القيم النبيلة حيث انتصار الخير في النهايات على الشر ندكر منها مثلا:

الشاطر حسن – ميمون الحقود للأمين شائب العين، وعهد الأبناء – الفلاح الطيب لأحمد بن رابحة، والأرض – الوردة – أم بسيسي لأحمد باكير.

على مستوى الشعر نجد ديوان الزهرة والعصفور للشاعر حسن السوسي حيث تضمن الديوان على موضوعات كثيرة تنوعت ما بين الدينية الوطنية والتربوية والبيئية والترفيهية نذكر من قصائده على سبيل المثال :

الربيع – الزردة – طيارة الحرب – المطر – أمتي – بلادي – القمر – الزهور – آداب الأكل – عيد الفطر – الرياضة البدنية – الأسنان –الهاتف – الحافلة – معلمتي – لعبتي – الطفل رجل – الأسرة –الزيتونة –

المسجد – رمضان – الحج – دعاء – القرآن الكريم - شارعنا – الواحة – القرية –الحديقة – المنتزه – الفراشة – قطتي – الحصان – الجمل – الراعي وتضمن الديوان ثلاث قصائد عن الأم جاءت تحت عنوان واحد هو: حديث أم.

---

* كلية اللغات/جامعة طرابلس.

المصدر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين (دراسة تاريخية تحليلية)، د. فريدة الأمين المصري، مجلس الثقافة العام، ط 1، 2008.



أدب الاطفال بين التدمير أو التطوير

أمال الهنقاري*

تحديات كبرى تواجه أدب الاطفال وتحاصر قدرتهم على القراءة والكتابة في عصر طغت فيه ثقافة الصورة والشاشات الاليكترونية وأصبح محتمًا علينا الاستفادة من تجارب الاخرين ممن يرسخون حب الكتاب والاهتمام به منذ الصغر ويوجد لديهم عدد كبير من الوسائط التي اثبتت قدرتها الهائلة على المساهمة في تنمية عادة القراءة عند الأطفال ودورها غير المحدود في إتاحة المعلومات بأساليب تفاعلية فعَّالة مع التنبه بقوة إلى أهمية وضرورة الإسراع في زيادة المحتوى الإلكتروني العربي وخطورة التأخر في مواجهة هذه القضية الحيوية بالغة التأثير على اللغة العربية.

وكذلك مواجهة التحدي الذي تواجهه اللغة العربية من جهة وادب الطفل العربي من سيطرة لغة أجنبية او أكثر على ثقافته وتقديم ما يحتاج اليه من علم ومعلومات ومعرفة.

وهنا احاول إلقاء الضوء على ما نواجهه من قضايا أدب الأطفال في العالم العربي وأوكد على أن العنصر البشرى لا يزال هو الأهم لتنمية عادة القراءة عند الأطفال مع الاعتماد في هذا على الوعي الأسري والتظافر المجتمعي، فالعنصر البشرى لا يزال هو الأهم والوعي الأسري والتظافر المجتمعي أساس النجاح في تنمية عادة القراءة عند الاطفال.

وأحببت هنا ان أشير واشيد ببعض التجارب التي تطبق حاليًّا وبنجاح، تؤكد أن العنصر البشرى لا يزال هو الأهم في تنمية عادة القراءة عند الأطفال وذلك عن طريق تعميق وعى الأسرة بدورها الأساسي في هذا المجال، مع تقديم القدوة المستمرة للأبناء متظافرة في هذا مع تنظيم مجتمعي متكامل، يهيئ للأسرة الأدوات الأساسية والضرورية للتعامل بنجاح مع أبنائها خطوة خطوة منذ الميلاد وهو ما يجعل الكتاب جزءًا لصيقًا بحياتهم

ولقد قرات ذات يوم عن تجربة حدثت في لندن عام 2012 مع مهندسة مصرية متزوجة من طبيب مصري وتعيش في لندن. كانت عندئذ أمًّا لابن حديث الولادة. بعد أن وضعت طفلها بأسبوع، وجدت أمينة المكتبة العامة التي توجد في الحي الذي تعيش فيه تزورها في البيت لكي تقدم لها بطاقة اشتراك بالمكتبة.

قالت لها الأم:" أشكرك.. لكن أنا وزوجي مشتركان في المكتبة، لأننا نعد دراستنا لدرجة الدكتوراه". أجابات أمينة المكتبة:" لكنه ليس اشتراكًا لك ولزوجك يا سيدتي، إنه اشتراك للطفل الجديد."

قالت لها الأم ضاحكة في دهشة:" ابنى لا يزيد عمره على السبوع."!

أجابت أمينة المكتبة: " أعرف ذلك، فقد عرفت اسمه وعنوانه من سجلات مواليد المدينة ويقضى النظام في لندن بل في كل مدينة إنجليزية أن تقدم المكتبات المحلية بطاقة اشتراك لكل مولود جديد في دائرة المكتبة، لكى تذهب الأم أسبوعيا، لتستعير له من القسم الخاص بحديثي الولادة، الكتب التي تقترب من الألعاب ويتعامل معها الطفل بحواسه، وهى كتب تناسب مرحلة نمو الطفل وإدراكه، واعتماده على حواسه في اكتساب الخبرة، لكى يتطور عقل الطفل ومدركاته التطور السليم منذ أسابيعه وشهوره الأولى، وذلك في ضوء ما تم اكتشافه من أن هذه الشهور الأولى هي أفضل سنوات العمر في سرعة اكتساب مختلف الخبرات، وعلى وجه خاص من الكتب والقصص والوسائل المعتمدة على اللمس والنظر والرائحة والأصوات والألوان. وكلما تقدم العمر بالطفل، زاد ارتباطه بالكتب، وبذلك تصبح جزءًا دائما من حياته."

تقول الأم:" ذهبت إلى المكتبة، واستعرت سبعة كتب (بعدد أيام الأسبوع)، ليس فيها كلمات، صفحاتها مصنوعة من خامات غير الورق مثل القماش والفوم والبلاستيك، تصدر منها روائح جميلة مختلفة، ولها ملامس مختلفة أو بارزة، وبها لوحات تتجسم وأجزاء تتحرك، وكلما أمسكت الأم بأصابع الطفل ليضغط على أماكن معينة، تصدر أصوات أو موسيقى.

وتضيف: وبعد أسبوع آخر، زارتني ضيفة أخرى، وجلست معي تنقل لي خبراتها حول كيفية احتضان الطفل عند التعامل معه بمثل هذه الوسائل. وطلبت منى أن أقضى مع ابنى كل يوم ما بين ربع إلى نصف ساعة، نلعب ونحن نتعامل بتلك الكتب، على أن أحدثه على نحو دائم عما يقع على حواسه، وأن أجعل كل حواسه تشارك في التعرف على ما أحدثه عنه."

وتكمل الأم:" وكم وجدتُ استجابة قوية من طفلي الرضيع وهو يلعب معي بهذه الوسائل، فبعد ستة أشهر، كان صغيري هو الذي يبدى من الأصوات ما ينبهني إلى فترة تفاعلي معه بتلك الكتب، بل بدأ يحاول الإمساك بتلك الكتب بنفسه، وجذبها ناحيته، والضغط على أجزاء منها بأصابعه ليسمع الموسيقى ويرى الأضواء. لقد نجحت تلك الكتب في أن تصبح جزءًا مهمًا في حياته اليومية."

وتضيف:" لقد هيأ مجتمع المدينة وجود المكتبة، ووجود الكتب والوسائل التي تناسب الرضيع والحضين، وتم تدريب مَن ستقوم بزيارة كل أم وإرشادها إلى كيفية التعامل مع أطفالها بتلك الوسائل. ثم أصبحت بقية المسئولية ملقاة على الأم في استمرار الاهتمام باستعارة الكتب، وفى تقديمها للأبناء بطريقة تفاعلية ولو لمدة دقائق كل يوم، وابن تشاركهم بجدية في الاهتمام بالكتب."

ثم تؤكد الأم قائلة:" اعتقد أننى لن أبذل مجهودًا فيما بعد لربط حياة أبني بالقراءة والكتب، فقد تأصلت فيه على نحو طبيعي تشربته حواسه، عادة القراءة وحب الكتاب منذ ميلاده. بل لست أخشى أن يصرفه أى شيء آخر عن اهتمامه بالكتب، التي أصبحت تستفيد من عناصر التكنولوجيا الحديثة في جذب اهتمامه وإثارة حبه لها."

إن هذا الأسلوب في التربية، الذي يتم تطبيقه في دولة تنبهت بقوة لدورها في سلامة تنشئة كافة المواطنين منذ مولدهم، التنشئة التي تساعد على نموهم وتقدمهم السليم في القرن الـ 21، عن طريق المكتبات والعاملين فيها، قد تم إكماله عن طريق نظم وأساليب التعليم في دور الحضانة والروضة والمدرسة الابتدائية.

كما اريد هنا ان أشير الى تجربة اخرى تحدث هنا في ليبيا وهي مجموعة أصدقاء الكتب التي بدأت تنتشر بين اليافعين، من خلال فتح صفحة ينتسب اليها أصدقاء الكتب وهي مجموعات تتشكل عادة بتشجيع وتوجيه من المربين والمعلمين والمهتمين وعلى سبيل المثال لا الحصر أطلقت منظمة امالنا للإعلام والتنمية الشاملة دعوة لأصدقاء المكتبة لاختيار كتاب وتحضير مناقشة حوله بوجود ميسر من المشرفين وميسر من اليافعين أنفسهم

ويتم تناول ملخص للكتاب مما يجعل هؤلاء اليافعين يرتبطوا باللغة العربية ويكتسبوا المعلومات من خلال النقاش الذي يدور حوله، كما ان المسابقات الأدبية والثقافية في المدارس والنوادي

الاجتماعية لها الدور الكبير في تنمية عادة القراءة واكتساب المعلومات بل انها تسهم ايضا في تحفيز اليافعين للتطلع ليكونوا يوما ما ادباء يشار إليهم بالبنان.

وتحضرني هنا تجربة المنظمة في إطلاق المهرجان الادبي لإبداع اليافعين والذي أسفر عن تخريج شباب واعد في كتابة الشعر والخاطرة والمقال والقصة القصيرة

وكان لإتاحة الفرصة لهؤلاء اليافعين من المشاركة في المهرجانات المحلية والملتقيات الادبية والثقافية المتنوعة أثره في قيام بعض الفائزين في المسابقة بنشر أعمالهم في الصحف والمجلات المحلية بل ونشر كتب بتوقيع الأدباء الصغار.

وهنا الفت نظر اصحاب القرار على الوقوف الى جانب مثل هذه المبادرات والحرص على دعمها وتشجيعها فهي كفيلة. بالمساهمة في خلق جيل من القراء والأدباء وتجعلنا في مصاف الدول التي تنبهت لدورها في الوقوف الى جانب النشء والحرص على سلامة نموهم المعرفي في القرن 21 بكل ما فيه من تحديات وهنا يأتي دور المكتبات والعاملين بها ودعوتهم لتطوير أساليب تعاملهم مع المواطنين وخلق تواصل معرفي منذ الصغر، والتواصل ايضا مع الجهات الرسمية ومنظمات المجتمع المدني ذات الاهتمام بهذا النشاط واستحداث برامج مبتكرة ومميزة لصالح البناء المعرفي للأطفال

وهنا ألفت انتباه المختصين للاستفادة من تجارب بعض الدول المتقدمة حول تعويد الاطفال على القراءة وتحفيزهم على حب الكتاب والتعلق به فهناك تحديات كبرى تواجه أدب الأطفال وتحاصر قدرتهم على القراءة والكتابة في العصر الذى طغت فيه "ثقافة الصورة"، وبدأت الشاشات والمحتوى الإلكتروني هو المسيطر وازداد الأمر طمسا للغة العربية واستخدام اللغات الأجنبية و مصطلحاتها في اغلب التعاملات اليومية والحيوية ولن يستقيم الأمر الا بأحداث التوازن الفاعل بين الاستفادة من التطور والمحافظة على اللغة وتطويعها لصالح أدب الطفل.

---

*خبيرة دولية في مجال حقوق الطفل.



طفل اليوم ليس بطفل الأمس

قليلون نجحوا في كسب ود الطفل

المجلة

تمثل الكتابة للطفل أحد المرتكزات المهمة في بناء شخصية الطفل، والذي سيكون مستقبلا رجل بناء الوطن، والتي يعمل عليه للنهوض والرقي به، لذا اهتمت الكثير من الدول أو المجتمعات الإنسانية بهذا النوع من الكتابة .

هذه الكتابة تعرف حديثاً بأدب الطفل، وهو موضوع ملف مجلة الفصول الأربعة لهذا العدد، والذي نخصصه لأدب الطفل في ليبيا، الذي كلما وقف تعثر وهو بالرغم من الأسماء الكبيرة التي ساهمت فيه، يظل قاصر عن المنشود.

في هذا العدد توقفت المجلة في استطلاعها مع مجموعة من الأدباء والكتاب الليبيين، ممن لهم إسهامهم واهتمامه بأدب الطفل... في محاولة لتقييم أدب الطفل وما يمكن القيام به، من أجل النهوض به.

ماذا يعنيني الطفل ككاتب؟

البداية كانت مع القاصة **فهيمة الشريف**، والتي إضافة لكتابتها القصة القصيرة، لديها تجربة في الكتابة للطفل من خلال مجموعة قصص للأطفال، تقول:

حينما أتكلم عن أدب الطفل يراودني سؤال ماذا يعنيني الطفل ككاتب؟

لأن الطفل كتلة من المشاعر البريئة والمواقف العفوية، ومن السهل التأثير فيها وإقناعها ولها قابلية للتعلم وسعة تخزين للمعلومات وبرمجتها وتجربتها بصورة صحيحة وتوجيهها نحو الإيجابية والانطلاق للحياة في نشاط، ولأن الطفل له براحات واسعة للإبداع والكتابة، فليس في أدب الطفل ما يقال عنه صعوبة، بل هو يحتاج إلى ليونة وتذليل القالب المكتوب وجعله يتناسب مع العقل الطري، وإخراج الطفل القابع داخلك وإنزال مستواك إلى مستواه وتعيش دور الطفل حقيقة في كتابتك، ومتقبلا ما يتقبله حتى يكون النص حقا نابعاً من أعماق طفلك الكاتب، إلى أعماق طفلك المتلقي.

إننا ككتاب للطفل في حاجة ماسة لوقفة جادة مع هذه الفئة العمرية، وإشعار الطفل بأن ما يكتب ويقدم له فهو له ولا يتعداه إلى غيره. لو تتبعنا مسيرة أدب الطفل في ليبيا لوجدنا ركوداً وجموداً مقارنة بالدول العربية، كما نلمح قلة وندرة لكتّاب هذا الأدب.

في الواقع شهدت ليبيا مراحل لتطور هذا الأدب، ورغم مراحل الركود والنشاط التي يتخبط فيها أدب الطفل في ليبيا فمازالت تحتاج لكثير من التطور وزيادة في النشاط الإبداعي.

طفل اليوم ليس بطفل الأمس

أرى أن أدب الطفل في ليبيا اقتصر على القصص القصيرة دون، الاهتمام بسواها من الرواية والمسرحية والأغاني والشعر والدراسات النقدية حول هذا الفن من الأدب. كما نلحظ أن القصة القصيرة تشبعت بالتقليد والتكرار للموضوعات، وبعضها بلا هدف، مجرد تسلية وبعضها يجتر حكايات الأجداد.

إن طفل اليوم ليس بطفل الأمس الذي كانت تقدم له هذه الأنواع من القصص، الطفل اليوم يحتاج لأنواع فيها ابتكار وانفتاح يناسب ذكائه وعقله المتفتح على العالم، وخلق مساحة للتفكير والخيال العميق، ورسم، خططات مستقبلية ناجحة، ومعالجة كل ما يدعو للعنف والكراهية، والتعرض لمشاكل المراهقين وحلها في النصوص الروائية والمسرحية الغائبة عن الساحة، وتوجيه النشء من خلالهما التوجيه الرشيد والتربية القويمة.

هذا هوا بالفعل الخط الناجع لحل مشاكل ركود أدب الطفل

إن الكاتب بهذا الفن بحاجة للإتاحة الفرص أمامه لنشر إبداعه، والتحليق بأدب الطفل لأقصى درجات التطور والتقدم، فليس من المعقول أن يتحمل الكاتب أعباء مسؤولية نشر إبداعه

والتدليل به على دور النشر لقبوله، أو التعطل بسبب عدم توفر مصممي الرسومات، أو انتظار طويل لموافقة الهيئة عليه أو تعذر إخراج العمل لنقص إمكانيات أو تعذر تمويله.

الأفضل لتفادي كل معضلات جمود أدب الطفل وعرقلة مسيرة الكاتب، إقامة مؤسسة متكاملة تختص بجميع متعلقات الطفولة مكونة من لجان فحص ودراسة للنصوص القصصية والروائية والمسرحية وأفلام الكرتون والشعر والأغنية، وتضم المؤسسة دار نشر خاصة، ومسرح خاص وكذلك إقامة عروض مسرح الهواء الطلق وتدريب الفرق المسرحية من الأطفال وتفعيل مسرح العرائس، وإقامة ورش العمل والتدريب للمبدعين واكتشاف المواهب بإقامة المسابقات من خلال مكاتب النشاط الثقافي في كل بلدية وإنشاء الصحف والمجلات الاسبوعية والشهرية الخاصة بالطفل المحتوية على المعلومات الدسمة واستخدام العقل وتعلم المهارات وايضا إقامة مهرجان سنوي يقدم فيه القصص والشعر والمسرح والأغنية ومسابقات وترفيه بحيث يدعم الطفل ويكسبه الثقة بالنفس، والواجب أن يكون هناك مكتبة ضخمة شاملة لكل ما يتعلق بالطفل من الكتب المقروءة والمسموعة ومواد التعلم المدرسية، وعلى كل وحدة نشاط مدرسي زيارة هذه المكتبة مع طلابها لتعزيز وتنمية القراءة والاطلاع المعرفي لديهم.

ربما هذا هوا بالفعل الخط الناجع لحل مشاكل ركود أدب الطفل في ليبيا والدفع به وبكتابه نحو التطور وبناء جيل صاعد له القدرة على تحقيق الأهداف المرجوة منه.

عالم عشناه واستمتعنا بكل تفاصيله الكبيرة والصغيرة

القاص والروائي **إبراهيم الإمام**، له تجربة أيضا في الكتابة للطفل، توجهنا إليه بأسئلتنا عن أدب الطفل في ليبيا، فكانت إجابته:

إنه ذلك العالم الجميل الذي غادرناه مبكرا ونتأسف عليه دائما ونتحسر على أيامه.. عالم عشناه واستمتعنا بكل تفاصيله الكبيرة والصغيرة ..

عالم يختلف عن عالم الكبار.. عالم الصفاء والنقاء والبهجة التي لا حدود لها وفصول ولا توقيت.. عالم لا يمكن قياسه بوحدات القياس المعروفة.. لو أتيحت لي آلة الزمن لطلبت منها دون تردد أن تعود بي إلى تلك السنوات من عمري التي اشتاقها دائما ولكن الحياء يمنعني من البكاء عليها.

أحدثكم الآن من عالم الكبار بعد عقود طويلة ومملة من مغادرتي لذلك العالم الذب لا ولم ولن أنسى منه دقائقه وكبائره. أحاول من عالم هذا أن أساعد أطفال للاستمتاع بهذا العالم والتعامل معهم بحسب قوانينه التي تختلف عن عالمنا نحن.

لا شك أن طفل اليوم بحاجة ماسة وملحة للاهتمام بعالمه بالشكل العلمي الصحيح.. كثيرة هي احتياجات الطفل ربما من أهمها ما ينمي فكره وعقله وخياله وهذا لا يتأتى إلا بزرع ثقافة الاطلاع والقراءة.

القراءة هي مربط الفرس والسبيل المهم ربما الوحيد للتأثير في طفل اليوم ليواجه عالم الغد. ثقافة القراءة تزرع في بواكير الطفولة لتنمو وتشتد وتأتي ثمارها كلما تقدم بطفلنا العمر وهي سلاحه الذي يواجه به كل معضلة تعترضه.

ثقافة القراءة تبدأ بتحبيب الطفل لعالم القصص.. عالم يعشقه الأطفال ولا يملونه.. عالم القصة يمكننا من خلاله زرع الكثير من القيم والمبادئ التي يحتاجه طفل اليوم لعالم الغد.. يكبر فتكبر معه عادة القراءة ويكتشف سحرها وحلاوتها وأهميتها مع مرور الأيام والسنين.. نكون بذلك قد كسبنا قارئا ومواطنا متسلحا بالكثير من القيم التي يحتاجها المجتمع لتنتظم سبل الحياة فيه.

قليلون نجحوا في كسب ود الطفل

الكتابة للطفل من أصعب أنواع الكتابة الإبداعية.. هذا ما لمسته من خلال تجربته كقارئ أولا وككاتب.. الأمر أشبه بالسير في حقل من الألغام عليك أن تحسن أين تضع قدميك لتنصل إلى بر الأمان.. فالطفل بحاجة ماسة لتغذيته بأفكار تناسب سنه دون حشو أو تزييف بل بأسلوب التشويق والاثارة لجلب انتباهه ..

برع كثيرون في كتابة القصة لكن قليلون نجحوا في كسب ود الطفل والدخول الى عقله من خلال أدب الطفل.

المرحوم يوسف الشريف كان أحد أهم كتاب أدب الطفل استطاع من خلال تجربته الغوص في هذا العالم واكتشاف أسراره وخباياه وخفاياه ومفاتيحه فاستطاع أن يبحر بسلاسة منقطعة النظير.

نحن بحاجة للتكثيف المزيد من الجهود لدعم هذا النوع من الأدب والاستعانة بالمختصين والأكاديميين وعقد ورش عمل كثيرة لنتمكن من خلق جيل من كتاب أدب الطفل في بلادنا لنتمكن من

خلالهم لخلق عالم طفولي يحبه الطفل الليبي ويعشقه ويعيشه ويستفيد منه.

لا تزال مجلة الأمل مجلة الطفل الوحيدة في بلادنا والتي كان له دور مهم لنا في طفولتنا تعاني من الكثير من المشاكل التي تعرقل صدوره بشكل منتظم يمكن ان يعول عليه في زرع وتنمية واحياء ادب الطفل في بلادنا.

الكتابة للطفل في ليبيا فقيرة جداً!!

فاطمة علي البركي، تكتب قصص الأطفال ولديها تجربة في الكتابة المسرحية للطفل، شاركتنا استطلاعنا حول أدب الطفل في ليبيا، فقالت:

لا يوجد في ليبيا ذاك الزخم الجميل في جانب أدب الطفل، ولو عرجنا على أهم المحطات البارزة في أدب الطفل. سنجد مجلة الأمل الليبية في منتصف السبعينات. والتي كانت برئاسة تحرير العملاقة خديجة الجهمي رحمة الله عليها. كانت قفزة مهمة ومصدر مهم للطفل الليبي .

قرأت بعض القصص لبعض الكتاب والتي كتبت للأطفال والتي كان أغلبها مستوحى من التراث، وحكايات الجدات الأسطورية التي تحمل جزءا كبيرا من الخيال، وأذكر إحدى الكاتبات كتبت تحت قصتها، إنها كتبت للطفل، وكانت سقطة كبيرة منها، وشخصيا أعتبر أنها لم تكتب للطفل، فالأسلوب السهل والكلمات الواضحة والهدف من القصة، يجعلها أكثر قيمة.

كما أننا يجب ألا نغفل عن المراحل العمرية المختلفة، طفل الخمس سنوات ليس كطفل العشر أو الخمس عشر، إذ اننا نفتقر للأدب الموجه لكل فئة عمرية علي حدى، خاصة مع اقتراب سن المراهقة و بدء تكون مسار العقل والتفكير.

انا أجد أنه الكتابة للطفل في ليبيا فقيرة جدا. ولكني لا يمكن أن أغفل عن أعمال جابر عثمان الرائعة وإعمال بدرية الأشهب وإعمال محمد المقوب.. ففي منتصف السماء المظلمة ليلا، تكون النجوم أكثر لمعانا وتوهجا

وحقيقة، لا يوجد أدب حقيقي للطفل، تظل أغلبها محاولات .

ومع إتاحة فرصة النشر الالكتروني، لا توجد مشاكل كبيرة أمام الكاتب الحقيقي والذي يحب هذا المجال

التشجيع والدعم من وزارة الثقافة، مهم، من خلال التركيز على برامج الأطفال في وسائل الإعلام المختلفة، حيث إن برامج الأطفال لازلت كما هي عليه من عشرات السنوات، إضافة لعمل مسابقات وتبني

المواهب الحقيقية في مجال أدب الطفل، والاهتمام بحصص التعبير، التي بها يتم تحديد الحصيلة اللغوية للطفل واكتشاف موهبته المبكرة في الكتابة، كما يجب أن نلتفت لتجارب الدول المتقدمة في أدب الطفل، ونقل تجاربهم الناجحة لليبيا.

لدينا في ليبيا أدب للطفل

مشاركة الختام، ستكون مع الكاتب والباحث والقاص **خالد السحاتي**؛ وهو مهتم بأدب الأطفال، والذي جاءت مشاركته كالتالي:

من حيث المبدأ يمكن اعتبار أي إبداع – سواء كان شعرا أو قصة أو مسرحا...- موجها نحو الطفل –وفق مستوى فهمه واستيعابه وإدراكه حسب عُمره وثقافته..- هو من ضمن "أدب الطفل".. وفي ليبيا يوجد بالتأكيد أدب الطفل، حيث أنه حسب بعض المصادر بدأ في فترة السبعينيات من القرن الماضي على يد الكاتب محمد عبد الله الزكرة، ثم بعد ذلك برزت أسماء أخرى مهمة في هذا المجال، منها على سبيل المثال: الكاتب الراحل يوسف الشريف رحمة الله عليه، الذي كان له في هذا المجال بصمات مميزة، وأعمال مهمة، ومجهودات جبارة، وهناك أدباء آخرون كانت لهم مساهمات في هذا الباب، منهم الأديب الراحل خليفة حسين مصطفى، والشاعر الراحل: حسن السوسي، وغيرهم، إذا لدينا في ليبيا أدب للطفل، ما نحتاجه –من وجهة نظري- هو البحث والتمحيص في روافد الإبداع الليبي، وعطاءاته المختلفة، أقصد الأصناف الأدبية المتعددة، للبحث عن ملامح الكتابة للطفل فيها ومن خلالها، نحتاج لمؤتمرات وندوات للتعرف على ذلك، ودراسة ما هو متاح منه، دراسة علمية نقدية، وعلى صعيد آخر: يتطلب الأمر دعم الدولة من خلال وزارة الثقافة للكتابة للطفل، من خلال نشر ما يتعلق بهذا الإبداع من أعمال، وتأسيس مركز وطني يعنى بأدب الطفل، الذي يؤصل القيم الحميدة، كالتسامح والسلام والصدق والأمانة، وغيرها، فبلدنا غنية بكنوزها الأدبية وتحتاج منا لبعض الجهد من أجل اكتشافها .

أدب الأطفال يعد فناً أدبيا مميزاً

يظن كثيرون أن تراثنا الأدبي العربي القديم لم يعر الطفل اهتماماً ولكن الحقيقة غير ذلك تماماً فأدب الأطفال هو تلك الأعمال الأدبية المنتجة خصيصاً للأطفال وتشمل الأجناس المعروفة في أدب الكبار من شعر وقصة ومسرحية وغير ذلك... فهو في النهاية وجه ثانٍ لأدب الكبار من عناصر فني: القصة والمسرحية وقياساً علي ذلك يمكن القول بأن أدب الأطفال يعد فناً أدبيا مميزاً... له

جذور في تراثنا الشعري القديم... أما الأدب الأطفال بمعناه الحديث فله خصائص تميزه عن غيره وتجعله فناً ذا طابع خاص...... ولقد تضمن أدبنا العربي الكثير من صور ما نسميه "أدب الأطفال" بوصفه لوناً شعرياً متميزاً أو ربما غرض شعري عرفته القصيدة العربية... فقد روت لنا كتب التراث الكثير من الأدبيات أو المقطوعات أو القصائد التي تحدث فيها أصحابها عن تربية الأطفال وشؤونهم كما روت لنا تلك الكتب كثيراً من الأرجاز التي كانت النسوة يتغنين بها لأطفالهن.... فقد ذكر الجاحظ في "البيان والتبين" أن الزبير بن العوام كان يرقص ابناً له وهو ينشد مرتجزاً متفاخراً بابنه الذي ينسب إلي أبي بكر الصديق فيقول:

عمر بن عبدالعزيز وفد عليه جماعة من الأعراب واختاروا غلاماً منهم فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام.... فلما ابتدأ الغلام بالكلام وهو أصغر القوم سناً قال عمر: مهلاً يا غلان ليتكم من هو أكبر منك سناً.... فقال الغلام: إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه.... فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً استجادله الحلية.... فتكلم الغلام وأوجز... وعندما أتم كلامه... نظر إليه عمر.... فإذا سن الغلام قد أتت على بضع عشر سنة فأنشأ عمر يقول:

تعلم فليس المرء يولد عالماً: وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القوم لا علم عنده: صغير إذا ألتفت عليه المحافل

وهكذا فان المتأمل في تراثنا العربي يجد ثروة وأصولاً طيبة ليس فقط لأدب الأطفال بمعناه العلمي الضيق بل ولأدب الأطفال بوصفه باباً واسعاً من أبواب أدبنا العربي العريق فهو يشتمل علي: القصص الرمزي الذي يصلح للأطفال في كل زمان ومكان ويشمل على شعر الترقيص ونوادر المربين مع الأطفال.... كما يحتوي على مراسلات الآباء والأبناء وعتاب الأبناء العاقين ومرائي الآباء والأمهات لأبنائهم..... وهكذا فري أن أدب الأطفال باب واسع نستطيع من خلاله أن نظل على أروع النفائس العربية من كلمات أو عبارات أو وصايا أو مساجلات خالدة تبين مدي حرص أجدادنا علي تربية أبنائهم وتعليمهم العلم الصحيح النافع - إنها صفحات مطوية ولكنها خالدة علي مر الدهور والأزمان فتاريخنا العربي عبر القرون يسطر.



رابطة الأدباء والكتاب الليبيين



مجلة الفصول الأربعة

ملف العدد 134 – يوليو 2022م

مؤسسات الدولة الثقافية
بين الواقع والمأمول

تعمل الدول من خلال مؤسساتها الثقافية على تأكيد دور الثقافة في النهوض بالمجتمع، وإحياء الموروث الثقافي في مختلف أشكاله، لتكون الثقافة جزء مهما من حياة الفرد والمجتمع.
في هذه الملف نناقش دور مؤسسات الدولة الثقافية في ليبيا؛ وفاعليتها في المشهد الثقافي، وتقييم هذه التجربة من خلال ما قدم، وهل حققت هذه المؤسسات الأهداف والغايات من إنشائها.

محاور الملف:
تاريخ العمل المؤسساتي الثقافي في ليبيا.
مؤسسات الدولة الثقافية وعلاقتها بالمثقف والأديب.
البرامج والأنشطة الثقافية وعلاقتها بثقافة المجتمع.
تطوير العمل الثقافي لمؤسسات الدولة الثقافية.
تقييم العمل الثقافي لمؤسسات الدولة الثقافية.

تستقبل المشاركات على بريد المجلة الإلكتروني
alfosool.al4@gmail.com
حتى تاريخ 15 مايو 2022م

أقواس ثقافية

- وجع الفرح للقاص طاهر بن طاهر – عبدالله الغزال
- الشاعر عاشور الطويبى والإنصات إلى هسيس الطبيعة والكائنات – انتصار بوراوي
- سيكاغوجيا (الفكرة في مواجهة الأسلوب) – د.عبدالله علي عمران
- مي زيادة في ذكرى وفاتها: ثمانية عقود على الرحيل – خالد خميس السحاتي
- احتدام الواقع وأثره في صناعة الشعر – فراس حج محمد
- دلالات الشغف في مشغولات الحصى – رياض الدليمي
- عن الحضارة والجنون بلسان: ميشال فوكو – ترجمة: د.محمد قصيبات

وجع الفرح للقاص طاهر بن طاهر

عبدالله الغزال

(هو كتاب تأملي بين السرد يجمع بين خصائص السرد العادي وذلك السرد التأملي، ظهر على نحو شبه جلي تأثر الكاتب بأسلوب الفيلسوف الفرنسي بول ريكور دون تقليد، ولكن مع ذلك هو كتاب صعب التجنيس ويضم بين دفتيه أفكارا مختلفة رائعة).

هذه الكلمات عالية القيمة وصلتني عبر مماسجة من صديقي الحميم والناقد الفذ الأستاذ عبدالحكيم المالكي حين سألته ذات فجر عن كتاب صديقنا طاهر بن طاهر.

وكنت قد قرأت ما نشره الدكتور طاهر نفسه على صفحته الرسمية على الفيس بوك، وهي سطور كتبتها الدكتورة ثريا الشفطي أستاذة اللسانيات في آداب مصراتة في يوم الاحتفالية بكتاب وجع الفرح. فقد كتبت تقول:

(إطلالة رامت الجدة في الماثل من السير الذاتي الليبي، حيث النص متجاوزا النمط التقليدي المتوارث الذي كان حريصا بل وفيا جاهدا نفسه في مطابقة الحكي المعيش بطريقة حرفية مبالغ في الدقة والاستنساخ. نصوص تقدم مدخلا جديدا للقراءة السير ذاتية عبر شكلها الالتباسي الأجناسي الجامع بين السيرة والتخييل الذاتي. عول الكاتب على اللغة باعتبارها الكون الفعلي الذي يعبر عن كينونتنا وعن أشيائنا. وأضافت:

(في اللغة تكمن ازدواجية المعنى كما يقول بول ريكور، فالمعنى هو موضوع التأويل. اللغة في وجع الفرح حاولت انتشالنا من الكون الواقعي لتقذف بنا داخل ثقافة فردية تمنحه أبعاد موضوعية وتلوينات متنوعة لفهم التجربة الإنسانية تجربة الثورة والبحث عن هرمونطيقتها من خلال أشكال ثقافية منحتها تجسيدا وتحقيقا داخل المدونة).

ولكن سواء اعتقدنا بصحة هذا أم لم نعتقد، فالأمر عندي أن ما ضمته دفتي الكتاب هو جحيم خالص ووجع خالص قد يتعدى بكثير ما أرادت الناقدة القديرة ثريا الشفطي تأكيده. فإن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل يكفي التعويل على اللغة، وتحسس ازدواجيات المعاني في البنية النصية؛ وهل يكفي العثور على ملامح تجربة فردية، والعثور على آثار تلوينات مختلفة لفهم هذه التجربة داخل نسيج النص لنقول إن اللغة هي الكون الوحيد الفعلي الذي يعبر عن كينوناتنا وأشيائنا؟

في رأيي، ثمة هاجس أعظم يتنفس بطول الكتاب، وهو ذلك الهاجس الفطري الذي يؤجج جذوة تلك الحرقة الوجدانية في رحلة البحث الطويلة عن الحقيقة، حيث تتقاصر الحروف عن المعاني المرتجاة، وحيث يظل تسخير طاقة هائلة من الأشواق، وإرهاف السمع الباطني لكل ما هو مخبوء وراء مظاهر الأشياء (وحتى وراء وظاهر التجربة)، وإفساح المجال أمام عين القلب والبصيرة، والعيش في عالم ملئ بالإشراقات والتجليات هو الدافع الأكبر لا اللغة .

لغة الكاتب في وجع الفرح مقاربة، وهي تسير موازية للصوت الداخلي عندما يقترب هذا الصوت من حدود لا تناهي الروح وإشراقاتها. ومن خلال هذا السجل الداخلي الذي يسجله الكاتب يتصل حتى من ليس له لغة بأنفاس الكتاب وروح الكاتب معا، حيث المسألة هنا ليست مسألة لمجاميع صيغ لغوية مليئة بالمعاني، وإنما هي لحظات تلامس لتطور روحي كان لصيرورة الواقع قبل وبعد الثورة دور هام ومؤثر فيه، وكان لا مناص من البوح بها عبر كلمات مكتوبة كأداة وحيدة متوفرة للتعبير. ولقد توصل إلى منظومة الرموز التي تملأ الكتاب هذه عبر الدم والألم، لا عبر اللغة .

اليوم نحن نتكلم بلغة ميتة، كل بلغة مختلفة عن الآخر، لقد انتهى الاتصال، ولم يعد بمقدورنا فعل شيء سوى أن ننقل الجثة.

هو عالم مفهومي باختصار!... لكنه في ذات الوقت عالم مليء بالرموز.

إن ما يرجع إلى مملكة الروح يتحاشى كل شرح، لأن محاولة الشرح في هذه الحالة لا تلقي إلا بصيغ أخرى لأحجيات جديدة. تلك الرموز هي نوافذ مفتوحة على عالم علاقات أشد تعقيدا مما تلقيه ظلال اللغة السردية المعروفة التي كتبت بها انتقالات النص، وفي رأيي أن ثمة اختلافا كبيرا وجوهريا بين ما هو مكتوب وبين ما تتبطن به الكلمات. هي أشواق، وهذه الأشواق قد

تصادف أشواق الكثيرين. ثمة تشابهات بين الانتقالات النصية، عديدة وصارخة، والرابطة العظمى بينها هي طهارة التجرد الخفي، ومقياس هذه الطهارة يجري تقديمه عبر صور شتى للمعاناة. هي علاقة حيوية إذن، علاقة بين روح أكثر عنادا مما قد يصل إلى ذهني القارئ عبر اللغة المكتوبة الظاهرة. لغة أخرى خفية تنسكب مباشرة من الروح والمخيلة معا في ذات الوقت بقدر ما هي نبوءات عاجلة بأحلام ذبيحة. وربما يكون هذا هو أحد الأسباب التي لا تترك المرء ينجو من كآبة أثناء رحلته بين دفتي الكتاب.

بالطبع قد لا يكون هذا الطرح مقنعا لأولئك الذين لا يستطيعون التخلص من السيطرة شبه الكاملة للنموذج الواقعي على الخطاب السردي بأنواعه وأجناسه، أو أولئك الذين تقوم تجربتهم الإبداعية على تدعيم رؤاهم السردية مهما كان نوعها بثنائية الواقعي والمتخيل.

ولكن إذا تم النظر إلى هذه الثنائية في ضوء المطلق الذي يحاول مثل هذا النوع من الخطاب الاقتراب منه والسبح فيه؛ فإن الأمر سيصطدم بحاجز الممارسة العقلانية، حيث يستحيل راي العلم أكذوبة كالدين، والوطنية مهزلة، والقومية خداعا، والتعليم مرضا فتاكا، والأخلاق أخلاق آكلي لحوم البشر، وكل يحمل رمحا نافذا، والكل يحاول طعن عين الثور. كل شيء يستحيل غشا وسرابا.

مهما يكن الأمر، لعل الدرس الأكثر حضورا (بالنسبة لي على الأقل) الذي يمكن سماعه من هذه الانتقالات النصية الفريدة الرائعة هو:

في هذه الحياة علينا أن نعاني دون إظهار الشكوى، وعلينا في الوقت نفسه ألا نتخلى عن أحلامنا.

مع هذا فإن هذا النموذج هو الأعلى تطورا من باقي كل ما قرأته في الأدب الليبي وتمت نسبته وتجنسيه إلى السيرة الذاتية أو أنواع السرد المعروفة ومن كل ما خطته يد كاتبنا المبدع قبله بالرغم من روعتها وعمقها وطغيان الحس التأملي العميق عليها.



الشاعر عاشور الطويبى والإنصات إلى هسيس الطبيعة والكائنات

انتصار بوراوى

يقول الشاعر ريلكه في مقطع له: (لكي تكتب بيتا واحدا من الشعر ينبغي أن تكون قد رأيت مدنا عديدة، وبشرا عديدين وأشياء لا تحصى، وينبغي أن تعرف حتى الحيوانات، ينبغي أن تتحسس كيف تطير العصافير، وكيف تتفتح الازهار في الساعات الاولى للفجر).

وعند قراءة دواوين الشاعر الليبي عاشور الطويبى، سوف تتحسس هذه الروح الشعرية التي ذكرها الشاعر العظيم ريلكه، حيث الإنصات العالي لذبذبات الطبيعة والوجود والكائنات في قصائده، التي تحتفى بالطبيعة وبالحجر والشجر والحيوانات والطيور والغابات، والحقول فثمة روح شعرية عالية تتماهى مع الطبيعة، التي تتجلى بكل صورها وتقفز من القصائد في صور سردية بانورامية.

الشاعر والمترجم الليبي عاشور الطويبى أصدر قرابة 14 ديوان شعري ورواية بعنوان "دردنيل" بالإضافة إلى ترجمته لمجموعة دواوين لشعراء عالميين.

في ديوانه "في معرفة الكائنات والأشياء"، ينصت الشاعر للكائنات من الحيوانات والطيور والفراشات والأسماك والضفادع وكأن بالشاعر في بعض المطارح يستشف منطق الطيور والحيوانات وكل ما يصادفه من الكائنات والطبيعة حوله من أنهار وبحار وغابات وحتى الجماد من شجر وحجر. يبدو صوت التاريخ جليا في قصيدة "ترنيمة القرن السابع قبل الميلاد"، التي تحكى سيرة مدينة صبراتة الأثرية ذات العواميد الضخمة.

في النص النثري "قلقة عين لاعب النرد"، يروى الشاعر حكاية مدينتي سوسة وطلميثة، ويأخذ الشاعر صوت الراوي في القصائد كأنه سافر عبر الزمان ليخلد عبر قصائده تاريخ المدن الأثرية كما خلد هوميروس في قصائده حكايات وقصص أثينا..

منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد لأربعين نهار وأربعين ليلة

ريح الملتم تسرح خيلها من رأس الهلال إلى رأس التين

تستحي البوح بأسرارها، تستحي أن تفك اسراها

روح المكان تأسر الشاعر، فيهيم بين فيافيه منتقلا في نصه النثري بين الماضي والحاضر ليرسم لوحة شعرية تأسر قارئها في قصيدة احببت صبراتة..

هل كنت حقا تفهم صبراتة؟

كانت فيك بعض يفاعة طاهرة

لذا وقفت اغلب مساءتها

مواجها البحر بوجهك الرصين الصامت تسال

بأي لغة أدفن المخيلة في رحم هذا الكائن المراوغ؟

ويبدو من خلال قصائد الشاعر عن المدن الأثرية صبراتة وشحات وسوسة وطلميثة مدى ولع الشاعر بالمدن الأثرية، فيستنطق التاريخ والشخصيات التاريخية التي عاشت فيها عبر العصور القديمة.

في ديوانه "ابن رشد في لباس البحر" يستوقفك عنوان الديوان وكأن الشاعر يريد الإيحاء من خلال الصورة البصرية التي يتخيلها القارئ لهيئة الفيلسوف ابن رشد بلباس البحر، للتحرر من القمع الذى تعرض له الفيلسوف ابن رشد بعد تكفيره وحرق كتبه، فالشاعر في نصه يخرج ابن رشد من الظلم الذى تعرض له من العقول الضيقة ليتكلم بلسانه بكل حرية عن فكره وفلسفته والطريق الذى اختاره دون خوف وقمع وتنكيل، ابن رشد في القصيدة وكأنه يرمز للمثقف العربي الذى لازال يتعرض للقمع والقتل والسحل حين يعبر بحرية عن فكره أو كما يقول في قصيدته:

الرائحة ذاكرة شجرة

أي عنوان أبحث؟

أي طريق سآخذ وأنا خارج الصلوات؟

لعلى سأجد روحي الهاربة في ميلان الخط ودكنة الحبر

الخيل واقفة على جانبي الوادي

الوادي بلاد مجروحة وبدي مليئة بالدموعة

ليس في الغابة غير ذئاب تعوى

يمضي الشاعر في الإنصات للطبيعة والكائنات والوجود والحياة والموت فيكتب في قصيدته "في ظله تزهر الحكايات" عن المقبرة بنظرة شعرية تأملية تخترق ما خلف الموت :

سكينة الليل عميقة أنظر قبر من ذلك

على قبته تجلس الطيور وفى ظله تزهر الحكايات؟

وراء النوافذ عيون تطل على مقبرة

بين شمس تأتى وشمس تغيب.. نشيج النائحات

الشاعر لا يلتقط بإحساسه هديل الحمام، ورفيف الطيور في الطبيعة حوله فقط بل تبدو كل تلك الطبيعة التي يمتزج، بها الشاعر تطارده حتى في غرفته فيحلق بخياله ليراها داخل غرفته كما في قصيدته الجميلة طيور الحناء:

على الحائط نهر وأشجار مشمش

على أرضية الحجرة حقل أرز وحقل لفت وحمار يقف قبالة شمس

على الحائط حاشية سماء زرقاء

على سقف الحجرة شجرة تين

وسرب طيور لقلق تكاد تختفي

على الحائط بحر وسباحون مهرة

على ارضية الحجرة حقل نعناع وحقل جزر

على أوراقه تلمع قطرات ماء

وهكذا تمضي القصيدة في جلب الطبيعة، بحقولها وبحرها وغاباتها وطيورها وحيواناتها لتحلق في فضاء بيت الشاعر الذي يخلق كون وفضاء من الخيال الشعرى الشاهق الذي يعيد تركيب المكان وتأثيثه بما يشتهيه خياله.. في قصيدة "أرأيت" يفتح الشاعر أبواب الأمل عل مصراعيه أمام القارئ :

لك أن تصنع شمسك بورق مقوى وأسلاك صدئة

لك أن تصنع قمرك بوردة ذابلة

لك أن تصنع ليلك وحدك خذ من النهار كل شيء

لك أن تصنع نهارك وحدك

أفتح النوافذ على شمس اخرى

وأرفع الستر حتى تصل أقدام الغيمة

أرأيت

لك أن تصنع الكثير كي ترى العالم

في قصيدة "النخلة والطائر " يستنطق الشاعر النخلة والطائر في محاورة فلسفية:

النخلة تبث حزنها للطائر المقيم

هكذا يفعل الفجر بي

يأتي على جنب كهديل حمام كهل

على كتفيه الباردتين رائحة زيت الزيتون

في نص "لابد" يعتمد الشاعر على أسلوب تكرار الكلمة لتبيان قيمة ومعنى نتيجة الفعل :

لابد من أيد كي تجمع أشلاءهم

لابد من نهار كي يخرجوا من سباتهم

لابد من كلام كي تعرف اقدامهم الدروب

لابد من غناء كي ترقص زهرة اجسادهم

وفي قصيدة "هدهد ونافذة وشتاء" يخاطب الشاعر الهدهد باحثا عنه بقصيدة شعرية يتناص فيها الحاضر مع الموروث الديني وكأن الشاعر لا يبحث عن طائر ألف وجوده على نافذته بل يبحث عن روح الطيران والحرية في طائر الهدهد الذي يمنح إشارة ودلالة على الأخبار السعيدة:

في الشتاء إلى أين يذهب الهدهد؟

سألت نافذتي هذا الصباح

لعله يبقى في عشه

لكن لا عش له

هو يحفر في الارض الواطئة ما يقيه الريح والمطر

لعله ذهب إلى بلقيس

أو أخذته عفاريت سليمان ورمته في الجب العميق

للغابة قوانينها هكذا يخبرنا الشاعر عاشق الطبيعة والغابات، وقوانين الغابة هي من وحي معرفة وقرب الشاعر من الطبيعة والأشجار:

للغابة قوانينها

لا تلبس حذاء ثقيلا

كن خفيفا لا تتعب في حملك الأعشاب

لا تكسر عودا من عيدانها

هات معك عين قلبك

المشي في دروبها بلا عجل

إن وضعت ظهرك على جذع شجرة

استأذن أولا

لا تتنصت على أحاديثها

أترك أناك خارجا

للأشجار أيد فسلم عليها وآذان فسلم عليها

الشاعر في هذه القصيدة لا يكتفى، باستنطاق الغابة وما تحويه من شجر وأغصان وأعشاب بل يؤنسنها ويحولها إلى انسان من لحم ودم تسمع وتتحدث مثل البشر. الماضي وعبقه وصورة الاب والجد تطل من قصائد الشاعر الذي يستذكر في لحظات تجلى صوت وحديث والده وجده:

شجرة التين في فناء بيتي

أخذت عودها من شجرة غرسها جدي

جدي الذي مات وهو يقول

للشاي روح فلا تشعلوا فيه النار إلا بقدر

ولا تقتربوا منه إلا على طهارة

الشاي طريق الجنة

في قصيدته "صاحب الدف".. يحاور الشاعر رياح القبلي التي تهب خلا ل فصل الصيف بغبارها وصهد حرارة نارها :

دفوف تدق اشجار طلح اورادها في حلوق طير

الذين قاتلوا ريح القبلي لم يجدوا علامات الطريق

في أيديهم تمر يابس

وعيونهم تلمع تحت الشمس

حين سمعوا صوتا أليفا نظروا إلى أعلى

القبلي دق دفوف الموت، القبلي مذراة النسيان

الذين قاتلوا القبلي صاروا صخورا سوداء

في ديوانه "كاليماخويس القوريني يعبر حقل الصبار"، يخيل للقارئ بأن الشاعر الإغريقي كاليماخوس، يتهادى بين حقول الصبار بقورينا مترنما بقصائده:

فضوحات اللسان في الليل،

غير فضوحات اللسان في النهار

كذلك فضوحات القدم والعين والقلب

ليس كل فضوح يوصل إلى شارع او سقيفة

ليس كل فضوح عتمة

فضوح الوردة عطرها

عالم الشاعر الشعرى يحلق في فضاء الفلاسفة والشعراء والعلماء ابن رشد وكاليماخوس القوريني، والشاعر تشارلز سيميك، نيوتن، اقليدس سيدي قنانة، الكونت بيزى، رينيه ديكارت، ديوفانتس الإسكندراني، أرخميدس إقليدس، الن غينسبيرغ، الشاعر ناظم حكمت، والشاعر حافظ الشيرازى الذي كتب قصيدة على شكل محاورة بينه وبين الشاعر وبعين الخيال الشعرى يحلق الشاعر في محاورته للشاعر الصوفي العظيم:

جئت من كوة في السماء

تكلمت بلا لسان

وقفت بلا قدمين

ثم مشيت خلف قلبي

في الساحل.. في الجبل

بين الناس كلما أوجعني

جلست على حجر وحدقت في الأعالي

لم أسع وراء جواب

لم أسع وراء طمأنينة عابرة

لم أسع وراء شيء

الشاعر لم يسع إلا للشعر الذي فاض كالنهر الرقراق في مجموعاته الشعرية الجديدة التي يصعب الإلمام، بكل عوالمها الشاسعة المتنقلة بين رحاب الطبيعة والكائنات والوجوه وذكريات الطفولة البعيدة، بأشكال فنية متنوعة في قصيدة النثر، ما بين السرد القصير والصور البصرية التي تلتقط أدق التفاصيل في عوالم الطبيعة والكائنات والوجود ومنتقلة بين نص وأخر بجمالية شعرية تحمل مشروع شعري مختلف في قصيدة النثر الليبية وموقعة بصمتها الخاصة بروح الشاعر الكونية الشاسعة.



سيكاغوجيا (الفكرة في مواجهة الأسلوب) أو العلاقة بين الفلسفة والأدب

د. عبد الله علي عمران

عند الحديث عن العلاقة بين ضروب المعرفة المختلفة، فإن الفصل بينها يعتبر أمرا غاية في الصعوبة، حتى على صعيد العلوم والمعارف الأكثر دقة، كما هو الحال في العلوم المرتبطة بالمنهج التجريبي، فما بالك بالعلوم الإنسانية، التي تتداخل فيما بينها بشكل أكبر، ويعد الفصل بينها عسيرا.

ورغم ذلك يمكن القول بشكل عام في سياق التعريف بالفلسفة والأدب، أن الفلسفة ارتبطت منذ نشأتها بالسؤال عن حقائق الأشياء، وأسبابها الأولى، فهي معنية بالحقائق الموضوعية والبراهين العقلية، عنايتها بالدقة والوضوح، ولذلك تبدو على وجوه أهلها الجدية والصرامة، فكل كلمة لها معنى أو معانٍ مُحددة بدقة، ولكل فكرة منهج وبراهين واضحة توصلنا إليها، ما يجعل مساحة الاختلاف ضيقة، وفرص التعدد محسوبة.

بينما يبدو الأدب في الجهة المقابلة، غير مُكترثٍ بالدقة والوضوح، بل لعله يكتسب وجوده وأهميته من التعددية والرمزية والمجاز، ولذلك نرى أصحابه يتنافسون فيما بينهم على ابتكار الصور الجديدة والفريدة، ويتفاضلون في أيهم أوسع مخيلة وأخصب خيالا.

فهدف الفلسفة هو أن تميز بين الأفكار الصحيحة والأفكار الزائفة، وبين الحجج المنطقية والمغالطات، أما هدف الأدب فهو البحث عن الصور الرمزية الفريدة والأسلوب الجذاب المغري، ويمكن القول بكلمات أخرى، أن الفلسفة معنية دائما بصدق ووضوح الفكرة، بينما الأدب معني برونقها وجاذبيتها.

وهذه الطبيعة المختلفة تبرر إلى حدٍ كبيرٍ كيف نشأ الأدب في أحضان الأساطير وروج لها، بينما كانت الفلسفة أكثر التصاقا بالعلوم وتشبّهاً بها، وهذا ما جعل منهما على طرفي نقيض، بل هناك من يقول أن نشأة الفلسفة جاءت لكي تناهض الأدب، الذي تعد الأسطورة هي مرتعه الأول، ويعتبر الفيلسوف اليوناني (أفلاطون) على الرغم من كل ما كتبه من نصوصه شعرية مميزة، في محاوراته الشهيرة، هو أول الفلاسفة الذين أعلنوا صراحة عداء الأدب، وذلك حين اعتبر أن أول خطوة يجب أن يقوم بها الفلاسفة حين يتقلدون أمور الحكم، هي طرد الشعراء من دولتهم، ولكنه لم يذهب بعيدا في ذلك، لكونه جعل هذا القرار مرهونا بما يكتبه الشعراء، فإن اقتصر حديثهم عن الخمر والرذيلة، فلا فائدة ترجى منهم، وإن كتبوا قصائد ساحرة على غرار (إلياذة) هوميروس، فلا بأس من وجودهم.

واستمرت الفلسفة منذ نشأتها اليونانية، في غرورها وخيلائها وتفردها وصدارتها لكل ضروب المعرفة لعدة قرون، متجاهلة كل صراعاتها، ومستبعدة فكرة الهزيمة، خلال العصور الوسطى، إلى أن وجدت نفسها وحيدة في الحقبة المعاصرة، حين استحوذ الدين على اليقين الروحي والميتافيزيقي، واستحوذ العلم على اليقين التجريبي، وتنصلت العلوم الإنسانية واحدة تلو الأخرى من صلتها بالفلسفة، لا بل استولت قصرا (كما يرى فوكو) على كل موضوعاتها التي كانت تنفرد بها، وعلى رأسها (الإنسان)، ما جعل أمر الفلسفة ينتهي إلى العزلة والوحدة، وليس هذا وحسب، بل ناصبها الدين العداء، لكونها خطر يحدق باليقين الغيبي، الذي لا يحتاج إلا للإيمان والتسليم دون سؤال، في حين اعتبر العلم قضايا الفلسفة مجرد قضايا لغوية تأملية مفرغة من المعنى، كما نادى بذلك أنصار الفلسفة الوضعية.

ثم جاءت الضربة القاضية على يد المؤسسات التعليمية الأكاديمية، حيث أجهزت نظم التعليم التقليدية على البقية الباقية منها، إذ أفرغتها من محتواها النقدي وأسلوبها الجدلي، وجعلت منها مجرد مقررات يغلب عليها السرد التاريخي الممل، حتى وصل الأمر بأن يصف الفيلسوف الألماني (كانط) أقسام الفلسفة بأنها مجرد مقابر تعرض فيها جثث الفلاسفة، لأن الفلسفة تمارس فقط وغير قابلة للتعليم.

أدرك حينها كثير من الفلاسفة المعاصرين، أن الأسلوب الفلسفي القديم، لم يعد مجديا، وأن الفلسفة اليوم تدفع ثمن تجاهلها لقرون ماضية، أهمية الأسلوب الجمالي في عرض أفكارها، وأنها أصبحت

منبوذة وحيدة، ولزاما عليها البحث عن حليفٍ جديد ينتشلها من الهوة السحيقة التي سقطت فيها.

وبعد أن انقطعت السبل بالفلسفة وناصبها الجميع العداء، تذكر الفلاسفة المعاصرون التحالف الأفلاطوني القديم، الذي ربط فيه بين الفلسفة والأدب في سياق العلاقة بين الخطيب والفيلسوف، لكي يمثلان معا السياسي الناجح، مع التأكيد على أهمية تمييزه بين البلاغة السيئة أو (البلاغة السوفسطائية) التي يستخدمها الخطباء للتوهيم ونشر الخرافة، وبين البلاغة الحقة، وهي البلاغة الفلسفية أو) سيكاغوجيا (Psychagogie)، التي تُعنى بالحقيقة، أو تنشئة النفس بواسطة القول.

وقبل الاسترسال في الحديث عن العلاقة بين الفلسفة والأدب في الأوساط الفلسفية والفكرية الغربية، تجدر الإشارة إلى أن هذه العلاقة كانت موجودة في ثقافات أخرى، وفي مقدمتها الثقافة العربية الإسلامية، وإن لم تعرف الفلسفة بمعناها الغربي إلا في مراحل متأخرة، ولم تجد بيئة مناسبة لنموها وازدهارها، إلا أنها عرفت التدبر العقلي والحكمة، وكان الشعراء والخطباء، أكثر الفئات التي التصقت بها صفة الحكمة، التي ارتبطت بدورها بالفصاحة والبلاغة، أي أن الأفكار العميقة والعقلانية، ارتبطت بالأسلوب الجمالي والأدبي، وكانت العرب في الجاهلية تربط بين العبقرية وبين الشعر، ولذا شاع في معتقداتهم الربط بين وادي عبقر وبين النبوغ الشعري، أما في العهد الإسلامي، وعلى الرغم من أن الشعر ورد في سياق سلبي في نصوص القرآن، شواء بالفصل بين النبوة والشعر أو بالتأكيد على غواية الشعراء، إلا أن بعض الأحاديث النبوية، جاءت مؤكدة على الربط بين الشعر والحكمة (6145.صحيح البخاري) مما دل على ارتباطهما ومكانتهما الرفيعة.

وهناك اتفاق بين النقاد على أن نتاج العديد من الشعراء منهم (المعري) و (المتنبي) اللذان كان نتاجهما الشعري مختلفا في طرحه ومضمونه، لكونه يتناول قضايا فلسفية، وقد شاع هذا النوع من القضايا مثل إشكالية الموت والمصير الإنساني وإشكالية التسيير والتخيير في العصر العباسي بشكل خاص، إضافة إلى العديد من المؤلفات الأدبية على غرار (رسالة الغفران). ولكن تلك الصلة بين الأدب والفلسفة لم تكن متينة بما يكفي لتأسيس قاعدة قوية وثابتة، كما لم تأخذ هذه العلاقة شكلا واضحا أو تسير وفقا لمعايير دقيقة، وكل ذلك حال دون نضجها واستمراريتها.

أما في الحقبة المعاصرة من الفلسفة الغربية، وبعد أن وجدت الفلسفة نفسها في عزلةٍ عن العلوم التجريبية والإنسانية، حدث تطور كبير في علاقتها مع الأدب، ولعل ذلك يرجع للتقارب الكبير بينهما سواء من حيث الصفات المشتركة، التي حالت دون ظهورها الاختلافات الكبرى المتراكمة خلال قرون عدة من الخصومة، وأهم هذه الصفات هي أن الفلسفة والأدب يجمعهما التمرد، حيث تعتبران أكثر النتاجات الإنسانية تمردا على ثوابت المجتمعات، أو من حيث الهدف الأسمى لهما، وهو إعطاء عمق وقيمة أعلى للوجود الإنساني.

وتطورت تلك العلاقة على عدة أصعدة، يأتي في مقدمتها الجانب النقدي، أو ما يطلق عليه فلسفة الأدب Philosophy of Literatureفعندما تمارس الفلسفة هوايتها المفضلة في طرح الأسئلة (لماذائية الفلسفية) يصبح الأدب موضوعا للتنظير الفلسفي، كالذي نجده عند (سارتر) في كتابه (ما الأدب) فقد تناول فيه قضايا مثل ماهية الأدب ومعايير الأدب الملتزم و(لماذا نكتب؟) و(ما الكتابة؟) و(لمن نكتب؟)، ومن جهة أخرى ارتبط النقد الأدبي ببعض المدارس الفلسفية، فهناك العديد من مدارس النقد الأدبي استعارت مناهجها من الفلسفة، مثل (النقد البنيوي للأدب)، إضافة إلى قيام الفلاسفة بدراسات فلسفية عن نصوص أدبية، كما فعل (فوكو) مع نصوص (روسيال) و(هيدجر) مع أشعار (هولدرين).

أما الجانب الأكثر أهمية في علاقة الفلسفة بالأدب، هو ما دفعت إليه الحاجة المشتركة لبقاء واستمرار كل منهما، فقد بحث الفلاسفة عن الأسلوب الجذاب لترويج أفكارهم الراكدة، بينما بحث الأدباء عن أفكار جديدة تمس جوهر الوجود الإنساني وتخرج نصوصهم من الرتابة والنمطية .

فقد أدرك الفلاسفة أهمية الأسلوب وهو ما عبر عنه (فاليري) حين اعتبر أن الشكل يكلف غاليا، للدلالة على أن الأسلوب، قد يكون مساويٍ تماما للمحتوى، وهو ما يؤكده (غادامير) أيضا، حيث يرى أن الكلام الفصيح، دائما يجمع بين معنيين، أنه بلاغي و أنه يقول الحقيقة، ولعل ذلك ما يبرر الشهرة والرواج الكبيرين لكتابات (نيتشة) حيث جمع في نتاجه الفلسفي بين وسيلتين للتعبير، هما الكلمة الجامعة والقصيدة، واستطاع هذان الشكلان أن يستتبعا تصورا جديدا للفلسفة، وصورة جديدة للمفكر والفكر. والسبب في هذا التحول هو أن هناك فلاسفة دفعوا ثمن أسلوبهم الرديء غاليا، أمثال (أرسطو)

و(كانط) و(هيغل) الذي تحول أسلوبه الغامض في الكتابة إلى مثار للسخرية والنقد.

وبشكل عام يعتبر الأدب (الوجودي) هو أشهر الأمثلة في المجال الفلسفي، الذي يستخدم فيه الأدب لترويج أفكار فلسفية، كما هو الحال في مسرحيات وروايات (سارتر) منها (الذباب) و(الغثيان) و(الجدار) أو رواية (الغريب) لـ(كامو) الحائزة على جائزة نوبل، إذ تعتبر تلك الأعمال نموذجا للأعمال الأدبية المشبعة بالروح الفلسفية، وعلى الرغم من اعتراض (ويلسون) عليها لكونها نقلت الأفكار الفلسفية إلى أوساط لا يمكنها أن تستوعب الفلسفة، وهو ما أثر سلبا عليها، إلا أنها تبقى علامات فارقة في تاريخ علاقة الفلسفة والأدب.

وبطبيعة الحال لم تكن العلاقة بين الفلسفة والأدب في اتجاه واحد كما يؤكد (كونديرا) إذ بحث الأدباء عن أفكار لنصوصهم في ثنايا الفلسفة، لكي لا تكون خالية من المعنى، فالبعد الفلسفي هو الذي يمنح العمل الأدبي الحقيقي ما يحتاجه من عمق ويسمح له بأن يكون تجربة إنسانية ثرية، تجربة تبدأ من الآني والفردي والعابر، ولكنها تخاطب وتصل إلى الجماعة حيث لا تموت ولا تنتهي.

وهو ما جعل العديد من النصوص الأدبية والأدباء، يرتقون إلى مراتب الفلسفة والفلاسفة، وتتحول بعض النصوص الأدبية إلى موسوعات فلسفية، على حد تعبير (كونديرا) حين امتدح رواية (الرجل الذي لا خصال له) لـ(روبرت موزيل)، وقد يصبح بعض الأدباء أيقونات فلسفية، وهو ما صرح به (كامو) حين اعتبر أن (دستوفسكي) هو ملهمه الأول في المجال الفلسفي.

في المحصلة يمكن القول أن علاقة الأدب والفلسفة، خاصة في الحقبة الحديثة والمعاصرة، تحكمت فيها عدة عوامل وتأثرت بالعديد من المؤثرات، وفي مقدمتها التغيرات التي طرأت على كل منهما، حيث تخلت الفلسفة عن طابعها التقليدي، التمثل في غموض وصعوبة أفكارها، وعزلتها التي فرضها تقدم المنهج التجريبي، وهيمنته على الكثير من العلوم، إضافة إلى تطورات عرفها الأدب الذي حاول سبر أغوار النفس البشرية وتناول قضاياها المعقدة واليومية والمباشرة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن غياب الحرية الفكرية، قد يدفع أحيانا بالبعض إلى تمرير أفكارهم في سياقات أدبية، وذلك بإعلانها على لسان أبطال نصوصهم أو إغراقه في الرمزية تحاشيا لإعلانها بشكل صريح.

• • •

وهذا التداخل الكبير، جعل دراسة الفلسفة ودراسة الأدب أمرا غاية في الصعوبة والتعقيد، فلم يعد ممكنا الحديث عن أي مفكر أو فيلسوف دون الحديث عن إنتاجه الفلسفي والأدبي كما هو الحال عن (سارتر) عالميا و(طه حسين) عربيا و(النيهوم) محليا، كما لم يعد ممكنا تحليل وفهم أي نصوص أدبية، دون معرفة جيدة بالبيئة الفكرية التي نشأت فيها، ومن المؤسف حقا القول بأن هذا التداخل وضرورة أخذه بعين الاعتبار، لم يصبح منهجا في الدراسات والقراءات الفكرية والأدبية لدى نقادنا ومؤسساتنا العلمية، حيث لا تزال تفصل بينهما، كما هو الحال منذ قرون مضت، ما يفقدها قيمتها تقريبا.



مي زيـادة في ذكـرى وفاتها: ثمانية عقود على الرحيل

خـالـد خميس السَّحـاتي

استهـلالٌ :

في مكتبة أبي العتيقة تعرفتُ على اسم الأديبة "مي زيادة"، كُنتُ حينها في المرحلة الإعداديَّة، جذبني الاسمُ قبْل أيِّ شيءٍ آخر، كُنتُ أقرأُ وقتها كُتُبَ الأدب العربيِّ بلهفةٍ ونَهَمٍ، أُقلِّبُ صفحات كُتُب عباس محمُود العقَّاد وجُبران خليل جُبران، فأجدُ عاملاً مُشتركاً لا يُمكنُ تجاهُلُهُ، مي زيادة، تختبئين برُوحك المرحة وعقليَّتك المُتفتحة وثقافتك الفريدة خلف تلك الرَّسائل الرَّشيقة، والأعمال البديعة، المليئة بالحُبِّ والاشتياق؛ لأنك نمُوذجٌ مُتميِّزٌ للمرأة العربيَّة، أديبةٌ، مُثقفةٌ، كاتبةٌ، صحفيَّة، بل رائدةٌ منْ رائدات النَّهضة، حملت على أكتافك هُمُوماً أرَّقَتْ مُجتمعاتنا وشُعُوبنا حُقُباً من الزَّمن: الأمِّيَّة، التَّخلُّف، المُساواة..، وقُلت في كتابك (بين الجَزْرِ والمدِّ): "الشُّعُوبُ كالبحار، لهذه مدٌّ وجزْرٌ، ولتلك ارتفاعٌ وهُبُوطٌ.. وللشُّعُوب مدنيَّاتٌ تنمُو فتعلُو إلى ذُروة المجد والسُّؤدُد، ثُمَّ تهبطُ إلى مُنحدر الوهن والنِّسيان .."

وهي التي قالت يوما: "ولدت في بلد، وأبي من بلد، وأمي من بلد، وأشباح نفسي تتنقل من بلد إلى بلد، فلأي هذه البلدان أنتمي؟، وعن أيها أدافع؟". واليوم، تمر 79 عاما على وفاة مي زيادة (ما يقارب الثمانية عقود من الزمن)، ونستذكر في هذه المقالة جانبا من سيرتها الأدبية، وبعض أسباب المكانة البارزة لها في الأدب العربي الحديث. ودورها في النهضة الأدبية في النصف الأول من القرن العشرين.

مَنْ هي: مي زيــادة؟ :
هي أديبةٌ وشاعرةٌ، ورائدةٌ نسائيَّةٌ، ذائعةُ الصِّيت، لُبنانيَّة مولُودةٌ في مدينة الناصرة بفلسطين عام 1886م، لكنَّها حقَّقت شُهرتها في مصر، وبخاصَّةٍ عن طريق صالُونها الأدبيِّ الذي كانت تستقبلُ فيه المُفكِّرين وأعلام الثقافة من كُلِّ أرجاء الوطن العربيِّ.. تلقَّتْ مي تعليماً مكَّنها منْ إجادة لغات أجنبية عدة في مقدمتها الفرنسية والإنجليزية، أما لغتها العربية فكانت نموذجا يحتذى؛ بفضل أسلوبها السلس المشبع بدرجة عالية من الشاعرية، وفصاحتها في الخطابة، وطريقتها في المحاجة، وترتيب الأفكار، والقدرة على الإقناع1. كان والدها يعمل بمهنة التدريس هو إلياس زخور زيادة، وأمها سورية الأصل فلسطينية المولد هي نزهة معمر. وقد عاشت مي في الناصرة ثلاثة عشر عاما انتقلت بعدها إلى لبنان في صيف 1899م للدراسة في مدرسة عينطورة، ثم في مدرسة الراهبات اللعازاريات في بيروت، لتعود بعد ذلك إلى الناصرة عام 1905م. بعد ذلك بسنتين غادرت الأسرة فلسطين نهائيا إلى مصر. فتحسرت مي لمغادرة مطارح صباها في الناصرة، وتحسرت أيضا لفراق لبنان.. وفي مصر عاشت مي مع والديها بقية حياتها، وفي أرض مصر يثوي رفاتها ورفاة والديها.

وإذا كانت مرحلتها الفلسطينية خمسة عشر عاما، ومرحلتها اللبنانية ستة أعوام، فقد عاشت في مصر مُنذُ 1907م حتَّى رحيلها الحزين عام 1941م. فمرحلتها المصرية تبلغ إذا أربعة وثلاثون عاما، وهبتها مصرُ خلالها جنسيَّتها، كما وهبتها مكانتها الأدبيَّة والثقافيَّة التي استقرَّتْ لها في الأدب العربيِّ المُعاصر2. تقول مي: "ولدتُ في بلد، وأبي من بلد، و أمي من بلد، وأشباح نفسي تتنقل من بلد إلى بلد، فلأي هذه البلدان أنتمي؟، وعن أي هذه البلدان أدافع؟"، هكذا وصفت نفسها من تقاسمت الجغرافيا تكوينها الأول بين عدة مدن، لكل منها خصوصيته الاجتماعية والثقافية3.

أسباب المكانة البارزة لمي زيادة في الأدب العربي الحديث:
يقول المفكر المصري سلامة موسى4: "مي كاتبة الشباب، تنافح عن حقوقه، وتعتذر عن أغلاطه، وهي تفعل كل ذلك بروح الاعتدال، مسوقة في ذلك بالطبع، لا بالتطبع.. ثم -أيضا- لأنها شرقية تحب الشرق، وبخاصة مصر وسوريا، بقلبها وعواطفها، ثم لأنها ذكية تحب الحضارة الغربية.. فبهذا المفتاح يمكننا أن نفهم مي، وأن ندرك معنى المثل العليا التي تتشوف إلى تحقيقها، ومن هذه الوجهة، تكاد جميع مؤلفاتها تتجه إلى غاية واحدة،

وإن اختلفت الوسائل، وهذه الغاية هي إصلاح هذا الشرق، وتنبيه شبابه إلى اصطناع المثل العليا، والحث، في كل ذلك، على التجديد"5.

وتشير الدكتورة/ فاطمة الحصي إلى أن: مي زيادة كاتبة سبقت زمنها، وكانت مبدعه بازغة في ذلك العصر بمجالات عديدة ومتنوعة، وكانت صاحبة كينونة نسائية فاعلة في المجتمع؛ كما أن إقامتها لصالون ثقافي تصول وتجول فيه الأفكار الفكرية والثقافية ويصدح فيه الشعراء بأشعارهم ويتناقش في صالونها المفكرون على اختلافهم في جميع مشارب الفكر والثقافة والسياسة يجعلنا نؤكد على كونها كانت أيقونة نسائية غير مسبوقة في هذا العصر؛ وفي مجتمع من المجتمعات العربية التي كانت ولازالت المرأة فيه مكبلة بكل أنواع الأغلال: فكرية وثقافية واجتماعية.. إلخ. تميزت مي بكونها كاتبة وشاعرة وخطابية من الطراز الرفيع، كما أنها كانت ممن يمكن إطلاق لقب باحثة عليها، حيث قدمت دراسات مهمة مثل دراستها التي خرجت في كتاب حول "باحثة البادية"، كما كتبت مقالات عدة في الصحف المختلفة، ونُشر لها العديد من الكتب، تأليفًا وترجمةً، وكان أول ديوان شعر لها بالفرنسية تحت اسم "أزاهير الحلم"، وصدر لها بالعربية مجموعة كتب: ك"كلمات وإشارات" (1922م)، و"المساواة" (1923م)، و"ظلمات وأشعة"(1923م).. إلخ. كما ترجمت ثلاث روايات منها رواية "ابتسامات ودموع" لمكس مولر، بالإضافة إلى ذلك نشرت العديد من المقالات والأبحاث في كبريات الصحف والمجلات الأدبية والفكرية6. كما كتبت بالإنجليزية رواية بعنوان: "شبح على الصخر(Shadow on the Rock) "، لكن الجزء الأكبر من إنتاجها مكتوب باللغة العربية.. ومن أعمالها كتاب عن: "عائشة التيمورية" (1920م). وكذلك من أعمالها بين مؤلف ومترجم: "ابتسامات ودموع" (1913م)، و"غاية الحياة" (1921م)، "سوانح فتاة" (1922م)، و"بين المد والجزر" (1924م)، و"الصحائف" (1924م).. ومن الواضح أن دورها الطليعي في تأكيد دور المرأة العصرية، والدعوة إلى ذلك بشتى الوسائل، ثم حضورها الشخصي الطاغي، وبخاصة في صالونها الأدبي الشهير، وتعدد روافد ثقافتها، تأتي في مقدمة العوامل الأساسية التي أكسبتها شهرة واسعة في العقود الأولى من القرن العشرين، وضمنت لها مكانا فريدا بين كاتبات عصرها، ومكانا مائزا في الأدب العربي الحديث7 .

ملامحُ الإبداع في كتابات مي زيادة :

تعارف معاصرو مي –وجلهم من أعلام النهضة العربية الحديثة- على تلقيبها بالنابغة مي، منذ ظهورها في القاهرة كاتبة مقالة، وشاعرة باللغة الفرنسية، وخطيبة ساحرة، عندما كلفت بإلقاء كلمة جبران خليل جبران مساء الاحتفال بشاعر القطرين خليل مطران، الذي جرى في دار الأوبرا بتاريخ: 24/أبريل/1923م. ومن المعروف أنها كانت تقيم ندوة أسبوعية عرفت باسم "ندوة الثلاثاء"، التي استمرت عشرين عاما، واستقطبت صفوة الأدباء والشعراء أمثال: أحمد لطفي السيد "أستاذ الجيل"، وطه حسين وعباس محمود العقاد، والشيخ مصطفى عبد الرازق، وولي الدين يكن، الأديب والشاعر المرهف، الذي ألهمتهُ ندوتها الراقية هذين البيتين من قصيدةٍ مُطوَّلةٍ هُما :

يا مي بين الأقــلام والكتب
كالشمس بين الأقمـــار والشهـــب

أحييت عهـد القـريض والأدب
جــددت للأدب رونـق العــــــرب

نعود إلى "نبوغ" مي الذي اتفق على إطلاقه عليها أولئك الأعلام المعاصرون لها، فقد برهنت عليه بمؤلفاتها وأبحاثها، ومواقفها الجريئة في الدفاع عن حقوق الأمة المهضومة، بنسائها ورجالها، في أوائل القرن العشرين، وفي دعوتها إلى الأخذ بالعلم، ونبذ التخلف، والنهوض بالمجتمع العربي كله بغية تقدمه للحاق بركب الحضارة الغربية، مع التأكيد على اعتزازه بهويته وعروبته وتاريخه المجيد الغابر، وحضارته العريقة التي أنارت للغرب بانتشارها فيه عبر الأندلس وصقلية يوم كان يغط في ليل القرون الوسيطة8 .

كتبت مي ذات مرة رسالة وجيزة خاصة لكتاب "محفوظات البنات"، الذي اقترح تأليفه مجلس مديرية القليوبية، ليدرس في مدرسة البنات الأولية التابعة له في شبرا البلد، جاء فيها: "الحياة أمامك، أيتها المصرية الصغيرة، ولك أن تكوني فيها ملكة أو عبدة، عبدة بالكسل، والتواكل، والغضب، والثرثرة، والاغتياب، والتطفل، والتبذل.. وملكة بالاجتهاد، والترتيب، وحفظ اللسان، والصدق، وطهارة القلب والفكرة، والعفاف، والعمل المتواصل. فإن عشت عبدة بأخلاقك كنت حملا ثقيلا على ذويك، فكرهوك ونبذوك، وإذا عشت ملكة أفدت أهلك ووطنك، وكنت محبوبة مباركة. فأيهما تختارين؟، إذا اخترت الملك فروضي نفسك على المكارم منذ الساعة؛ لأن الملوك يسلكون طريق العز، منذ الصغر"9 .

وبمُنتهى الذَّكاء تقُولُ: "في الأقطار العربيَّة شخصيَّةُ الماضي الذي لابُدَّ أنْ نتَّكِئ على بعضه، دُون أنْ يُعارضنا في اكتساب ما يعُودُ علينا بالحياة والحُرِّيَّة. عندنا عادات جميلة ووراثة أثيرة، تحسن المحافظة عليها، غير أنها لا تكفينا، ليتغنى بها الشعراء، ولينشدها المنشدون.. ولكن مهماز الحياة وراءنا، واقتباس المحتوم لا يغض من كرامة الأمم؛ لأنها مركبة من روح وجسد، فشعرها وفلسفتها وفنونها وأديانها وتذكاراتها الثمينة، كل هذا بمثابة غذاء الروح، أما الحياة المدنية منها، الحياة المحسوسة، فلها أساليبها: الآلية، والمالية، والاقتصادية، والاجتماعية، وإلا فالغلبة والاستعباد. ولئن تحتم حمل القيود، فقيود يصيغها المرء لنفسه خير من قيود تربطه بها الأيادي الغريبة10 .

تُشيرُ هذه الأقوالُ والكتاباتُ التي كانت في ظُرُوفٍ ومُناسباتٍ مُختلفةٍ، إلى ثقافة ووعيٍّ مي، ومُحافظتها على هويَّتها العربيَّة، والحرص الدَّائم على توجيه النُّصْحِ والإرشاد إلى أفراد المُجتمع منْ أجل تحقيق التَّطوُّر، والاستفادة من الغرب، في صُورٍ مُناسبةٍ ومُلائمةٍ لحاجات مُجتمعاتنا العربيَّة.

علاقة مي بأدباء عصرها :

أثارت «مي» اهتمام المثقفين والساسة والأدباء، وكانوا يلتقون في بيتها كل ثلاثاء، وهو الموعد المحدد لصالونها الأدبي، يتناقشون في القضايا الثقافية والأدبية، وقد اعتاد على حضور هذا الصالون، كبار الساسة والمثقفين أمثال: محمد عبده، وقاسم أمين، وطه حسين، وإسماعيل صبري، ومصطفى صادق الرافعي .

وكان الشاعر إسماعيل صبري يقول في صالونها :

وحي على بعض دور الحي حـائمة
كظامئ الطير تـواقـاً إلى المـــاء ..

إن لـم أمتـع بمي نـاظـري غــداً
لا كـان صبحك يـا يـــوم الثلاثــاء ..

كان الشيخ مصطفى عبدالرازق، من الشخصيات التي تحرص على حضور صالون مي الثقافي، بل كان حريص على مراسلتها عندما يكون خارج مصر، وكتب عنها يقول: "أديبة جيل، كتبت في الجرائد والمجلات، وألفت الكتب والرسائل، وألقت الخطب والمحاضرات، وجاش صدرها بالشعر أحيانًا، وكانت نصيرة ممتازة للأدب تعقد للأدباء في دارها مجلسًا أسبوعيًا، لا لغو فيه ولا تأثيم، ولكن حديث مفيد وسمر حلو وحوار تتبادل فيه الآراء في غير جدل ولا مراء"11.

وكان الأديب عباس محمود العقاد من ضمن الأدباء الذين جمعتهم بمي علاقة مودة متبادلة، كما تظهر رسالة أرسلتها إلى العقاد من برلين في 30 أغسطس عام 1925، قالت فيها: "وحسبي أن أقول لك: إن ما تشعر به نحوي هو نفس ما شعرتُ به نحوك منذ أول رسالة كتبتها إليك وأنت في بلدتك التاريخية أسوان. بل إنني خشيتُ أن أفاتحك بشعوري نحوك منذ زمن بعيد، منذ أول مرة رأيتك فيها بدار جريدة "المحروسة". إن الحياء منعني"12.

تشير المستشرقة الألمانية د.آنتي زيغلر إلى أن: صالون مي نشأ خلال فترة تحول اجتماعي جذري شامل في كل مناحي الحياة". وتضيف: "أما الـ(رجال حول مي) كما عنون العقاد لذكرياته في الصالون، فإن "اللقاءات الودية وتبادل الأفكار مع هذه الأديبة قد ألهب خيالهم وأثرى إبداعهم". وحسب فتحي رضوان، الذي تردد على الصالون في آخر عهده، فقد أخرجهم هذا الصالون من دنيا جامدة خامدة إلى عالم متحرك حر، تشم فيه رائحة القلوب". أصبحت هذه اللغة أو "الفن العاطفي" كما سماها العقاد هي السمة الغالبة على الأدب الذي كان ثمرة هذا الصالون"13.

وتقول الأديبة سلمى الحفار الكزبري في كتاب المؤلفات الكاملة لمي (من جمعها وتحقيقها وتقديمها): "ظلت مي عزبة مع أن عددا كبيرا من الرجال قد خطب ودها وتمناها زوجة له، ولكن قلبها لم يخفق ولم يمل –حسب رأيها- إلا لجبران خليل جبران، فكانت بينهما مراسلات رائعة امتدت من عام 1912م، حتى قبل وفاة جبران بأسبوعين عام 1931م، وأصبحت اليوم بين أيدي القراء في كتاب (الشعلة الزرقاء)، وهو يحتوي على رسائل جبران المخطوطة إلى مي، من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق سنة 1979م.. فأثبتت للباحثين أن الصلة بين هذين القلمين النابغين تدرجت من الاعجاب المتبادل إلى الصداقة الفكرية، قبل أن تتحول إلى حب ضبابي ذي نزعة صوفية، وشاء القدر ألا يلتقيا إلا على الورق"14 .

دور مي في النهضة الأدبية في النصف الأول من القرن العشرين :

تعتبر مي –كما أشرنا سلفا- واحدة من أبرز رواد النهضة الأدبية البارزين في تاريخ الأدب النسوي العربي في النصف الأول من القرن العشرين15 .

وقد كانت مثقفة من طراز فريد، امتازت بسعة الأفق ورقة الشعور، وجمال الألفة، كتبت في كبريات الصحف المصرية، ولها

عدة كتب وديوان شعر باللغة الفرنسية، قرأت القرآن الكريم على الرغم من أنها مسيحية، من أقوالها: «بين الثانية والثانية يموت أمل ويحيا يأس وتبتسم شفة وتدمع عين ويخون صديق ويخلص عدو بين الثانية والثانية»، بدأت رحلتها في الزمن الجميل، الذي ارتفعت فيه هامات الرجال في جميع المجالات من أدب وفن وشعر وطب وهندسة، وكان يحيط بها صفوة المجتمع الثقافي يوم كان للثقافة وزن16 .

تصنف مي بأنها من "المدرسة الرومانتيكية"، التي سعت إلى تحرير ذات الإنسان، من كل الأغلال الخارجية والداخلية، ومن مجمل ارتباطاته النفسية والوجدانية..، بمجمل المجتمع القديم- السائد وعقليته وأطره ومؤسساته التي تعوق تفتح الفرد ووجدانه وحريته الذاتية والشخصية، وهذا سر "النبرة المتمردة"، والأسيانة والساخرة الغالبة على كتابات هذه المدرسة. من أهم صفات "التفكير" أو قل "الشعور الرومنتيكي" إعلاء صوت الفرد وأحاسيسه وضميره الفردي. تلك هي صيحة المدرسة الرومنتيكية العربية وسمتها المميزة: الحرية.. الحرية فردية وعامة.. وتلك سمة قليلا ما ينتبه إليها17 .

كان أدب مي زيادة يتسم بالرقة والعذوبة، وينشغل بقضايا الإنسان، وبقيم الحرية والمساواة، فالأدب له رسالة سامية، ومي جعلت من المعاناة والألم وسيلة للإبداع18.. تقول مي: "القصيدة محزنة في جوهرها، فالشاعر الذي لم يذق لذة الكآبة الباطنية العذبة إنما هو شعرور، أو متطفل على الفن. قطرات الماء تتساقط قطرة قطرة، بحزن وسكون، على الرمضاء، والنسيم يداعب جبيننا المثقل، والوريقات الخضراء ترى الحياة مرة أخرى على أشجارنا الجرداء"19 .

وعن حبها لمصر أشارت مي (في يناير عام 1923م) أن مصر أصبحت بمثابة قبلة للعالم العربي، وحاضرته المعنوية: "فما لاح فيها نور إلا استضاءت به الأقطار الأخرى، ولا مضت في أرجائها صيحة إلا اهتزت لها القلوب، ولا ظهر فيها أسلوب جديد في الأدب والاجتماع والسياسة إلا نظر فيه الآخرون باهتمام.. "لقد هبت مصر اليوم موفورة الشباب والنبل والشهامة.. ولئن كان هذا مما يبعث في مصر عاطفة الاغتباط والفخار، فهو، كذلك، يلقي عليها مسؤولية كبيرة؛ لأن في الإعجاب تشجيعا ووازعا وإيماء إلى المنهج القويم، الذي يتحتمُ السَّيْرُ فيه نحو العُلى"20..

وفي كتابها (سوانح فتاة) تكتب: "صرنا نكتب ليس بمعنى تسويد الصحائف فحسبُ، بل بمعنى الانتباه للشعور قبل التحبير، لقد خبرنا الاختلاء بذواتنا فأقبلنا على تفهم معاني الحياة نتفرس في المشاهد بأبصارٍ جديدة، ونصغي إلى الأصوات بمسامع منتبهة، ونشوق إلى الحرية والاستقلال

بقلوبٍ طروبة، ونعبِّر عن النزعات بأقلامٍ يشفع الإخلاصُ في تردُّدها. إن الأمر لكذلك. وجرأتنا هذه لم تبدُ من اللائي سبقننا، وإقدامنا لم يألفه الرجل من سوانا، والجمهور يرقبنا بنظرةٍ خاصة تائقًا إلى تصفُّحِ نفس المرأة فيما تصِفُ به ذاتها، وليس فيما يرويه عنها الكاتبون"21 .

وفي عمل عُنوانُهُ "احرصي على قلبك" تقُولُ مي :

أرْخَى الشَّفَقُ سُدُولَهُ على الأرْضِ بَطِيئًا..

ولُفِقَتْ حَوَاشي السُّحُبِ بخُيوطِ الذَّهَبِ والفِضَّة..

وَتلاشى ما كانَ يَبْدُو كبُحَيْرَاتِ اليَاقُوتِ وبركِ الزُّمُرُّد حِيَالَ عَرْشِ الغُروب..

وغَشَتِ الأرضُ كآبةٌ رَبْداءُ..

وغَشَتْ عَيْنَيْكِ كآبةٌ رَبـداء..

أيُّ شمس تغيبُ فيكِ، أيتها الفتاة، ولماذا يُشجيكِ المساء؟..

لتغشى عينيك هذه الكآبة الربداء؟..

ألا احرصي على قلبكِ أيتها الفتاة..

تجلَّت الشمس في الأوج تحت رواقِ الفلك

والأشعة تغازل الأزهار وتُوسِع المياه عِناقًا وتلوينًا

والمنازلُ تسطع كحجارة كبيرة من نور

وانتعشت جميع الأشياء انتعاشَ مَن خرج من أزمةٍ وانفرج

أما أنتِ فتلوين جائعة عطشى

تقولين ما يجب ألَّا يُقال وتفعلين ما يجب ألا يُفعل.

ثم تأسفين على القول والفعل وتعودين تلوين

ووراءَ المللِ والسآمة وهيجٌ فيكِ واحتدام..22

آخــر أيــام مي زيـــادة:

"أنا امرأة قضيت حياتي بين قلمي وأدواتي وكتبي ودراساتي، وانصرفت بكل تفكيري إلى المثل الأعلى، وهذه الحياة "المثالية" التي حييتها جعلتني أجهل ما في هذا البشر

من دسائس". بهذه الكلمات وصفت الشاعرة والأديبة مي زيادة أصعب فترات حياتها التي عانت فيها من موت أحبائها وانفضاض أصدقائها من حولها، فكانت الكتابة هي الونيس الوحيد لها حتى رحيلها. مي زيادة هي أديبة، وشاعرة، وأنثى استثنائية من الطراز الأول، متمردة بطبعها، تعشقُ الحُرِّيَّة، وفُتنت بالمُثُل الإنسانيَّة فكانت دائمة البَحْثِ عن الكَمال23 .

وقد مرَّت مي في أواخر حياتها بظُرُوفٍ اجتماعيَّةٍ ونفسيَّةٍ قاسيةٍ، وأُثيرت الأقاويلُ حول اضطرابها النَّفسيِّ، واعتلَّتْ صحَّتُها، ثُمَّ تدهورت بسُرعةٍ، وماتت وهي في أوج نُضج قريحتها وقمَّة عطائها24.

وكتبت الأديبةُ نوال مصطفى قصَّة حياتها ولخَّصتها في: «أنَّها قصَّةُ امرأةٍ توهَّجت كالشَّمْسِ، وكظاهرةٍ غريبةٍ في عصرها، التفَّ حولها كبارُ مُفكِّري مصر والعالم العربيِّ، واحترم فكرها ونُبُوغها كبارُ الأُدباء والشُّعراء، ووقع في حُبِّها الكثيرُونَ"25.

توفيت مي زيادة في القاهرة، ودفنتِ فيها في:1941/10/20، وكتب على قبرها: "هنا ترقد نابغة الشرق، زعيمة أديبات العرب، المثل الأعلى للأدب والاجتماع"26.

الهوامش :

1 أنظر: يوسف الشاروني، "مي زيادة: (1886-1941م)"، في: حمدي السكوت (إعداد وتحرير)، قاموس الأدب العربي الحديث، ط2، القاهرة: دار الشروق، 2009م، ص 582 .

2جهاد فاضل، "مي زيادة: الهوية والانتماء"، مجلة: العربي، الكويت، وزارة الإعلام، العدد: 496، مارس 2000م، ص ص100-102.

3أنظر: خالد حماد (إعداد)، ملفٌّ خاصٌّ بعُنوان: "طعمُ الغُربة والحنين.. رسائلُ الأدباء إلى مي زيادة في ذكرى رحيلها"، موقعُ: جريدة الدستور المصرية، بتاريخ: 21/أكتوبر/2020م، مُتاحٌ على الرابط الإلكتروني التالي: https://www.dostor.org/3233344
وكذلك: سامح محجوب، "أين في المحفل مي يا صحاب؟"، موقع: البوابة نيوز، بتاريخ: 19/أكتوبر/2020م، متاح على الرابط التالي : https://www.albawabhnews.com/4165247

4سلامة موسى: مفكر مصري، وأحد أهم المؤثِّرين في الفكر العربي والمصري في القرن العشرين، ويَعُده الكثيرون أول مَن دعا للاشتراكية في الوطن العربي. وُلد عام: 1887م بإحدى قرى الزقازيق، والتحق بالمدرسة الابتدائية القبطية، ثم انتقل بعدها إلى القاهرة ليلتحق بالمدرسة التوفيقية، ثم المدرسة الخديوية، وحصل على شهادة البكالوريا عام: 1903م. أتاحت له فترة الإقامة في فرنسا (1906-1909م) التعرُّف على رموز الفكر والفلسفة في أوروبا، فاطَّلع على أعمال «ماركس» و«فولتير»، وتأثَّر تأثرًا كبيرًا بـ «نظرية التطور» (أو «النشوء والارتقاء») وبصاحبها «تشارلز داروين»، كما اطَّلع خلال سفره على آخِر ما توصَّلت إليه علوم المصريات، ثم انتقل إلى إنجلترا لدراسة القانون. انضمَّ إلى جمعية العقليين والجمعية الفابية الاشتراكية، وفيها تعرَّف على المفكر الكبير «جورج برنارد شو». عاد إلى مصر عام ١٩١٠م، وأصدر كتابه «مقدمة السوبرمان» الذي كان أول نافذة يتعرَّف من خلالها المجتمعُ الثقافي المصري عليه، ثم كان كتاب «نشوء فكرة الله» الذي نقل فيه أفكار الكاتب الإنجليزي «جرانت ألين» ونقْدَه للفكر الديني. لـ«سلامة موسى» أكثر من أربعين كتابًا، من أهمها: «أحاديث الشباب»، و«أحلام الفلاسفة»، و«الإنسان قمة التطور»، و«الاشتراكية»، و«المرأة ليست لعبة»، و«حرية الفكر وأبطالها في التاريخ»، و«غاندي والحركة الهندية»، و«مصر أصل الحضارة»، و«نظرية التطور وأصل الإنسان»، و«هؤلاء علَّموني».تُوفِّ «سلامة موسى» في القاهرة عام ١٩٥٨م. نقلا عن: موقع: مؤسسة هنداوي للنشر، متاح على الرابط التالي /https://www.hindawi.org/contributors/40515160 :

5سلامة موسى، "المقدمة"، في: مي زيادة، بين الجزر والمد: صفحات في اللغة والآداب والفن والحضارة، الدوحة: كتاب مجلة الدوحة الثقافية، يناير 2016م، ص 5.

6د.فاطمة الحصي، "رؤى نقدية: مي زيادة وميلينا يسنسكا: فراشات ملونة تحترق!"، مجلة: ميريت الثقافية، القاهرة، العدد: 21، سبتمبر 2020م، ص40 .

7يوسف الشاروني، "مي زيادة: (1886-1941م)"، مرجع سبق ذكره، ص 583 .

8نقلا عن: سلمى الحفار الكزبري، "شعلة الإبداع في كتابات النابغة مي"، مجلة: العربي، العدد: 496، مرجع سبق ذكره، ص 104، ص 106.

9مي زيادة، بين الجزر والمد..، مرجع سبق ذكره، ص 79 .

10المرجع السابق نفسه، ص166 .

11شيماء شناوي، "كل هؤلاء أحبوها.. تعرف على عشاق مي زيادة في ذكرى رحيلها الـ77"، موقع: جريدة الشروق، بتاريخ: 2018/10/17م، متاح على الرابط المُختصر التالي : https://cutt.us/QxdfC

12أحمد عبد العال رشيدي، "أدباء أحبوا مي زيادة: ماذا قالوا لها في رسائلهم إليها؟"، موقع: رصيف 22، بتاريخ: 17/أكتوبر/2016م، متاح على الرابط المختصر التالي https://cutt.us/bbhHk :

13د.آنتي زيغلر، "صالون مي"، مجلة: العربي، العدد: 496، مرجع سبق ذكره، ص ص112-114 .

14نقلا عن: نقولا زيادة، "مي زيادة"، مجلة: العربي، مرجع سبق ذكره، ص 110 .
15أنظر مثلا: أنطوان قوال، مي زيادة: من رائدات النهضة النسائية، القاهرة: دار الفكر العربي، 2006م.
16صلاح العتيقي، "مي والعقاد"، جريدة: القبس، بتاريخ: 2/يونيو/2017م، متاح على الرابط المختصر التالي https://cutt.us/azuRy :
17محمد كامل الخطيب، "النثر الفني الوجداني والرومنتيكي المبكر: المدرسة الرومنتيكية"، في: عبد الإله بلقزيز ومحمد جمال باروت(تحرير) وآخرين، الثقافة العربية في القرن العشرين: حصيلة أولية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011م، ص770. وللمزيد حول مصطلح الرومانسية (Romantisme) في الأدب أنظر: جبور عبد النور، المعجم الأدبي، بيروت: دار العلم للملايين، (بدون تاريخ)، ص ص131-133 .
18أنظر: منى الشرافي تيم، أدب مي زيادة في مرايا النقد، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010م، ص181.
19سيمون عواد، من أدب مي زيادة، بيروت: دار عواد للطباعة والنشر، 1981م، ص50 .
20مي زيادة، بين الجزر والمد، مرجع سبق ذكره، ص ص 76-77 .
21مي زيادة، سوانح فتاة، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م، ص7 .
22المرجع السابق نفسه، ص 9 .
" 23في ذكرى ميلادها: مي زيادة.. ملهمة الشعراء وفاتنة الأدباء"، جريدة: روز اليوسف، بتاريخ: 12/فبراير/2020م، متاح على الرابط المختصر التالي https://cutt.us/bCH2J :
24يوسف الشاروني، "مي زيادة: (1886-1941م)"، مرجع سبق ذكره، ص 583 .
25صلاح العتيقي، "مي والعقاد"، جريدة: القبس، سبق ذكره .
26 عهد فاضل، "عبقرية انتهت بمأساة مروعة.. ذكرى رحيل ميّ زيادة"، موقع: العربية نت، بتاريخ: 19/أكتوبر/2020م، متاح على الرابط المُختصر التالي: https://cutt.us/lNa73



احتدام الواقع وأثره في صناعة الشعر
أنطولوجيا "غزّة أرض القصيدة" نموذجًا

فراس حج محمد (فلسطين)

مقدّمة: التباس المصطلح

في البداية أودّ أن أنوّه إلى أنّ هناك خلطاً في العنوان أعلاه بين مصطلحين هما: "أنتولوجيا " (Anthology)الذي يعني "المقتطفات الأدبيّة المختارة" و"أنطولوجيا (Ontology) " الذي يعني "علم الوجود" 1. وقد وقع المحرّر محمّد تيسير في هذا الخلط، كما وقع غيره، ممن قاموا بمثل هذا العمل 2. ولا فرق في هذا الالتباس أكان المصطلح بالتاء "أنتولوجيا" أو بالطاء "أنطولوجيا."

يورد أحمد مختار عمر المصطلح بالتاء، "الأنتولوجيا" ويعرّفه بقوله: "أنتولوجيا: مجموعة من مختارات شعريّة أو نثريّة أو موسيقيّة" 3. فالخلط على ما يبدو جاء من لفظ(th) (t) ، ومن ثَمّ تفخيم التاء طاء، فصار المصطلح "أنطولوجيا" 4، فانتقل إلى حقل آخر، وقد أشار موقع الويكيبيديا إلى وقوع مثل هذا الالتباس في المصطلح عند الاستعمال 5. وما يدلّل على هذا الانزياح في تعريب المصطلح على هذه الشاكلة إيراد المصطلح صحيحاً على الغلاف باللغة الإنجليزيّة (Anthology Poetry) في كتاب محمّد تيسير "غزّة أرض القصيدة."

ماذا سيخسر الكتّاب والمؤلّفون العرب والفلسطينيّون لو استخدموا المصطلح العربي المعتمد في كتب التراث "مختارات" أو "منتخبات" أم هي عقدة الجري وراء المصطلح الأجنبي؟ لقد شاع هذا النوع من الكتب شيوعاً كبيراً في حركة التأليف عند العرب، منها قصائد المعلّقات، والأصمعيّات والمفضليّات، وكتب الحماسات، وغيرها الكثير، واستمرّ ذلك إلى الآن.

ووجد مثيله في مطلع النهضة العربيّة الحديثة فألّفت كتب مهمّة منها على سبيل المثال كتاب "المنتخب في أدب العرب" الذي جمعه وشرحه نفرٌ من أدباء مصر الكبار وهم: طه حسين، وأحمد الإسكندري، وأحمد أمين، وعلي الجارم، وعبد العزيز البشري، وأحمد ضيف .

وعلى أيّ حال، ليس مهمّاً هذا النقاش الآن كثيراً إلّا من باب لفت الانتباه، وليتركّز الحديث حول ما هو أكثر جدوى، وهو أنّ "الأنثولوجيا" فعل نقدي في الأساس، قد تحكمه أسس معيّنة، وقد يكون تابعاً لذاتيّة من يختار تلك القصائد لمجرّد أنّه وجد تلك القصائد تشبع رغبته وذائقته، ولا خلاف على شرعيّة ذلك مطلقاً، كما فعل فاروق شوشة في كتابيه؛ "أحلى عشرين قصيدة حبّ في الشعر العربي" و"أحلى عشرين قصيدة في الحبّ الإلهي"، إذ لا معايير تحكم العملين سوى ذائقة الشاعر شوشة نفسه.

قد تحاكم هذه "المقتطفات" على أساسين نقديّين الأول مجمل المنتخبات بوصفها وحدة واحدة، وما تؤدّيه من هدف، وأما الآخر فهو سويّة الوحدات الداخلة في بناء تلك المنتخبات كل وحدة/ نصّ على حدة، وما تمثّله من فكرة وأسلوب داخل العمل الكليّ، وموقع أصحابها في تمثيل الفكرة المتمحور حولها العمل.

الأنتولوجيّات في الأدب الفلسطيني:

لعلّ القضيّة الفلسطينيّة وما نتج عنها من مآسٍ وحروب، قد دفعت الشعراء إلى الحديث عن كثير من القضايا، والتقت مشاعر الشعراء وتحرّكت لتكتب في الموضوعات ذاتها، ولذلك وجدت مجموعة من الأنثولوجيّات التي تحاول أن تجمع الشعر المتّفق حول قضيّة معيّنة أو لتؤكّد حضور هذا الشعر أوّلاً في فترة ما قبل الاحتلال الصهيوني لفلسطين؛ كما هو الحال في كتاب الشاعر سميح القاسم الذي جاء تحت عنوان "مطالع من أنتولوجيا الشعر الفلسطيني في ألف عام" 6، إذ يعدّ الكتاب عملاً مهمّاً في ترسيخ الجذور الثقافيّة للشاعر والكاتب والأديب الفلسطيني، هذه الجذور الممتدّة في التاريخ لأكثر من ألف عام، وقد تجسّدت في شعر ما يزيد عن خمسين شاعراً وشاعرة. وثانياً ما ألّفه الكتّاب لرصد حركة الشعر المعاصر في أدب الثورة الفلسطينيّة، ككتاب "ديوان الوطن المحتلّ" الذي جمعه وقدّم له بمقدّمة تحليليّة مسهبة الشاعر يوسف الخطيب 7. و"موسوعة الأدب الفلسطيني

المعاصر"8 للشاعرة والباحثة الفلسطينيّة سلمى الخضراء الجيوسي.

كما أنّ فكرة "الأنثولوجيا" لم تغب عن بال غسان كنفاني حيث ضمّن مجموعة من قصائد شعراء المقاومة الفلسطينيّة في الفصل الثالث من كتابيه "أدب المقاومة في فلسطين المحتلّة (1948-1966)"9 و"الأدب الفلسطيني تحت الاحتلال (1948-1968)" 10.

ثم شهدت حركة التأليف مجموعة من الكتب التي نحت منحى جمع القصائد أو النصوص الأدبيّة السرديّة؛ القصّة القصيرة أو المسرحيّة التي تدور حول هدف معيّن، أو موضوع واحد من موضوعات الشعر عالميّاً 11 وعربيّاً وفلسطينيّاً؛ و"ديوان الشهيد" الذي جمع فيه محرّره12 مجموعة من القصائد التي قيلت في مجزرة كفر قاسم 13، وديوان الشهيد محمّد الدرّة في ثلاثة أجزاء الذي أعدّه وحرّره كلّ من عدنان الجابر وماجد الحكواتي 14، وكتاب "شعر الانتفاضة" الذي جمعه وقدّم دراسة له أ.د. عادل أبو عمشة 15، وكتاب "القدس في عيون الشعراء" للدكتور محمّد قجّة 16، وكتاب "مختارات من شعر المقاومة الفلسطينيّة في الدّاخل 48" 17 أعدّه وقدّم له الشاعر سامي مهنّا. وكتاب "لا تعجبْ... زعترُنا أخضر" 18 الذي جمع بين دفتيه مجموعة قصائد قيلت في مجزرة تل الزعتر 19 .

الحرب على غزّة وشعريّتها:

ساهمت الحروب على غزّة لأنْ تصبح- يا للمفارقة -وحياً شعريّاً، ودافعاً للكتابة وموضوعاً له، وربّما ساعدت على ولادة كتّاب وشعراء كثيرين، أو سرّعت من إنضاجهم فنيّاً، ففي الحرب والحصار، ينضج كلّ شيء سريعاً على ما يبدو؛ الإنسان واللغة والأشياء كذلك، وكانت الحروب على غزّة والأوضاع الإنسانيّة والسياسيّة سبباً مباشراً في صدور أعمال أدبيّة متنوّعة من أمثال رواية "أعراس آمنة"20 وديوان "مرايا الملائكة"21 لإبراهيم نصر الله، وكتاب "في الحرب بعيداً عن الحرب"22 وكتاب "عن أصدقائي الشهداء"23 لخالد جمعة، وكتاب "يوميّات امرأة محاصرة"24 وكتاب "أن تبقى حيّاً في غزّة- يوميّات العدوان على غزّة 2021"25 للكاتبة سما حسن، وديوان "مزاج غزّة العاصف"26 لكاتب هذه السطور، وغيرها الكثير، وإنّما أشرت إلى أثر الحرب على غزّة في كتابات الكتّاب سواء أكانوا يعيشون في القطاع المحاصر أم لا. وسواء أكانوا غزّيّين أم لا، يعيشون داخل فلسطين أو خارجها.

إذاً فثمّة كتابات كثيرة تناولت تلك الحروب، وأوجاعها النفسيّة، وكتابات

أخرى تناولت الصمود وأبجديّاته، وكلا النوعين من الكتابة صادق وعفوي وضروري، ففي حين شكّلت مختارات الدكتور أسامة الأشقر "ديوان الفرقان"27 ذاكرة خاصّة لشعر الحرب والتغنّي بالبطولات والشهداء ومجد غزّة، شارك في صنعها (198) شاعراً وشاعرة عربيّاً وفلسطينيّاً، يجد القارئ أن كتاب "غزّة أرض القصيدة- أنطولوجيا شعريّة"28 ينحو منحىً آخر أكثر توغّلاً في الذات الإنسانيّة التي تشرّبت الأوجاع، وكان لها أكثر من صورة وذكرى وحادثة مع الموت والدمار والوحدة، واقتصرت على شعراء غزّة وشاعراتها.

غزّة أرض القصيدة وتعبيراتها البلاغية عن المأساة:

في مجموعة "غزّة أرض القصيدة" ثمّة حالة نفسيّة مرهقة يعاني منها سبعة عشر شاعراً وشاعرة، وهذا ليس استنتاجاً مذهلاً، بل إنّه هو الوضع الطبيعي الذي ينتجه وضع غير طبيعي. فالحرب غير الطبيعيّة وغير الإنسانيّة سيكون مآلها الطبيعي في الشعر الإرهاق والتعب والكفر بكلّ المسلّمات وفقدان الثقة بكلّ هذا العالم. ومن الجدير ذكره أنّ للشاعرات حضوراً بارزاً في هذه "الأنثولوجيا"؛ إذ وجد ثمانٍ وعشرون نصّاً لعشر شاعرات، وخمسة عشر نصّاً للسبعة الآخرين من الشعراء. وغلب على القصائد الإيقاع الهادئ والاستبطان النفسي عبر نصوص غلبت عليها قصيدة النثر 29.

هذه الحرب التي أصبحت على ما يبدو في غزّة "سياقاً طبيعيّاً"، لأن غزّة- أصلاً- تعيش وضعاً غير طبيعي. أو أنّه من الطبيعي والعادي جدّاً أن تكون هذه هي حالتها، فقد ألفت الحرب وألفتها حتّى لم تعد تعرف ما معنى السلام والهدوء، ففي غزّة تنتهي حرب، ليتمّ الاستعداد لأخرى، ليس مع العدوّ فقط، بل ثمّة معارك أخرى، بعضها تخلّفها الحرب ذاتها، وبعضها الآخر يولد من الذات المهشّمة التي تشظّت في الحرب وما بعدها. آلام تتكاثر، وأمنيات تموت، وأحلام لم يعد لها وجود. تقول ضحى الكحلوت في نص "صور مع الحرب:"

"وقْف إطلاق النار، خروج من الحرب، دخول في أخرى، فالحرب تعبرنا وفي الداخل تجد أختاً، من نار واحدة، لم تضع أوزارها، فلم تخرج منّا". (ص140)

هذه صور حقيقيّة، وليست مجازيّة في غزّة، وليست لغة إنشائيّة تعاطفيّة مع ما يحدث، هذه الصور تتسلّل إلى القصائد وإلى النصوص خارجة من معاملها النفسيّة الذاتيّة، هذه المعامل التي ترى الحرب أكبر من قدر عبثي، لا نستطيع مواجهته.

قدر يضع كلّ شيء موضع مساءلة، من منظومة القيم والعقائد إلى أتفه التصرّفات البشريّة.

ليس مستغرباً- والحالة هذه التي يعيشها الشعراء، وكلّ سكّان قطاع غزّة المحاصرين أمداً طويلاً، والمهدّدين بالطائرات أبداً لا ينتهي- أن يصبح كلّ شيء عقيماً فعلاً، هذا ما تعبّر عنه نصوص هذه المجموعة بامتياز، إلى درجة فقدان أيّ بارقة من أمل.

يبدو في هذه النصوص أنّ الحرب قادرة على إعادة الحياة إلى منشئها الأوّل وإلى أسئلتها الأولى، حيث سؤال الوجود أصبح سؤالاً محوريّاً، فمن نجا من موت الحرب قد نجا بأعجوبة، فكلّ من هو داخل أسوار القطاع المحاصر أصبح فريسة محتملة لوحش الموت الذي يختار مجموعته البشريّة المتعدّدة الأعمار والأجناس، ويؤجّل الباقي لحرب قادمة. فالموت قادم، وهو وحده الذي "لا يموت"، كما جاء في خاتمة نص الشاعر محمّد شقشقة "وحي ثمل" (ص102).

لا يركض هؤلاء الشعراء نحو الصورة البلاغيّة المعدّة على مهل وبصيرة ووحي شاعر يبحث عن الجماليات الناقصة، فبلاغة الحرب وحدها كفيلة بتعبئة النصوص بشعريّة مختلفة وشاعريّة خاصّة؛ شاعريّة الموت والحرب والانتظار، وكلّ تلك الصور الشعريّة الطازجة التي ولدت في "أرض القصيدة" هي معانٍ نفسيّة في "أرض غزّة" وفي "نفس الشاعر"، فاللغة التي أصبحت منفذاً وملجأ متاحاً وأخيراً محمّلة بالمعنى المكثّف الذي ولد على هيأة صورة شعريّة هي نفسها المعنى، ولا يمكن أن يكون للمعنى تصوّر خارج بنيتها اللغويّة والذهنيّة، بهذه الصورة يصبح التعبير عن المعنى حقيقيّا لوصف الأوضاع الكثيفة الغرابة في غزّة:

"في رثاء المواعيد الضالّة

تتناثر الألسنة حطام فخّار

يهيّج الانكسار على التوق

ضائعة الأوصاف في رحيل الصور". (ص56)

فلا يمكن للمتلقّي- مثلاً- أن يفهم أبعاد هذه الصورة القاتمة، إذا لم يكن يعرف أوضاع غزّة في حالتيها: الحرب الدائمة والسلام المؤقّت.

بهذه الآليّة تعبّر الشاعرة ضحى الكحلوت في نصّ "خمسة وستون" عن الأطفال الشهداء الذين كانوا ضحايا الحرب الأخيرة، وعددهم (67) طفلاً، فهم ليسوا أرقاماً، وإنّما "وجوه حكايا"، ومن الخطأ البشري الفادح أن نقف عند الرقم

وحسب، لتصوير المأساة برهبتها الجمعيّة، فوراء كلّ رقم وجه وحكاية، بل وراء كلّ قصةٍ طفل من لحم ودم، مقتول الأحلام، قد صادرت الحرب مستقبله، ووضعت له حدّاً بقسوة كبيرة، لتصل إلى قولها: "لم يكونوا رقماً، كانت لهم أسماء وعيون وشهادة ميلاد في بداية نموّها، كان لهم ما لم يكن لنا". (ص142)

ربّما في هذا السياق من انهيار الثقة بكلّ ما هو حولنا، تبدو صورة الربّ مغايرة، لأنّ الحرب أكثر حضوراً من هذا الربّ، ولذلك تهمس الشاعرة "أمل أبو قمر" في نصّ "حليب مرّ" قائلة :

"أنا لا أومن بالربّ كما أومن بمضاجعة الحرب بعد كلّ هزيمة

لا أرى الربّ لكنّني أرى الجثث دائماً". (ص20)

هذه هي النتيجة الطبيعيّة- ربّما- في حالة مثل غزّة، حتّى ليبدو سؤال: "لماذا لا ينقذنا الله؟" ليس ساذجاً طفوليّاً. هذه المسألة عن حضور الربّ تحضر أيضاً في نصّ ضحى الكحلوت "صور مع الحرب": "الأصوات محمّلة بالعتاب، نسأل الآلهة وما بعدها، الأصوات أسئلة تجول كلّ الوقت". (ص139) والشاعر "أدهم العقّاد " يخاطب الله في نصّ "عدني يا أناي أو عد إليّ:"

"الله يا خاطري المكسور يا دعائي المتحجّر يا جحيمي الرطب

أطعمنا باروداً ورديّاً غير متفجّر، اسقنا من غيث أولئك

القدامى الذين لم يصل إليهم نبيّ أو صحابيّ يحمل تحذيراً

بين ساعديه". (ص31)

ولم يتوقّف عند هذا الخطاب الذي يحمل مفارقات موجعة، بل يخاطب الله طالباً معجزة: "أرني معجزة حقيقيّة كي نخلع الحزن عند الباب ونصلّي للنجاة

كمن يقف أمام البحر" (ص32)

حضور "الربّ" لا يقتصر على وجع الحرب والطفولة، بل ثمّة ألم يعتصر حياة النساء. ففي نصّ الشاعرة إيلينا أحمد "النرقص في خلوة الصدف" تتوقف عند معاناة النساء الباحثات عن بعض معاني الحياة، كحقّ طبيعي لهنّ:

"حين تصرخ الإناث شهوة

هل يخجل الربّ من وحدتهنّ

فيشيح بوجهه كي يمارسن عادة التجلية

دون مداراة أعينهنّ عنه وهو هناك

هل تنتفض الجدران بالآه لكي يعرف الإله

أنّه أبدع في خلقه حين سواه شهوانيّاً" (ص125)

هذه الصورة المقتطعة من سياق الحياة الطبيعيّة، قد يجدها القارئ في أيّ مكان في العالم، فتأخذ بعداً إنسانيّاً خالصاً مرتبطاً بأوجاع الحياة الطبيعيّة. هذا المعنى الأوليّ للتلقّي سيكون محمّلاً بمعنىً إضافيٍّ عندما يدرك أنّ الصورة قادمة من قلب الحياة في غزّة. فالوحدة تفرض نفسها على النساء في الحرب، إذ يبقين وحدهنّ، فالرجال هناك، حيث الحرب التي تتربص بهم، وأغلب الظنّ أنّهم لن يعودوا إلّا "شهداء". وهذا المعنى أيضاً قد تشترك فيه نساء غزّة مع نساء المحاربين حول العالم أيضاً، لكنّ ثمّة وضعاً آخر لمعاناة النساء في غزّة، حيث الحياة السياسيّة التي تفرض قيوداً أخرى مضاعفة على النساء، فإن انتهت الحرب، فالمسألة لن تختلف كثيراً عمّا كانت خلال الحرب .

وفي نصّ آخر بعنوان: "أغيّر الأسماء إكراماً للتواريخ" لإيلينا أحمد يعود قلق السؤال حول أوضاع النساء في غزّة :

"فكيف أكون واحدة

وأقبل أن أظلّ رقماً ثانياً

وأنا التي تجاهد كي تصلّح مسار خطاياها العشر

دون المساس بإحدى عشرة مصيبة تسرّها في نفسها" (ص136)

ولا يبتعد نص الشاعرة وسام الطويل "أقطّع البرتقال مع الأرق" عن هذه الأجواء النفسيّة القاسية الغارقة في إحساس الوحدة:

غرفة منسيّة وصغيرة

أريد استعادة كلّ ما يخطو على عيني

أشياء تذكاريّة تطفو لحظة وتغرق

مرآة مربّعة لا يظهر منها

غير جسدي الغريب وشعري الليلي

حتّى صارت عظامي أعمدة للغرفة" (ص157)

لن تكون الصورة مجرّد صورة بلاغيّة شعريّة متقنة في هذه النصوص، إنّها جزء نفسي أصيل من المعنى؛ إذ لا يتحقق المعنى دون معالم هذه الصورة التي تجسدت بكثافة بتعبير لافت: "حتّى صارت عظامي أعمدة للغرفة."

تدفع الحرب الواقعين فيها للبحث عن مخرج، هذا المخرج الذي له أبعاد نفسيّة ذاتيّة جدّاً منطلقاً من رحم الأوضاع غير السويّة إطلاقاً. من أجل ذلك تبحث الشاعرة هبة صبري عن مخرجها الخاصّ

بنشوة خاصّة في الإقبال على "الماريجوانا"، إذ تصنع انتشاءها المحض:

"نخب المارايجوانا الطازجة

والانتشاء المحض

الذي تقوم عليه الآن

حياة كاملة

سقطت في الفراغ

ولم يلتقطها أحد" (ص84)

هذا الانتشاء الذي وقعت تحت تأثيره الشاعرة يؤهّلها لترى العالم "بطريقة مسلّية"، فلا تتوانى عن تسديد "نكتها" في وجهه:

نكتة

جديرة لنتذكره بها

فلترفعوا كؤوسكم

وإصبعكم الأوسط

لا تكترثوا لشيء

إنّه وقته الآن تماماً

فننتشي معاً مرّة واحدة. (ص84-85)

صورة من الاحتجاج الذاتي المحمّل بالسخرية المُرة، هذه السخرية التي وُظفت في سياق القصيدة للتعبير عن الحالة النفسيّة التي وصلت إليها الشاعرة؛ حالة من عدم الاكتراث بأيّ شيء. بل تواصل الشاعرة رسم طقوس هذه البلادة، متحرّرة من كلّ قيمة قد يدّعي هذا العالم الصامت أنّه يحترمها:

ولنرقص، عاريين تماماً

من دون خوف

لينظر لنا الإله مبتسماً ويقول:

"كما خلقتكم أوّل مرّة". (ص85)

أمام هذه السخرية السوداء، وهذا الرفض الواضح العنيف لما آلت إليه الأوضاع لم تجد الشاعرة بُدّاً من أن تقول بكلّ صراحة:

"فلتحيا الماريجوانا

التي التقطتني حين لم يلتقطني أحد

وأباحت لي الرغبة

حين لم يرغبني أحد" (ص85-86)

بهذه الكيفيّات التعبيريّة يجسّد شعراء غزّة الشباب الذين اكتووا بنار الحروب كلّها، وشاهدوا أوجاعها، أربع حروب نشأ في فظائعها هؤلاء الشعراء والشاعرات السبعة عشر كانت كفيلة بتشكيل وعيهم بناء عليها وعلى مخلّفاتها النفسيّة

القاسية، فهم من جيل لم يعرف غزّة المستقرّة ذات الابتهاج والنوارس والشواطئ الجميلة والموسيقى والحفلات الصاخبة والأمسيات السينمائيّة والمسرحيّة، هم نَبْتٌ خرج في ظلّ الحصار والحرب والفرقة والانقسام، فليس بمقدورهم ألّا يكونوا إلّا صورة لهذا الوجع المستقرّ الذي أوحى له أن يقول أدهم العقّاد في نصّ بعنوان "في العالم الآخر:"

سأعلّم أحد أبنائي النجارة

وأساعده في صناعة تابوتٍ

من نبتة "المشروم" ونضعه داخله

لنحوله من قابض أرواح

لبائع أفيون في شوارع رام الله". (ص34)

لا شكّ في أنّ هذه "الأنثولوجيا" الشعريّة ذات الملامح السرديّة في التعبير عن الحرب، تؤكّد أنّ الحرب مؤلمة، لكنّ ما بعد الحرب هو الأشدّ ألماً وقسوة، ولعلّه هو الأكثر تسرّباً في النفس ليثير شهيّة السؤال، وقلق البحث عن مخرج من هذا المأزق الوجودي المهدّد دائماً بالانتقاض والانتقاص والمحو، ليشكّل الشعر والأدب عموماً ردا آخر أو بديلاً موازياً، ليبني غزّة، بوصفها مدينة تعيش أوجاعها في نصوص الشعراء والكتاب، وهي تحاول الانعتاق والتحرّر من كلّ هذا العبث الذي يهدّد وجودها ويخنق صوتها ويمنع عنها البحر والشمس، فلا تبحث عنه ولا تجده إلّا في متخيّل اللغة شعراً ونثراً، ويا لها من مفارقة حادّة، لكنّها ستظلّ مدينة حاملة للحياة، ولا بدّ لها من هذا المعنى لتشعر بأهمّيّة وجودها .

لم تكن غزّة في هذه المختارات مثالاً لديستوبيا يناصبها الشعراء العداء، ويتمنّوْن زوالها، وإنّما كانت مكاناً وثيراً، يعاني من "الاغتصاب" السياسي، في حالتيه؛ الحرب والسلم. فاتّجه الشعر لانتقاد هذه الأوضاع غير الإنسانيّة وحسب، وهذا ما يوحي به العنوان "غزّة أرض القصيدة" المفتوح في تأويله على المعنى الإيجابي، مهما كانت تلك الأوضاع مرجومة وسلبيّة. إذ تحكم العنوان ذهنيّة جماليّة مختزنة في مفهوم "القصيدة" المضاف إليها غزّة بوصفها أرضاً، ومكاناً صالحاً للعيش على الرغم من كلّ ذلك الألم المسكون في أرواح الشعراء وقصائدهم. إنّهم يتوقون لأنْ يعيشوا في غزّة الواقع الجميل المتمتّع بالحرّيّة الداخليّة ومفتوح الأفق على العالم أجمع، فلا حصار ولا حرب، وهذا أقلّ ما يجب أن يكون.

لعلّ غلبة الشاعرات وأفكارهنّ في قصائد هذه المجموعة سيمنحها أهمّيّة خاصّة، لما لوجع النساء في الحرب وما بعد الحرب

من بلاغة خاصّة وشعريّة عالية التوهّج، فهنّ أكثر من يدفع فاتورة الحرب؛ دما ودموعاً وحزناً. هذا الوجع القليل الحضور في الشعر، الهارب نحو السرد الخالص والنثر الروائي، وهو ما أضفى أيضاً على تلك القصائد بعداً نفسيّاً، وإيقاعاً هادئاً، وسرديّة لم تفسد شاعريّته، سرديّة تهتمّ برسم معالم بعض المشاهد، سواء أكانت مشاهد نفسيّة أو مشاهدات من واقع الحياة ذاتها. هذه السرديّة هي التي تؤهّل الشعر أكثر ليكون أقرب إلى المتلقّي الباحث عن صورة الإنسان المنقوع في الألم من رأسه حتّى أخمص قدميه. "ويكسر الحصار الهمجي عن طريق الارتقاء بتعبيراته إلى مصافّ كونيّة" 30، على حدّ وصف الناقد السوري صبحي حديدي لشعر هؤلاء الشعراء الغزّيّين.

الهوامش:

1 يُنظر في تعريف الأنطولوجيا: معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، مكتبة لبنان، بيروت، 1974، ص368. وللتوسّع في التعريف ودلالاته واشتقاقه يُنظر: الأنطولوجيا في المصطلح والمفهوم والاستعمال الفلسفي، ياسين حسين علوان الويسي، العتبة العباسيّة المقدّسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان، ط1، 2019، ص12-13.

2 من ذلك على سبيل المثال ما قامت به الباحثة والشاعرة مريم العطار، في كتابيها "أنطولوجيا الشعر الفارسي الحديث"، دار المدى، بغدا، 2016، و"أنطولوجيا الشعر الأفغاني الحديث"، دار المدى، بغداد، 2021.

3 يُنظر: معجم اللغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ج1، ص127.

4 كما حدث مثلاً مع مصطلح "رومانتيكيّة" المعرّب أحياناً عند المترجمين "رومانطيقيّة."

5 ينظر: الموسوعة الحرّة (الويكيبيديا) من خلال الرابط الآتي .https://2u.pw/XyiXh :

6 صدر الكتاب عن دار عربسك في حيفا، 1990، ويتناول الشعراء من عام 908م وحتى 1936م.

7 صدر الكتاب عن دار فلسطين للتأليف والترجمة، 1968.

8 صدرت الموسوعة عن المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، 1997، وجاءت في جزأين، أوّلهما للشعر، وأمّا الآخر فللفنون النثريّة المختلفة.

9 صدر الكتاب في طبعته الأولى عام 1966.

10 صدر الكتاب في طبعته الأولى عام 1968. وطبع الكتابان عدّة طبعات.

11 أشير على سبيل المثال إلى مشروع "ممورِيام" حيث ترجمت الشاعرة الجزائرية د. حنين عمر مجموعة من القصائد الفرنسيّة، وجاء المشروع في ثلاثة كتب: الأوّل ضمّ (100) قصيدة فرنسيّة

لشعراء فرنسيّين، والثاني اشتمل على قصائد لـ (100) شاعرة فرنسيّة، وأمّا الثالث فضمّ قصائد لـ (100) شاعر فرنسي. (الويكيبيديا).

12 صدر الكتاب عن المجلس المحلي لبلدة كفر قاسم، 1999، ولم يظهر على الغلاف من قام بتحرير الكتاب.

13 مجزرة نفّذها ما يعرف بحرس الحدود "الإسرائيلي" في 29 أكتوبر 1956 ضدّ المواطنين الفلسطينيّين في قرية كفر قاسم راح ضحيّتها 49 مواطناً فلسطينيّاً، منهم (23) دون سن (18). (الويكيبيديا)

14 صدر الديوان عن مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2001.

15 صدر الكتاب عن اتّحاد الكتّاب الفلسطينيّين في الضفّة والقطاع، القدس، 1991.

16 صدر الكتاب عن وزارة الثقافة والفنون والتراث في دولة قطر، 2012.

17 صدر الكتاب عن الاتّحاد العامّ للكتّاب واالأدباء الفلسطينيّين، رام الله، 2016.

18 صدر الكتاب في حيفا في الذكرى الخامسة والأربعين للمجزرة (12 آب 2021)، جمع وتحرير: حسن عبّادي وفراس حج محمّد.

19 وقعت المجزرة في مخيّم (تل الزعتر) أحد مخيّمات اللجوء الفلسطيني في لبنان يوم 12 أغسطس 1976، واستمرّت حتّى 14 أغسطس، وراح ضحيّتها 3000 شخصاً.

20 صدرت الرواية في طبعتها الأولى عام 2004، وطبعت عدّة طبعات.

21 سيرة متخيّلة للشهيدة الفلسطينيّة الطفلة إيمان حجّو، وصدرت الطبعة الأولى منه في 2001.

22 صدر الكتاب بأربع لغات؛ العربيّة، والإنجليزيّة، والفرنسيّة، والبرتغاليّة، صدر عن وزارة الثقافة الفلسطينيّة، عام 2016.

23 صدر عام 2019 عن الدار الأهليّة للطباعة والنشر، عمّان.

24 صدر عام 2012 عن دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس.

25 صدر عام 2021 عن دار البيروني للنشر والتوزيع، القاهرة.

26 صدر عام 2014، عن جمعية الزيزفونة لتنمية ثقافة الطفل، رام الله.

27 صدر الكتاب بعد حرب غزّة 2009، عن مؤسّسة فلسطين للثقافة في دمشق.

28 صدر الكتاب بعد حرب غزّة 2021، عن المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر في بيروت، اختيار وتقديم: محمّد تيسير.

29 وجد نصّ في المجموعة موزوناً مقفّىً على البحر المتقارب بعنوان "خيمة أخيرة". (يُنظر: ص109-112).

30 من كلمة على الغلاف الأخير من الكتاب.



قراءة في تجربة هاجر الطيار دلالات الشغف في مشغولات الحصى

الدكتور رياض إبراهيم الدليمي (العراق)

فن الحصى أو ما يطلق عليه مصطلحا شائعا (Pebble Art) يعد واحدا من الفنون التشكيلية، وهو أحد المشغولات اليدوية التي اتخذت لها مكانا وحيزا كبيرا كباقي الفنون التشكيلية في عصرنا الحديث، وألقت اهتماما من قبل المعنين بهذا الفن الجديد القديم. (إن الإنسان قد طور تقنيات الرسم والتلوين، وفن الزخرفة والتعبير الجمالي، مع تطوُّر حياته المستقرة واختراعه العديد من الأدوات والصناعات التي جعلت حياته أكثر راحة وأماناً وصحة. ومع تطوُّر المدنيات الأولى في الشرق الأدنى القديم، خلال الألف الرابع قبل الميلاد، كان الإنسان قد بدأ ببناء البيوت والمعابد والقصور، وراح يزيِّن أرضياتها بل وجدرانها بالرسوم والحجارة الملونة في لوحات زخرفية جميلة تمثِّل أولى فنون الفسيفساء المعروفة حتى اليوم).

هذا الفن (فن الحصى) يحاول أن يثبت يوما بعد يوم كفن له أسسه وقواعده واشتراطاته الفنية والقيمية من حيث عناصره التكوينية المختلفة، ومحاولات جادة بغية جعله فنا تقنيا مقوننا بأسس، بدلا من النظرة السائدة بأنه فن فطري عفوي غرضه الصنعة والحرفة، أي بات فنا تعبيريا يعبر عن مشاعر وأحاسيس ورؤى الذات وما يكتنفها من هواجس وصراعات، وكذلك يعبر عما يدور حول الفنان من أحداث وتداعيات.

تعد تكوينات الحصى من عناصر وأدوات جلها قد لا تنفصل عن بعضها البعض إذا ما أردنا أن نخلق نصا بصريا له هويته كفن قائم بذاته، وله استقلاليته وفنانيه ومتذوقيه ومريديه.

ولابد أن تجتمع كل هذه الوظائف والأدوات والعناصر كي يستطيع الفنان أن يشكل عوالمه بدهشة وإبداع لكي تحاكي وتلبي حاجاته وحاجات المتلقي الذوقية والجمالية والفكرية والاجتماعية معا، والتكوين الفني يمكن أن نفهمه على أنه: (من أهم الموضوعات الحيويّة في مجال العمل الفني، كما أنّه التعبير عن شخصيّة الإنسان وهو ما يحدد مستوى ثقافته وذوقه الجمالي)، ونعني بالعناصر (هي عناصر التكوين الفنيّ هو تجميع للعديد من العناصر التي تُستخدم في العمل الفنيّ بأسلوب جميل ومتناسق، وذلك بحسب ما يراه الفنان).

الفنانة الأردنية (هاجر الطيار) والمقيمة في ليبيا رغم بكر وحداثة تجربتها في هذا النوع البصري من الفنون التشكيلية تمكنت أن تترك أثرا جميلا في نفوس المتلقين والمهتمين، ونلاحظ ذلك من خلال شغفها لفن الحصى وانتاجها الغزير للأعمال ومشاركاتها العديد في أغلب الأنشطة والفعاليات في المعارض والمهرجانات واطلاع الجمهور على أعمالها.

تحاول (الطيار هاجر) أن تبتكر وتتخذ لنفسها اسلوبا يميزها عن الآخر، وخاصة اذا ما نظرنا الى فن الحصى وتشكلاته كفن ليس من السهل أن يكون مطواعا دائما من خلال صعوبة التعامل مع خامة حجرية قد لا تكون طيعة ومرنة بيد الفنان، وخاصة من حيث صلابتها وخشونة سطحها وملمسها وشكلها الهندسي وحجمها المعقد في الغالب، لذا يتطلب من الفنان البحث الدائم عن أشكال من الحصى تلائم ما يبغي أن يشكله الفنان من أفكار وأشكال تعبيرية تلائم ما يرمي تحقيقه وينسجم ويتسق مع اسلوبه وجمالياته، وتخضع المادة المنتقاة لعدة عمليات تحضيرية تسبق الشروع بالعمل الفني منها التنظيف والقشط والثقب والتنعيم والتجزئة والحفر وكذلك اضافة اليها بعض المواد الكيمياوية والصبغية من طلاء ومواد لصق وتثبيت وغيرها لتعطي الشكل المراد خلقه.

كذلك يجتهد الفنان ليختار الخامة والسطح الذي سينفذ عليه العمل إن كان خشبا أو قماشا أو كارتونا أو بلاستيك وغيرها، ومحاولته التزاوج والتعشيق والتركيب بين تشكيلات الحصى والرسم بالألوان لخلق حالة الانسجام والتوازن، وكيفية إيجاد علاقات بين الأبعاد المنظورية الكتلوية الهندسية وآلية الضوء والنور، وخلق معادلات بصرية بين الفضاء والكتل والألوان والحجر والملمس العام والمساحة داخل العمل الفني الذي سينتجه الفنان، لذا تحاول (هاجر الطيار)

أن تجد علاقات تكوينية بين كل هذه العناصر والأدوات لتخلق وتنتج أعمالها الفنية لتشد أنظار وشغف المتلقين إليها. ونلمس من خلال الحركة والايماءة لتكور وانحناءة الظهر والأيدي والتلاقي بحميمية لشخوصها المجسمة في النصوص البصرية التي تصورها توحي إلى دلالات إشارية علاماتية تعبر عن الحب والألفة والطمأنينة ونبذ العنف ودرء المخاطر التي تحدق بحياة الإنسان ، ونرى أيضا بعض الشخوص في حالة تحليق وطيران فإنما تعبر هذه الحركية للجسد وكذلك الملبس والألوان الرومانسية والهادئة أو الوان الطبيعة والتراب وكذلك الإكسسوارات عن حالة الغبطة والفرح وروح التفاؤل لشخوص (هاجر الطيار)، كذلك نلاحظ في حركات تعبيرية جسدية تحاول التمظهر الحسي للظهر واعوجاجه أو ذبوله وتعب الجسد فتدلل وتبث لنا اشارات لحالات اللهم الانساني وشقائه.

إن فن الحصى ليس له تاريخ محدد كفن قائم بذاته فهو فن مشتق من فن الفسيفساء وفن النحت (يعد فن النحت من الفنون القديمة قدم الإنسان فهو أقدم من فن التصوير مثلا. فالإنسان أقدر على التعبير النحتي عنه من التعبير بالرسم. وفن النحت يتعامل مع المجسمات الثلاثية الأبعاد على العكس من الرسم والتصوير الذي يتعامل مع الأبعاد الثنائية.

ويمكننا أن نجد نماذج النحت في الحضارات القديمة باختلاف أشكالها ومنها في الحضارات الفرعونية والرومانية واليونانية التي نجد فيها فن النحت من أكثر الفنون انتشارا وتعبيرا عن الجو المحيط مع اختلاف غرض الاستخدام)، واشتهرت حضارات الشرق الأوسط في هذين الفنين منذ ألاف السنين وأبدعت فيهما وتركت آثارا في غاية الجمال وهي خالدة لغاية يومنا هذا تسر الناظر و(الفسيفساء لوحات مختلفة الحجوم، تشكل أرضيات أو لوحات جدارية في البيوت والمعابد والقصور والكنائس والجوامع، وهي تتشكَّل من قطع صغيرة من الأحجار والرخام والجرانيت والبلُّور والخزف والأصداف والأخشاب، ترصف في تناسق جنبًا إلى جنب لتؤلف لوحات تستخدم في إكساء واجهات المباني أو أعمال الزخرفة الداخلية والخارجية والأرضيات. وهي تتميَّز بثبات ألوانها وأشكالها لأنها مبنية من مواد طبيعية. وتعدُّ من أهم مواد البناء المستخدمة في زخرفة وتزيين المباني.)

ويلاحظ لحركة فن الحصى دينامية فاعلة في العصر الحديث واتخذ له حيزا كبيرا كسائر الفنون البصرية في أغلب دول

العالم وقاراته كفن مستقل لذاته سواء كان فنا منشئا على خامات معين أو مجسدا على رمال الشواطئ أو سفوح الجبال أو أية أمكنة وفضاءات أخرى، وكذلك أستخدم في تزيين واجهات الأبنية والصروح الثقافية والتاريخية وفي مختلف الميادين، لهذا لمعت أسماء مهمة في هذا المجال الفني وخصوصا في ايطاليا وكندا والمجر وتايوان وفرنسا والدول العربية، فالمتتبع سيرى أعمال الفنان الايطالي) ستيفانو فورلاني (stefano furlanالذي اتسمت أعماله بالدهشة من خلال تطويعه لخاصية الحصى وتشريحها والحفر عليها وتمكنه من اشغال المساحة المتاحة له على السطوح وتشكيل نسق هرموني بين الجسد الحجري والرسم البصري اللوني، فهو يعمل من النص التصويري امتداد للنص الحجري بتناغم رائع، والملاحظ والمتتبع لأعمال (هاجر الطيار) تتخذ ذات البعد التقني الذي يتسم به هذا الفنان (ستيفانو) ويبدو أنها قد تأثرت بأسلوبه وبلا شك أنه فنان عالمي في هذا الحقل الفني، ولكن ما يميز اسلوب (هاجر) في أبعاده ومحتواه المكاني والزماني ودلالاته الثقافية والاجتماعية، لذا يعد اسلوبها مختلفا عنه كمحتو.

ومن الأسماء اللامعة في هذا المشهد التشكيلي أي فن الحصى ما امتازت به الفنانة الكندية (Sharon Nowlan) من أعمال في غاية الروعة.

ربما تعد أعمال الفنان (جون فورمان) الويلزي من المملكة المتحدة لا تضاهيها أية أعمال أخرى التي تميزت بالهندسة الشكلية على الشواطئ أي اتخذ من الحصى والرمال والأحجار مكملة لجمال الطبيعة والبحر وما يحيط بها في هندسة شكلية في غاية الجمال، ولابد من الذكر تبدو تجربة الفنان السوري (نزار علي بدر) قريبة بعض الشي من تجربته ولكن يكمن الاختلاف بينهما بأن (فورمان) يتخذ من الشكل الهندسي انموذجا في اشتغالاته على العكس من تجربة (نزار علي) ابن جبل صافون من اللاذقية السورية الذي يجسد موضوعاته الإنسانية على رمال الشواطئ وعلى جغرافيا مدينته أو أية جدران وسطوح أخرى وعبر فيها عن هموم وقضايا شعبه كمادة دسمة لرسالته الفنية والانسانية.

قد ينطبق الحال على أعمال الفنان السوري (بسام طحان) المقيم في فرنسا والذي قام بعمل النصب الحجرية بتكوينات رائعة على شواطئ البحر في (سان مالو) في فرنسا كمحاكاة للطبيعة والانسان وقضاياه واشتغل في أفق المكان وفضاءاته كمكان معبر عن طموحاته ورؤاه الكونية والذاتية، ووظف الحجر دون

حذف واختزال وقشط وتنعيم أو أية وسائل أخرى يرصف ويعامد فيها لتطويع هذه الأحجار الصخرية الكبيرة في حجومها وتجسيد حالاته الانسانية ، رغم أن المادة المصنوعة منها أعماله حجرية وليست من الحصى لكنها قد تقترب الى حد ما مع فن الحصى وهندسة الحصى على الشواطئ.

اتسقت مفاهيم (هاجر الطيار) بوصفها أعمال فن الحصى بأبعادها الانسانية المفعمة بالحب والحنان والأمومة وبراءة الأطفال وشقاوتهم بفعالياتهم فهي مناغاة لكل عذوبة ونقاء الطفولة والشباب والفتية وحاجاتهم ورؤيتهم الفطرية السلوكية في الحياة والتي تتسم بالجموح والطاقة الايجابية المكنونة في دواخلهم، فبأسلوبها التعبيري تحاول (هاجر) أن توظف قضايا الانسان وهمومه اليومية الحياتية و توظف بعض الأفكار الفلسفية والحكايا التاريخية والتضادات الجندرمية في مفاهيمها الثقافية والاجتماعية ورؤاها للحياة بنصوص تعبيرية تلفت الانتباه، وامتازت بسموها العاطفي الحميمي والتدفق الوجداني من خلال المشاعر والإيماءات الاشارية للحركة والعلامة لشخوصها، وكذلك لخلفية اللوحة اللونية أو اللعب على هرمونيك الضوء والظل وتحقيق عنصري السيادة والتوازن في أعمالها اللذان أعطيا بعدا تشويقيا نفسيا يجذب المشاهد لنصوصها وهذا ما نلمسه في أعمالها مثل (أعباء، وأمومة، وطفولة، ومرح، انتظار، حجارة سيزيف، حنظلة، رقصة الفلامنكو).

ونحن نتحدث هنا عن فن الحصى لابد أن نشير الى تجربة الفنان والنحات العراقي (محمود عجمي) وبصمته الإبداعية التي شخصت وسطع نجمها في المشهد الفني العربي والمحلي من خلال فن الحصى والتي تميزت اعماله بالتوأمة بين فن النحت وفن الحصى أو فن الحصى لوحده، وتمكن من اضافة بعض العناصر والاشتغالات الجديدة في فنه، ووظف البيئة العراقية والأثر الرافديني في جل أعماله (تعود أولى الأعمال المكتشفة التي يمكن اعتبارها سلف فن الفسيفساء إلى معبد الوركاء بمدينة بابل حيث كان سكان بلاد الرافدين أول من استخدم الطوب (أو اللبن) المزجج في تزيين جدران الأبنية بأشكال هندسية متعددة، وكان لهم الفضل في تطوير أساليبه).

ومن الاسماء الأخرى والمهمة التي يشار اليها بالبنان في هذا الفن الحداثي هي الفنانة المجرية (تميا باب) والفنان التايواني (وو رونغ- يي) والفنانتان التركيتان (ديلان شايلي، وأثر تات)، وأيضا لابد من ذكر تجربة الفنان الفلسطيني (ماهر

عياش) الذي شكل كومة من صدف البحر وحصى صغيرة ناعمة من البحر على شواطئ مدينته ليشكلها قطعا فنية جميلة.

وقد تحول فن الحصى عند بعض الفنانين كسلع ترويجية تزيينية اتسمت بصبغة الصنعة للتزيين في البيوت والعمارة والمحال التجارية والفندقية والحدائق وغيرها وباتت سلعا رائجة ومطلوبة، وهناك أكثر من طريقة واسلوب مبتكر لتوظيف الحصى في مختلف الأعمال والصناعات، فمنهم من حاول الرسم والوشم على الحصى ليعطيها بعدا روحيا ودينيا وغيره.

أما فلسفة التشكيلية (هاجر الطيار) في اشتغالاتها اليدوية وكما تصفها هي وعندما أفصحت عنها بالقول:

(كنت أحب البحث في الفنون الجديدة، شيء لم تره عيناي ولم تعرفه ذائقتي بعد. لذلك بين الفينة والأخرى أمضي وقتا لا بأس به بالتصفح في مواقع الإلهام بحثًا عن شيء جديد يجعلني أوغل بالبحث عنه وأحظى بتلك المتعة التي دائمًا دؤوبة بالبحث عنها: متعة التعرف على شيء جديد، متعة التعلم والتطبيق).



عن الحضارة والجنون بلسان: ميشال فوكو

ترجمة: د. محمد قصيبات

(1)

الجنونُ ظاهرة حضارية، وهي ظاهرةٌ متغيرة مثل أية أخرى من ظواهر الحضارة، في الواقع بعد قراءتي لما كتبَ الأمريكيون عن تعاملِ المجتمعاتِ البدائية مع الجنون تساءلتُ: ترى كيف تتعامل مجتمعاتنا مع هذه الظاهرة التي هي الجنون؟

(2)

ثمة حضارات احتفت بالجنون، وأخرى أبعدت مجانينها، ثم أخرى عالجتهم، ولكن ما أريد الإصرار عليه هو بالتحديد أن العلاجَ ليس هو رد الفعل الوحيد تجاه هذه الظاهرة، أظن أن بين المجانين أناسًا مثيرين للاهتمام بقدر ما هو الأمر عند الناس الطبيعيين. ليس ثمة حضارة بدون جنون... كان همي أن أدرس العلاقةَ بين الثقافةِ وتعاملها مع هذه الظاهرة... أو بمعنى آخر ردود الفعل للثقافة الكلاسيكية نحو هذا الجنون، تلك الردود التي تبدو مناقضة تمامًا لمفهوم العقلانية... تلك العقلانية التي سيطرت على القرنين السابع والثامن عشر.

(3)

أعتقد أن القرنَ السابعَ عشر يشكل نقطةَ تحول مهمةٍ، فقبل ذلك -وحتى العهد الباروكي على الأقل (1)- كان المجنون يعيش حرية مطلقة، كان وقتها يعيش على "سطح" الثقافة حيث كان يعيش على مرأى من الجميع، وكان الناسُ يقيمون للجنون الأعياد... وكان ثمة مسرحٌ للجنون، وكان للمجنونِ مكانته في الأدبِ وفي الكتابةِ، وكان هناك أيقونات وصور يرسمونها للجنون... منها أعمال "جيروم بوش"(2) و"بريجيل...(3)"

لقد هيمن موضوعُ الجنون على نهايةِ القرن السادس عشر وبداية السابع عشر مثلما هيمن هاجسُ الموتِ على الأدبِ والثقافةِ في نهايةِ القرن الرابع عشر ومطلع الخامس عشر.

كان الجنونُ مهمًا ومعترفًا به بصورة رسمية في ذلك الوقت حتى أن المجانين كتبوا ونشروا (في الواقع نُشرت لهم) أعمالهم... كان من هؤلاء "بلويه دربير"... المجنون الذي نشرت أعماله على نحو واسع. كانت نصوصه مميزة بالرغم من كونها غير مفهومةٍ ومبهمة... كانت أعمالاً أدبية مسلية لقرائها رغم غموضها منها الشعرُ، والقصصُ، والرواياتُ... ثم دون كيخوته لثرفانتس... ألم تكن تلك الرواية امتدادًا لذلك الجنون في الأدب أو لأدب الجنون؟

(4)

أظن أن كل العائلات وفي مختلف الأزمنة كانت تعيش حالات من القلق عند إصابة أحدِ أفرادها بالجنون. كل قرية، كل حي، وكل مدينةٍ كان لها مجانينها يعتنون بهم ويعطونهم العلاج... أعتقد أن صورة المجنون تغيرت بعد أن أخذت العائلة بشكلها "البرجوازي" (4) مكانًا مهمًا في المجتمع، ففي القرن السابع عشر عندما تغيرت الأحوال الاقتصادية في الحياة، في عصر "المرنكنتلية" (نظام اقتصادي نشأ في أوربا خلال تفسخ الإقطاعية لتعزيز ثروة الدولة بتنظيم الاقتصاد واعتبار المعادن الثمينة ثروة الدولة الأساسية: المنهل)، بدا المجنون في ذلك العصر شخصًا كسولا واعتبر شخصية طفيلية تعتمد على مال الآخرين ولم تسهم في التنمية... هنا أصبح المجنون عالة على الآخرين.. في رأيي تغيرت نظرة المجتمع نحو المجنون بسبب تغير الحالة الاقتصادية في ذلك الوقت.

(5)

في زمننا هذا، انتزع الطبُ ظاهرة الجنون من الثقافةِ، فتحول الجنونُ إلى مرضٍ عقلي. رغم أن ذلك لم يكن صحيحًا في كل العصور، فالمجنون في القرنين السابع والثامن عشر كما رأينا لم يكن مريضًا، بل كان كائنًا "غير اجتماعي". في ذلك الوقت سجنوا المجانين مع غير الاجتماعيين الآخرين... جمعوهم فيما عرف فيما بعد بالملاجئ.

حدث ذلك في المستشفيات العامة في فرنسا، وقد تم تشغيل "غير الاجتماعيين" في المصانع الكبيرة، حيث عملوا في صناعةِ الكتان والحبال وغيرها. كان لهؤلاء دورٌ حقيقيٌ في الحياة الاقتصادية. لقد تغير هذا وذلك لعدة أسباب (بالطبع)

اقتصادية.. لقد وُجد المجانين في رفقة كل من اختلف عن أفراد المجتمع... وجدوا في حضرة كل التنابلةِ، وكل الفقراء، والشحاذين، والمتشردين، والمتحررين، والشواذ، والعاهرات وغيرهم. وعندما وجد المجتمعُ أن جمعَ كل هؤلاء في مكان واحد لا فائدة منه، حيث أن المجتمع كان في حاجة إلى أيدي عاملة، عندها فقط طردوا الجميع... الجميع باستثناء المجانين الذين بقوا في المؤسسات المغلقةِ وحدهم.

(6)

أعتقد أن أمرًا مهمًا يحدث منذ جنون نيتشه (5)، ومنذ ريمون روسيل (6)، ومنذ جنون فان جوج (7)، وارتونان آرتو (8) على وجه الخصوص، حيث عادت نظرتنا إلى الجنون مثل تلك التي كانت عليه في القرنين الخامس والسادس عشر... أي أصبح الجنونُ ظاهرة حضارية مهمة للغاية.

فمثلما كان الجنونُ في نهاية القرن السادس عشر وبداية السابع عشر يحمل بعض الحقيقة، عادت هذه الفكرة في زمننا هذا، حيث أن الحقيقة تكاد تخرج من أفواه شخصيات تعيش على حافةِ الجنون، أو شخصيات رأت في الجنون تجربتها العميقة مثل أنطوان آرتو وريمون روسيل.

بعض الأسماء جاء التي جاء ذكرها على لسان فوكو:

1 -العصر الباروكي: يقولون ذلك عن الأدب الفرنسي تحت حكم هنري الرابع (1610-1589) وكذلك لويس الثامن (1643-1610)، عرف هذا العصر بحرية كبيرة في التعبير، فكان الناس يكتبون ما يحلو لهم.

2 -جيروم بوش: رسام هولندي (1450-1516) رسم العديد من الشخصيات الخيالية والرمزية.

3 -بيتر بروجيل: رسام بلجيكي (1525-1569) اعتبر وريثًا للرسام بوش.

4 -العائلة البرجوازية: يعني فوكو بالعائلة على شكلها البرجوازي: أصبحت البرجوازية في القرن السابع عشر الطبقة الأكثر تأثيرًا بدلا عن النبلاء الذين سيطروا قبل ذلك.

5 -فردريك نيتشة: فيلسوف ألماني (1900-1844)، أُدخل مستشفى الأمراض النفسية عام 1889 ثم خرج منه واعتنت به أمه حتى موته عام 1900.

6 -ريمون روسيل: كاتب فرنسي (1877-1933): كتب الشعر والمسرحية، كان مريضًا نفسيًا مصابًا بالمرض الهوسي الإكتئابي-maniaco Psychose

depressifاعتبره السرياليون واحدًا منهم. مات منتحرًا بالأدوية (الباربوتيريك)

7 -فانسان فان جوخ: رسام هولندي مشهور (1853-1890)، أقام في مدينة آرل في جنوب فرنسا حيث أدخل المصحة العقلية بعد مرضه عام 1888، كان مصابًا بالهلوسة. مات منتحرًا عام 1890.

8 -أنتونان آرتو: كاتب فرنسي (1896-1948)، حاول في أعماله الشعرية الوصول إلى منابع الفكر العميقة. كان مريضًا نفسيًا منذ طفولته، أنظم للسرياليين ثم تفرغ للمسرح. في كتابه "مراسلات" تحدث كثيرًا عن دخوله المستشفيات النفسية، وعن آلامه، وعن علاقاته بالأطباء وخاصة في" رسائل من روديز" (مدينة في الجنوب الغربي الفرنسي)، كان آرتو يرفض فكرة وجود مرض أسمه الجنون. كان أيضًا ممثلا معروفًا.

____

* قد نلاحظ بعض التكرار في الجمل والأفكار... ذلك لأن ميشال فوكو كان يتحدث في مقابلة إذاعية مع نيكول برايس في 31 مايو 1961م.



اعتذار

تعتذر مجلة الفصول الأربعة عن الخطأ غير المقصود في عنوان البحث المنشور في الصفحة 86 للدكتور "أحمد عزيز". والعنوان الصحيح هو: الأسطورة والخرافة والكرامة في السيرة الذاتية الفلسطينية.. دراسة في بلاغة الخطاب

إبداعات السرد

- الثلاثاء الجميل - إبراهيم عبدالجليل الإمام
- مكانٌ لا تجوبه الكلاب – محمد النعاس
- وجــع - خيرية فتحي عبد الجليل
- طائر الماوث مان – أسماء القرقني

الثلاثاء الجميل

إبراهيم عبدالجليل الإمام

1

إنه الثلاثاء يعود مجددا.. عاد بعد عناء انتظار. يختلف عن سائر أيام الأسبوع..

إنه اليوم المحبب إلى قلبي دون باقي أخوته الستة. ليس لأنه يتوسط الأسبوع ولا لأي سبب آخر قد يخطر ببالك.

إنه سبب قد لا يكون مقنعا لك ولا للآخرين.. لكنه كذلك بالنسبة لي. أنهيت صلاة العصر في مسجد حينا وانطلقت مسرعا إلى مكتبة عم بشير.

إنه اليوم المنتظر والوقت المرتقب.. سبقني بعضهم للوصول.. ربما لأنهم صلوا في بيوتهم لكسب بعض الدقائق وإما لأنهم يسكنون في إحياء أقرب إلى المكتبة من حينا. لم يسبق أن كنت أول الواصلين على الرغم من محاولاتي المتكررة.

إنه اليوم المشهود.

2

تعلقت بالمكتبة ذات صدفة. سمعت عن افتتاحها وعما تحويه من قصص مثيرة ومغرية. رأيت بعضها عند صديقي مختار..

إنه محظوظ فبيتهم لا يبعد عن المكتبة إلا خطوات قليلة..

أما أنا فعلي أن أتكبد مشاق عديدة للوصول.. خاصة أن عمري حينها لا يسمح لي بالذهاب أبعد من حينا.

3

كانت مكافأة.

بل أعظم مكافأة تلقيتها في حياتي.. لم تكن تبدو كذلك حينها.. لكنها اكتسبت قيمتها مع مرور الوقت.. بعدها لم تعد حياتي كما كانت قبلها.

أرسلني أبي لأداء شيء ما.. يبدو إني قمت به على أحسن ما يكون على عكس العادة.. رأيت ذلك في عينيه فتجرأت وتجاسرت وتشجعت وطلبت منه خمسين قرشا.

لم يكن ليعترض عندما اخبرته إني أرغب في شراء كتاب أو مجلة من المكتبة التي فتحت حديثا.

إنها المرة الأولى التي أقف فيها هذا الموقف.. شعرت بأن عمري تقدم سنوات.. لم أعد ذلك الصبي الذي يخشى من عبثه.. نظر إلي عم بشير كما ينظر لفتى.. ابتسم لي وسألني عن حاجتي:

-نبي نشري مجلة ولا كتاب.

عزز ابتسامته بنظرة مشجعة وأشار نحو أرفف المجلات.

4

رهبة الموقف أصابتني بقشعريرة ..

كانت الأرفف تزدان بالمجلات.. أغلفة جميلة

زاهية

مثيرة

مغرية

اقتربت بخطوات حذرة..

تفحصت بنظرات نهمة..

تجرأت.. تناولت اول مجلة.

بساط الريح.. قلبت صفحاتها كدت أسارع لشرائها لولا إني تريثت لتفحص وتصفح ما تحويه باقي الأرفف.

مغامرات الفضاء.. غرنديزر العملاق يتوسط الغلاف.

سوبرمان.. بقميصه الازرق وعضلاته المفتولة

الرجل الوطواط.. بغموضه وثيابه السوداء

سامر.. برسوم مضحكة على الغلاف.

عنترة بن شداد فوق حصانه شاهر سيفه.

الأمل... طال تصفحي لها بعد أن نبهني عم بشير إنها مجلة ليبية بينما الأخر يأت من لبنان.

الرف الثاني كانت به مجلات أخرى عناوين فخمة.

المختار

العربي

الدوحة

الكفاح العربي

النهضة

اليقظة

من الواضح انها لأعمار أكبر من عمري.. توجهت إلى الرف الثالث.. كانت عناوينه أكثر اثارة:

الصقر

الرياضي

في طرف الرف بعض العناوين الاجنبية لمجلات رياضية يبدو إنها مهمة بدليل سعرها الذي يتخطى الخمسين قرشا بمرة أو مرتين.

5

كانت الخمسين قرش التي تعد ثروة قبل دخولي للمكتبة قد فقدت قيمتها السوقية. لم تعد تكفي إلا لشراء مجلة واحدة بينما نفسي تتوق لكل هذه الكنز. وقفت حائرا في اختيار ما يسد فضولي وشبقي للقراءة .. يبدو أن عم بشير استغرب استغراقي.. ربما شك في أن لي نوايا خبيثة وراء وقفتي التي طالت.. نبهني قائلا بين توبيخ وتحذير:

-هيا أسرع..

صارحته بسبب حيرتي:

-إنها الخمسين قرش..

بدت الحيرة على وجهها الذي شقت بعض التجاعيد صفحته السمراء

-يمكنك أن تشتري مجلة واحدة بالخمسين قرش..

أشار لصف المجلات العلوي هذه سعرها أقل من خمسين قرش.. أما هذا الرف فمجلاته تزيد عن الخمسين قرش.. عليك أن تختار بين مجلات الأطفال أو المجلات الرياضية.

ناولته الخمسين قرشا لأبرر وقوفي وابرأ ذمتي.. بقي الشطر الثاني من الصفقة.. ناولني مجلة بساط الريح وسامر لكني اتخذت قراري أخيرا لسبب أجهله.. مجلة الصقر كانت خياري.

6

إنه الثلاثاء يعود مجدد.. هذه المرة في جيبي ما يكفي لإطفاء نيران رغبتي لأسبوع على الاقل.. عدت وفي جعبتي عدد جديد لمجلة الصقر وبساط الريح وسامر والامل.

إنه الثلاثاء يتحفنا بكل ما تنتجه المطابع.. اتنفس روائح تلك البلدان من خلال تلك المجلات.

إنه الثلاثاء الذي بسببه صرت مدمنا لأسوء أنواع الإدمان.. إنه إدمان لا علاج له الا الموت..

شتاء 2021



مكانٌ لا تجوبه الكلاب

محمد النعاس

1

-اعدمه.

تثاقلت بندقيته تحاول يده جرها على امتداد ساعده، لأول مرة في حياته قد تغيّر ملمسها المخلّق من لوح الماهوجني على كفِّه ليحس به خشناً وبارداً، ملأ فوهتها وتقدم في خطىً حثيثةً نحوه، زمنه يمر كأنه أيام، أشهر أو أعوام. العرق يتسرب من جبهته، كانت رقبته دبقة من العرق، حرر زراً في قميصه الأبيْض، العرقُ بين إبطيْه يزيد من خضرةٍ بدلته العسكرية؛ خضرة تشبه ورق الخروْع أثناء تبللها بالندى، ذلك الندى الذي يأتي خلال حرِ الصيْف، بدلته المليئة بدبابيس لا يتذكر كم أفنى من عمره ليضعها لا لكيْ يثبت شيئاً: لا كونه وطنياً، لا كونه بطلاً، لا شيء آخر؛ البدلة الخضراء القديمة بدت أكثر ضيقاً عليْه، مضت سنواتٌ قلائل منذ آخر مرة قدر له أن يرتديها رداءً رسمياً. متى كان ذلك اليوم الذي اتخذ فيه القائد قرار إعفاءه مع المقدرة على استدعاءه متى ما شاء؟

أراد أن ينفذ الحكم بكامل حلته، رغم أنّهم قد سمحوا له بأن يرتدي الجلابية التي اعتاد رغم أنفة على الراحة والانتماء التي تعطيها له.

ولدته له، كانت الأم متعبة تخوض في نومها عندما تعرف على وجهه لأول مرة. توقفت مدافع الحرب وارتدت بنادقها إلى المخازن ومرّغ تراب الصحراء وجه آخر جنوده، لم يعلم كيف ومتى ولماذا انتهت، كل ما تلقاه ضربة موجعة ليضطر للانسحاب مع سراياه، لم تكن هناك أية أوامر، إذ أنه بصفته عبداً للأوامر: لا يناقش، لا يسأل، لا يفكر، إنّ الأوامر لم تعدّ ليتم نقاشها على ما اعتاد البشر فيما يعتقدونه، لذا فإن كل ما كان يفعله هو طاعتها. عاد من

وراء صحراء تلك الأرض ليجد في عينيْ الوليد شررٌ يخبره أنه ذكر. كان صحبة أحد أصدقاءه الضباط لما رآه. صديقه حمله عنه ونظر في عينيه ليقول:

- يا وحش.

في الممرِ المؤدّي إلى الجِنان لمح صورة له معه. الصورة المعلقة بجانب مرآة المدخل جعلته يحوّل ناظريْه بين ما كانه وما يكونه الآن، يجلس فيها بهيبة بدلته العسكرية وبجسده الممشوق وشعره المغطس بزيت الزيتون وشاربه المعقوف، وعلامات الحنكة وجدلُ الشباب في وجهه، يقف أمام المرآة وبطنه التي انتفخت كالخميرة من غناءِ الكُفرةِ لليالية تكاد تنفلت من الأزرار والشيْب يتسارع ليشتعل في جسده بينما يرقد شاربه مخذولاً على شفته العليا؛ وجهه الذي اعتاد على أن يرى فيه الطموح بدى مكلوماً، فيها يجلس على كرسيٍ خشبيٍ أخضرٍ يرقد عليْه جلد ورأس ثعلبٍ بريٍ كان قد اصطاده خلف الصحراءْ أثناء الحرب، أبعد من وادي دوم. الآن لا يذكر مكان الكرسي ولا مكان الثعلب الذي ألقى به إلى القمامة. في الصورة، وليده يجلس على فخذه الأيمن ينظر إلى الكاميرا بعينين تحتكران مشاعره. دربه طيلة حياته ليكون أفضل الجنود، أقوى الجنود، الجندي الذي لا يلتفت إلى الوراء فقط من تلك النظرات التي تملكته. البندقية في الصورة خلف الكرسي، وفي المرآة تمسكها يده المهزوزة الثقة.

ثقته التي اهتزت منذ أن حدث ما حدث. بعد أن فشل مشروعه وتركه لله، بين البيت والمسجد، تحتله أفكار أخرى غير أفكاره. فكر أنّها كانت أكبر أخطاءه. وأنه ما كان عليه أن يتركه لله كما أمره أبوه. ثقته التي اهتزت لما اعتقد أنّه يمكنه أن يصنع من بشري آلة تنفذ الأوامر دون أن تنقاد للحظات الجنون، وثقته التي اهتزت لما اعتقد أنه يمكن لحيوان أن لا يتبع غريزته في الحرية واللعب.

عندما سكنَ أول مرة في شارع الشاحنة الحمراء لم يكن الناس يتفوهون بشيء إلا بالأسباب التي تجعل أحد المقربين إلى القائد أن يقطن شارعاً منسياً كهذا، جاء هو ووليده وقطن البيت الذي يلتصق بالشاحنة الحمراء القديمة التي تنبتُ من عجلاتها الممزقة شجرة خروْع، تسمى الشارع باسمها إذ أنها وجدت منذ نشأة أول منازلها في ساحة اللعب بالشارع – كان الشارع عبارة عن سانية واحدة كبيرة- تقادم الزمن على الشاحنة لتصبح ملعباً للأطفال، مدرجاً لمشاهدة مباريات كرة القدم، مكاناً للاختباء، حماماً عمومياً يتشكل مع التصاقها بشجرة الخروع وحائط بيت الضابط، مأوىً للهاربين من المدرسة أو مضافة للمراهقين

الذين يحاولون برعشة التجربة الأولى تدخين سجائرهم المسروقة من علب أبائهم، عندما يأوون للقيلولة بعد يوم عمل مضنىً بالشايْ والأوراق الحكومية والأحاديث. ولأن الناس لم يعتادوا على أن تقطن شخصية كبيرة الحي فإن استغرابهم زاد عندما يبقى البيت وحيداً وتختفي الحياة فيه أياماً لتعود للبيت أياماً أخر حتى ظنوا في بعضِ الحالات أن قاطنيه مجرد أشباح لولا الحارس الذي يخلفونه في جنان البيت وباحته يسرح. ست سنوات مضت يتنقل فيها بين البيت ومعسكره في الكُفْرَة حيث يمضي أيامه بالتدريب وصياح الجنود، كما يمضي لياليه صحبة أصدقاءه الضباط باحتساء الكُفرة يشرح لهم مدى أهمية خلق الجندي المثالي وأنّه لم يجد بين كافة الدفعات التي دربها واحداً يمكنه أن يكون جندياً صالحاً لدخول معركة، يحكي لهم عن أيام الحرب الأخيرة وكيف كان الجنود الذين تراوحت أعمارهم بين الثانية عشر والخامسة والعشرين يغوطون سراويلهم ويبللونها في مواجهة الموت. يحدثهم عن مشروعه الذي يعكف عليه عن الوليد. يعود للحيْ، لشارع الشاحنة الحمراء يشاهد الأطفال يلعبون الكرة أمام بيته فيستخف بأباءهم الذين لا اهتمام لهم بمستقبل أبناءهم يتركونهم ينفلتون من عقالهم. يدخل البيت ليجد الوليد يقف هناك بانتظاره، يتفحص وقفته. يبتسم، فالانضباط الذي ترسمه وقفته، المشاعر التي تصنعها فيه نظرته المطيعة كانا لا يقدران بثمنٍ في صدره. كان نظام حياته مبنياً على مبدئ الجيوش الشيوعية التي تدرب على أيدي ضباطها، يرى كل شيء من خلال بدلته. تعامله مع الناس، مع أم الوليد، مع سيارته، بيته، ملابسه المدنية، صحون مطبخه، جِنانه، الأطفال في الحيْ وأباءهم وأمهاتهم، أصحاب الدكاكين والتجار والموظفين الحكوميين كلها كانت نابعة من بدلته العسكرية. كل شيء يجب أن يسير حسبها، الجميع جنود أو ضباط أعلى رتبةً في عيْنيْه. لذا، فربى وليده على هذا المبدأ .

"الحارس" والحارس...كانا أشر من عرفهما الشارع .

2

كان الحارس ذئباً شرساً، مُزِجَت فيه درجات البني كاملة، هالة سوداء حول عينيه تزيد من شراسة مظهره من النظرةِ الأولى. شغل أحاديث الأطفال الذين يلعبون الكرة في الساحة الملاصقة للبيت بين العصر والمغرب. كانوا قد صنعوا مرميْن من ألواح فضلات البناء التي انتشرت في نواحي الشارع الشاب الذي لم يزد عمره عن عشرين سنة، نصبوا المرميين لتشكل الساحة ملعباً لكرة القدم مجهزة بمدرجيْن: الشاحنة الحمراء من ناحية وبئر عربي قديم في الناحية المقابلة من مخلفات السانية القديمة، اكتسب الملعب لذلك أهمية للأطفال

والشباب، فقد كان الملعب الوحيد الذي يملك مدرجات للجلوس ومشاهدة المباريات بين الشوارع. لم تتوقف الأقدام الحافية لذلك من الجري على أرضيته وركل الكرات هنا وهناك، في الصيف والشتاء، تحت المطر وفي قيظ الحر، لا تتوقف أبداً عن الهرولة، ركل الكرات والإصابة بجراح إلا عندما تقذف الكرة في البيت الذي يقطنه الحارس. عند ذلك، يهتاج الجميع ويصبح عمر المباراة على المِحك. لطالما كان الحارس في بيت "الحارس" كابوس الأطفال.

إلى هذا اليوم، ورغم أنّ هواية اصطياد الكلاب الشارذة والتجول بها بين شوارع الحيْ كانت من هوايات الأطفال إلا أنّ أحداً من أبناء الشارع قط تجرأ على فعلها، خصوصاً بعد الحادثة. يتجرأ مجموعة من الأطفال أن تخطر ببالهم تلك الفكرة الجنونية واللذة التي يشاهدون الجميع في بقية الأحياء فعلها، يحلمون بأنفسهم يحاصرون الكلب في زاوية بعصيْهم وحبلهم، ويتمكنون منه فيربطون الحبل على رقبته ليجروه به ويضربونه ويسيرون به في الأحياء والشوارع، مهللين وضاحكين ومغنين والكلب يجتر نباحه. يسيلُ منهم اللعاب لمجرد حضور الفكرة فقط، فيخافون ويرتدون على أعقابهم حالما يتذكرون أنه وفي يومٍ ما. جعل الحارس الحي يخشى من تربية الكلاب، ولم يدخل الشارع مذاك كلب واحد. كان هنالك زمن لم يعد أحد يعرف الفرق بين الكلاب والبشر، كان الجميع يطلق على بعضهم البعض مسبةً " الكلاب"، بدأ الناس تقيداً بالقائد بتوصيف بعضهم البعض بلفظ الكلاب، " كلاب ضالة" و"كلاب سائغة" وكان الأطفال يسوقون الكلاب في الشوارع، أخرج الناس أمثالاً قديمةً عن الكلاب ونفخوا فيها الحياة وقالوا " ذيل الكلب لا يعتدل أبداً" وظلوا يشبهون بعضهم بعضاً بالكلاب. وقد قامت الحكومة بإخراج دفعات من جهاز مكافحة الكلاب الضالة، الحيوانية منها والبشرية، في الداخل والخارج. حتى اعتقد الجميع أن لا أحد منها يجوب الشوارع أبداً.

مدّ يده إلى الصورة، وضع البندقية جانباً وتفحصها كأنه يبحث عن شيءٍ ما داخلها، تذكر صديقه أيام الحرب وهم يجترون أنفسهم في الليل بعيداً عن القتال والجنودِ الهاربين، يقول له متهكماً وهو يحتسي دوره من الكفرة ثم يمرر له دوراً في كأس الشايْ:

- إن كنتَ تريد حقاً أن تصنع جندياً مثالياً، فعليك بتدريب الكلاب.

- الكلاب؟ يتساءل وهو يحتسي مرارة الشراب. تلذغه حرارته وتهكم صديقه.

- نعم الكلاب، الكلاب مطيعة. عرفتُ في روسيا كلاباً تحمل رتباً يمكنها أن تسيّر جيشاً. تخيل جيشاً من جنودك يقوده كلب. يقول صديقه ويتفحص عينيه بابتسامة.

- أتعرف المسبات التي استخدمها في سب جنودي؟ أنتم كلاب...وأقل من كلاب. يقول ويملأ دوره ويمرره له.

- إنهم أقل من كلاب. اسمع عندما نعود من هذه الحرب سأهديك جرواً، لديْ كلبة أعتقد أنها قاربت على الإنجاب. ولف يا صديقي، الشراسة في أشدها. آخر ما تبقى من الذئاب المطيعة.

يقول صديقه، يمرر أصابعه على كأس الشايْ المملوء بالشراب المر وهو يحكي له روعة حيوانه التي ابتاع أمها جروةً من روسيا. ثم يذكر له روسيا والأيام التي أمضاها فيها، الحسنوات التي أحبهن أو ضاجعهن والشراب الذي شربه، فودكا، ماتريوشكا، الرقصات الروسية، الثلج، العلم الروسي، والتدريبات القاسية التي تلقاها في الجنس والجيش، كل ذلك الذي عايش هو منه التدريبات القاسية والفودكا. يقاطع صديقه قائلاً:

- ربما عليْنا أن نرسل كافة الجنود إلى بلدٍ أخرى .

- تريدنا أن نحتل بلاداً بعربدتنا؟ هاهاهاها كانوا يرسلون بضع عشرات منا ولم نكن منضبطين. يصرح بالكلمات عالياً في سقف الغرفة الوحيدة المدمجة بمروحةٍ في المعسكر .

- أنا كنتُ منضبطاً. يقول له وهو يفحصُ ضوءَ المصباح الأصفر يحرق حائط الغرفة ويزيد من عرقه. كان سهل التعرق.

- أنت لازلت منضبطاً صديقي، منضبطاً إلا عندما يتعلق الأمر بالشراب. يسخر صديقه ضاحكاً.

- لكنّ الكلاب في هذه البلاد إما للحراسة أو لتجزية أوقات الأطفال. قال له.

- حسناً، أنت صديق قديم للقائد. بحقِ المال الذي كان يقترضه منك، يمكنك أن تجعله يستحدث وحدة الكلاب. يقول وهو يجتر كأسيْن على التوالي يفصلان نصف كلماته، من نصفها الآخر.

- هاهاهاهاهاهاهاها لم يعد ينصت لهكذا أحاديث. يقول.

- يمكنك اقناعه بأهمية الأمر. لكن عليك أن تجد مسبات أخرى لوحدتك إن حدث شيء كهذا، مثلاً أن تقول لجنودك: أنتم بشر...وأقل من بشر. لا تريد أن تسب كلباً بوصفه بالكلب. سيبدو من الغباء فعل ذلك.

ينهي صديقه الحديث ليصمت هو رافعاً كأسهما الصغير قائلاً:

- صحة .

- صحة صحة للحارس. أكثر الضباط انضباطاً .

يقول له صديقه ممرراً كأساً آخراً. كانوا يشربون أدوارهم بسرعة، بجرعة واحدة في كأس شايْ صغيرة لا تتعدى 50 ميللي لتر، في ليلة من ليالي الحرب البائسة. فقدوا جنوداً كثر، بعض أولئك الجنود كانوا هم من قتلوهم. كانت هناك أوامر تحظر عليهم أن يتولى جنديٌ واحد من المعركة. كان يشرف يومياً على إعدام الذين يحاولون الهرب. الصحراء، الحرب، الجن، العدو الخفيْ، الأرض العدوّة لهم كانت تصيب الجنود بالهلع والرعب، بعضهم جُرّ من مدرسته الثانوية " ثكنته العسكرية" – إذ الجميع حُكم مواطنته هو حاكم، ثري، وجندي.-

يغيب المشهد، يرى قميصه وقد بلل عرقه العنق واللون البني يوسخ حوافه. عاد لغرفته، نزع الجاكيت، نزع القميص. ارتعشت أصابعه وهو يمررها على الأزرار، ألقى بالقميص على الأرض ومضى يبحث في خزانة الملابس عن قميصٍ آخرٍ نظيف. لم يكن شيء يحدث كهذا قبل اليوم. قال لنفسه في خذلان.

3

ويحدث أن يركل أحد الفتيان الكرة لترتفع عالياً، ينظرون مشدوهين من ارتفاعها واندفاعها نحو السماء داعين الله ألا تتعدى حواجز السور العالي لبيت "الحارس"- السور الذي يشبه أسوار المعسكرات- لكن الله يخيب دعواتهم لتسرع الكرة مختفية تسقط حيث يقبع الحارس، يصنع الفتيان سلماً بشرياً ليتمكن أحدهم من تسلق السور، يصل يجول بناظريه في الجِنان، يجد الكرة قد استأنست مكانها تحت إحدى عمات الرجال؛ النخيل التي تدور في هيئة مستطيلة حول الجنان الترابي، يجول الفتى بجسده بحثاً عن البناء الذي يخشاه الجميع في الحيْ. لا أثر لساكنه في الخارج، الباب الخشبي يبدو مغلقاً لكنه قد يكون مفتوحاً أيضاً. يتابع المكان، نباتات الوذينة، شجرة ليمون "شفشي" في منتصف الجِنان، الحشيش

النجمي ينتشر في المكان وبعض النباتات الطفيلية الأخرى بسلّها. والحارس؟ لابد أن يكون في المكان. يمسك الفتى بحجارة الجدار ويتنفس بسرعة، ينظر ناحية الباب الحديدي ليتأكد أن القفل لا يعمل وأن كل ما عليه للخروج هو تمرير المتراس ليفتح الباب، يصيح فيه الفتيان في الأسفل " اقفز أيتها الفتاة"، تصطك أسنانه، يجد بخربشة أصابعه على السور حجراً صغيراً، يرمي بها حيث الباب الخشبي حتى تصنع قرقعة في المكان. يشاهد ارتداد الحجر دون أية حركة، يقفز، يسرع ناحية الكرة. يسمع حركة في الأجواء. يشعر بوخز في ساقه، ينزع السل النجمي الذي التصق به. يحك ساقه، يركل الكرة. يتجمد. يبحث في المكان، يشعر بالتجمد رغم رغبته في الحركة، يسمع الحركة مرة أخرى. يرى الباب الحديدي بعيداً رغم قربه قاب قوسيْن، يرى الباب الخشبي قريباً رغم بعده بعد الكفرة عن شارع الشاحنة الحمراء. يتصبب عرقه، يرى نفسه يسرع إلى الباب رغم تجمده تحت شجرة النخيل: وأخيراً يتمكن من التحرك عندما يشاهد ظلاً تحت إحدى الشجيرات البعيدة، كما يسمع صوت سلاسل حديدية تنشد وغرغرة. فزع، يقترب من الباب الحديدي، يمرر المتراس، يفتح الباب. ويسمع حشرجة خلفه ليغلق الباب. يقسم أن لا يعود للقفز إلى البيت مرة أخرى.

4

في الليل، ليل السلم بعيداً عن الصحراء. كان صوت كلب وحيد يعوي في المكان الذي لا تجوبه الكلاب.

في ليل الحرب. لم يكن هناك كلاب في الجوار، لا شيء. لم يكن أحد يسمع في الخلاء الذي يحيط بهم شيئاً سوى الريح وعويل الجن ربما. كانت كل ليلة تشهد حالة قبض على مجندين يحاولون الهروب، قد أفلح هو في جعل الحراس يأخذون عملهم بجدية. في إحدى الصباحات كان يقيم التمام اليومي كما هي عادته فلحظ اختفاء جنود من المعسكر، أنزل بالحراس عقاباً جعلهم يرهبونه.

صوّب مسدسه في رؤوسهم جميعاً وقتلهم واحداً تلو الآخر ثم خطب في الجنود أن هذا ما سيكون عليه حال الحراس الذين يتراخون في عملهم. لكن ذلك لم يوقف الراغبين في الهرب، فقد كان الهرب مسلكهم الوحيد من الموت. إما الهرب من الموت أو الموت هرباً، أو فقط محاولة النجاح في هروبهم من كل ما كان ينتظرهم؛ مذهباً يعتقدونه. كان يشاهدهم يرتعدون في سراويلهم. يبكون. يصرخون مناشدين أمهاتهم. كانت أوامره تلقى عليه بالتقدم

فقط؛ لم يأتِ له أي إذنٍ بالرجوع أو التقهقر. لذا، فقد رمى بجثثهم في الصحراء، سماه الجنود " الوحش" فقط لأنه لم يبدِ رحمةً اتجاههم. يتصل به القائد " لا تقهقر...إلى الأمام. إلى الأمام" يجيب بثقة " حاضر سيدي". يغلق السماعة. تمر بذاكرته حوادث الهروب وعصيان الأوامر التي كان يجابهها بكل حزم. يخرج من قمرته، يجمع الجنود للتمام الصباحي بثقة أنّ حراسه قد تعلموا درسهم، رؤوس بعض من الفاشلين في الهرب في ساحة المعسكر مطأطأة، مكبلين وركبهم تحتك بالأرضية الحارة الخشنة لم تسترح منذ بداية الفجر. العرق، الدموع، حشرجة الصدور، الخوف، الموت يدغدغ مشاعرهم: سبعة ثامنهم كان ابن قبيلته – كانت الروابط القبلية عند قبيلته مثل أخٍ لأخيه، أب لابنه-، مضى في إعدام كافة رفاقه وجعله آخرهم ليشاهدهم يسقطون ورصاصة في مؤخرة رؤوسهم. كان الفتى قد انهار من البكاء " أرجوك يا عماه. دعني أعود لأمي"، ضغط بالمسدس أكثر ناحية مؤخرة رأسه وقال له "قل سيدي...يا كلب"، يتدارك الفتى نفسه "سيدي.. رجاءً..دعـ..." ويضغط على الزناد ليرى دمه يتدفق من الخلف إلى الأرضية الحارة .

ولكن هاهو ذا... بشيء من القلق، يبدل قميصه الذي لم يكن ليخطئ في ارتداءه قبل الآن ليرتدي قميصاً آخراً. يشاهد صورته في انعكاس مرآة غرفة نومه التي لم يعتد على وجودها بهذا الحضور من قبل فترتعش يداه، يرتدي جاكتته، لاحظ أنّ دبوساً قد سقط منها، حاول وإصبعه يرتعش إعادة الدبوس على صدره دون فائدة، وضع الدبوس على الطاولة، فتح الخزانة الخشبية تحت المرآة، كانت ثلاجة صغيرة تقبع داخلها، فتح الثلاجة، وجد قنينته البلاستيكية، تجرع كمية كبيرة منها. حسبَ أنه قد خلق الجندي المثالي، رباه ودربه وعلمه وأدبه وصقله كما يطمح. لم يلتفت لأمه، لطالما كانت الأم عائقاً اتجاهه. لذا فقد عاش معه وحيداً وحرمها حتى حق رؤيته، لا يضعف الجندي إلا اتجاه الأم. كل الجنود يتقهقرون عندما يتفكرون أمهاتهم. لذا فقد قطع ذلك الحبل منه. كان مشروعه الخاص، لم يسمح لأحدٍ غيره أن يزرع ارتباطاً به أقوى وأشد من ارتباطه به .

- إن كنتَ تريد صناعة جندي منضبط عليك أن تفك رباطه من أمه. تذكر ما قاله لصديقه وهما يتحرران من تعب نهارات الحرب منغمسيْن في لياليها المليئة بالبرد الممزوج بالدفءِ داخل أجسادهما.

- إن ولدت لك زوجتك ابناً. هل ستربيه ليصبح جندياً؟ قال له صديقه وقد توردا خداه.

- قد أفعل ذلك. قال. لم يكن يفكر أبداً بهذه اللحظة.

- إذاً سيكون عليك أن تبعده عن أمه. زوجتك.

- سيتعين عليْ ذلك فعلاً. قال بثقة السكران.

- كان الروسيون يبعدون جراءهم عن أمهاتهم ويرضعون الجراء من مرضعات بلاستيكية. ليكون الكلب ولياً فقط لهم. احفظ هذا عندما تصبح مدرب الكلاب. قال صديقه.

- سيتعيْن عليْ إذاً أن أبعد وليدي عن ثديْ أمه حالما تنجبه. قال له في تهكم.

- الأبناء ليسو كالكلاب يا صديقي. قال له.

- هم مثلهم إن كانوا سيصبحون جنوداً. ربما علينا فعلاً أن نفكر في الأمر. نربي جيشنا منذ أن يخرج من رحم أمه بعيداً عن كل مظاهر المدنية وداخل أساور المعسكر. قال كمن يطرح أطروحة فلسفية جديدة بجدٍ.

- هاهاهاهاهاها سيكون لديك جيش من الأطفال. قال صديقه الذي اعتاد على ضحكاته خلف سحر الكفرة السريع.

- إنّ جيشنا من الأطفال حقاً. مادمنا ندرب فتياناً في عمر الثانية عشر والخامسة عشر وبعضهم لم يرمي منيه بعد. لما لا ندرب أطفالاً في عمر اليوم واليومين؟ طرح سؤاله وتجشأ كفرته.

- الشيوعيون أكلوا دماغك يا صديقي. صدقني...هاهاهاهاهاها.

5

أما الوليد فظل كالأسطورة. لم يكن في بدءِ حياته بمستطاع أحد رؤيته، كان لا يغادر مكانه إلا بأوامر آمر البيت. لم يلعب. لم يأكل. وقد لا يتنفس إلا بأمر الآمر، "الحارس".

كان يمكنه من سقف البيت فقط أن يرى الأطفال يلعبون كرة القدم، تلج الكرة فوق السور فيشاهدها تتدحرج حتى تتوقف ليتقدم أحد الفتيان قافزاً بحذر يركلها مجدداً خارجه ويجري هارباً من الباحة كأنها مسرح جريمة عليه أن يغادره. كانت تلك اللحظات متنفسه الوحيد، أن يشاهد الأطفال يلعبون.

6

أما الحارس فظل كابوساً. لم يجعله صاحبه يرى أحداً طيلة أيامه الأولى. لا يغادر مكانه إلا بأوامر سيده. لم يلعب. لم يأكل إلا بالأوامر التي علمها إياه. كان يمكنه من بيته أن يرى تدحرج الكرة فيخرج مزمجراً معلناً عن وجوده في المكان. فتبقى الكرة هناك دون أن يتجرأ أحد على إخراجها من المكان، يبقى حارساً إياها. يقف...يحدق فيها كتحديقه في قنبلة. ولا يتجرأ على لمسها.

7

كان "الحارس" يستخدم أسلوب التدريب ذاته. يحوّل عقابه على عصيان الأوامر أو عدم تنفيذها أو العجز عن ذلك إلى عقاب نفسي إلى جسدي. لم تكن تأخذه الرأفة اتجاه جنديه المثالي، كل شيء يتركز في الحركات، في الملامح التي يرسمها في قلبه. يشاهد طيف أمه في عينيه، فيحاول مسحه. تمر صور الحرب والخوف والرعب والجنود الذين لا يملؤون حتى بدلهم يغوطون أنفسهم. فيقسو على جنديْه، وليده، الحارس الجديد أكثر وأكثر .

لم يكن يسمح لأحد بالاقتراب من وليده. إلا بإذنه. لذا لم يتلق تعليماً غير تعليمه قبل أن يصل التاسعة، وزاد فقدانه له بعد أن أُجبِرَ على التقاعد – فقد وصل إلى القائد بأنه قد قتل أحد أبناء عمومته تنفيذاً للأوامر، عرف القائد مدى خطورته فلم يقربه منه أكثر ولم يجعله يبتعد. وكان ذلك وقت تخلى فيه القائد عن بدلته العسكرية وارتدى عباءة القبيلة، أخبره أنّه عليه أن يترك الجيش إلا عندما يقوم هو بطلبه-، كما أن القرار الذي اتخذه رغماً عنه في تمكينه من الالتحاق بالمدرسة على مضضٍ بعد ضغط من والده جعله ينفلت أكثر من عقاله. كان وليده متأخراً في الدراسة، لم يخرج قبل ذلك من البيت إلا إلى بيت جده والآن ينفتح الشارع أمامه. حاول الأطفال أن يجعلوه يشاركهم اللعب إلا أنه كان متمنعاً ضد هياجانهم، لم يكن يهمه سوى الدراسة، في المدرسة يجلس وحيداً وبعيداً في آخر صف كشبح، لا يحادث أحداً. ينهي حصصه ويعود للبيت لبدء حصصه التالية. درجاته الدراسية كانت أعلى من الآخرين دائماً. عزى الأطفال لكونه يسبقهم عمراً، فأكبر زملاءه كان يصغره بعاميْن .

لم يكن يسمح لأحد بالاقتراب من وليده. إلا بإذنه. لذا...كان شرساً، مخيفاً، وغريباً.

كان البيت الذي يلتصق بالشاحنة الحمراء لغزاً يحيّر كل من في الحيْ. النباح والصياح العسكري الذي يعلو داخله كانا وحدهما ما ينبع من عتباته سوى الكرات الهاربة. حادثة واحدة جعلت البيت يتكشف قليلاً لأهل الحيْ. استيقظوا ذات صباح على صياح أحدهم يبكي ويتسنجد الناس لإنقاذه. تتبع الناس الصوت فقادهم إلى بيت "الحارس". تسلق الفتى الذي اعتاد دائماً أن يتسلق السور لينقذ الكرة من مخالب الوحش فوجد رجلاً يجلس القرفصاء في الباحة أمام البيت. كان الذئب يقف أمامه دون أن يمكنه من الحراك، كان الرجل لصاً قد غرته نفسه بعد أن سمع بأن البيت ينساه أصحابه لأيام، فأغوته لسرقته. لم يكن الرجل قد أُذِيَ. كان الوحش لا يقوم بأية حركات هجومية دون إذن "الحارس"، لكن لم يتمكن أحد من انقاذ اللص المقرفص أمام الوحش. بقي هكذا، لثلاث أيام حتى عاد صاحبه ليعاقب اللص عقاباً وخيماً. كان الوحش بلونه البُني وعينيه السوداويْن...يثير الرغبة في التبول.

لكن كل ما حدث في الشارع وفي المعسكر لم يثنِ "الحارس" عن متابعة هدفه، كان يؤمن أنه إذا نجح في هذه المحاولة سيكون قد أثبت جدارته للقائد. تقدم مرةً أخرى نحو الممر المؤدي للجِنان واستدرك الأمر الذي تلقاه:

- اعدمه.

8

ولج بيت الوحش. وجده يرقد مرتاحاً واضعاً رأسه على مقدمتيْه بعد وجبة دجاج جيدة تقديراً لما أظهره في التمارين. كان الوحش دائماً ما يتغلب عليه في التمارين الجسدية. تذاكر تمرين الصباح. العصا تضربه واليد تربت على الوحش. الوليد والوليد. اشتم الوليد رائحة الدخيل فكشر عن أنيابه، تفرس الانسان الذي أمامه. مد الوليد يده للأغلال التي تربط الوحش. مرر أصابعه على رأسه، شعر بالألفة اتجاهه. وضع يده تحت فمه فأخرج لسانه. كان الاثنان لأول مرة يلعبان في حياتهما. لعق الوليد وجه الدخيل. وربت الوليد على رأس الوحش. مسح على رقبته حيث فروه يتكثف. بدى الوحش سعيداً. مدّ يده ناحية مربطه وفك القفل وأمسك السلسلة وأخرجه من بيته فازدادت قبضته تحكماً به وواتته رغبة في أن يطلق سراحه ففعل؛ جرى الوحش في الجِنان يلعب ثم عاد مجدداً، كانت هناك كرة قدم رماها الأطفال دون العودة لها مجدداً. تقدم نحوها وركلها ليجري الوحش وراءها، انتشى. امتزجا معاً. كأنهما شخصٌ واحد أو وحش واحد. احتضنه ونزع عنه الوثاق الذي يشد

سلسلته فشعر الوحش بحرية لم يعتدها من قبل. لم يكن صاحبه لينزع عنه الوثاق رغم نزعه للسلسلة. تحركا نحو الباب الحديدي، في يده الكرة وحول جسده يدور الوحش. الشارع الذي لا تجوبه الكلاب. خرجا ليحتضناه وليتحررا من الرجل الذي يقودهما بأوامره الاستعبادية .

كانت تلك الحادثة تبدو كأنها مسرحية مفتعلة.

9

ولجوا صدره. أخيراً. لم يتمكن أحد قبلهم أن يلج صدره، في المعسكر تعرفوا عليه واكتشفوا قدرته الجسدية. تمكنوا من الوصول إليْه بعد أن عرفوا قصته. كان والده أحد الضباط المقربين للقائد، "الحارس" كانوا يطلقون عليه. تربى في حياته في البدء بين معسكر البيت والمدرسة. تقدمت به الحياة بعد ذلك ليتربى في المسجد ثم ليعود لمعسكر الوطن مرةً أخرى تنفيذاً لأوامر والده. كان يتملكه الوحش داخله، يمسك بقلبه كأنه طوقه. قرروا أن يدخلوه لجماعتهم. وقرروا أن ينفذوا عملية الحرية ضد الرجل الذي يقودهم بأوامره إلى العبودية.

كانت تلك الحادثة أيضاً تبدو كأنها مسرحية مفتعلة.

10

وجدا الفتى الذي اعتاد على أن يقفز البيت، رآهما فانخض قلبه، رمى الكرة نحوه فتدحرجت تحت قدميه ليتجمد، كان يرى الوحش والوحش يحدقان فيه بتلهف، كانت الكرة لازالت تربت تحته، نزل من ساقيْه سائلٌ أصفر، شعر بحرارة جسده فتحركت قدماه؛ لحقاه. حاول الفتى أن يهرب لما رأى لأول مرة الوحش يقوده الوحش. ابتسم الفتى وكشر الوحش عن أسنانه يعتقد أنه يلعب. " انتشله" قال. جرى الفتى ولم يجد سوى الشاحنة الحمراء يحتمي بها، ركب فوق صندوق القيادة لكن الوحش استطاع القفز. مزق ساقه فصرخ فسقطت بعض من قطرات قدمه على ورق الخروع. سرت لذة في جسد الوليد. استمتع باللعب، كان الفتى يبكي مستنجداً الناس، ولأن الشارع كان صغيراً وسكانه قلائل سرت الحمى بسرعة داخله. جرى هو والوحش في نواحي الشارع ليدخل البيوت ويطارد ساكنيها. " أمسك ذلك". "طارد المرأة". "حاصره". "مزق قدمها". يلقي بالأوامر والناس تصيح وتصرخ والحمى تسرع. الوحش يخرج سعيره. وهو يقهقه. الهلع الهلع. دخل بيتاً فأقفل الناس غرفهم فيه. طارد

أناساً آخرين لبيوت ناس آخرين. انتهكا أسرار كل البيوت التي حاولت انتهاك أسرار بيتهم. لساعة كاملة ظل السعار يحوم في الشارع. "تبول هنا". "تبرز هناك". "عضه". المطاردة التي تبدو كمسرحية ظلت تسوق أهل الشارع. بعضهم تسلق النخيل. بعضهم أغلق على نفسه. بعضهم لم يغادر سيارته. النساء يخرجن سافرات إلى الشارع. الأطفال يبكون خوفاً ويختبئون في خزانات الملابس أو تحت الأسرة وفي فصول المدرسة التي وصلت إليها المطاردة. الرجال يبحثون عن أسلحة أو هراوات لتوقف المطاردة الهوجاء وهو يستمتع بالمشاهد التي يرسمها الوحش في وجوه الناس وأجسادهم. أصيب عشرة بجروحٍ مختلفة في أجسادهم حتى جاء أمر ما في الهواء:

- حارس. توقف .

يتوقف الوحش. يتوقف الصياح والعويل والهلع. يتوقف المشهد.

- اعدمه.

- اتركه لله.

جاءته الأوامر من كل السلطات المحيطة به.

11

احتضن بندقيته. استعاد رباطة جأشه. ربت أحد الرفاق على كتفه. سنوات منذ أن أحضروه في جنبات الله والآن قد استعد لملاقاته. كل ما تلعمه ينصب في هذا اليوم حتى تمرينات وتدريبات والده. الامتحان الحقيقي لسنوات طويلة من التدريب. الانضباط. إطاعة الأوامر. تذكر ذلك اليوم الذي عُنِّف فيه. لما رآه يصطحب صديقا له إلى غرفته لما انهارت سلطته وخرّت أحلامه وطموحاته في صنع الجندي المثالي. كانا لا يتعديان العشرين من العمر. صديقه صاحب اللحية الشعثاء والشارب الحليق. جلابية بيضاء تعلو كعبيْه بإصبعين ملتصقين في وضع جانبي. أمره بعد أن ودع صديقه" هذه آخر مرة أراك تصاحب هؤلاء !". نفذ الأوامر، كان ذلك الزمن زمن كراهية الكلاب الضالة والكلاب الأخر، ولم يسمح أبداً أن تجوب الكلاب المكان. بعد ذلك بأيام قال له " ستذهب للعسكرية. حضر نفسك!". كان يطيع أوامره .

يمسك بالوحش، يدغدغ فروه. دم بشري يقطر من أسنانه.

يطقطق أصابعه على البندقية، السبابة، الأوسط، السبابة فالأوسط. " الآن...حان الوقت". ركب الشاحنة، كانت تشبه الشاحنة الحمراء التي تركن أمام بيتهم. بحث عن شجرة خروع ملتصقة بها ولم يجدها. كانت الشاحنة تسير في ظل الغروب حمراء فاقع لونها رغم بياض طلاءها. أخذت الطريق تنسكب في الأفق أمامهم حتى وصلوا إلى مبتغاهم. حيث سينفذون الأوامر التي ألقيت على مسامعهم. انفرطوا عند وصلوهم لمكانهم كثمار الخروع. حفل يحضره أحد رفاق القائد الأحرار، وحش آخر قتل من إخوانهم الكثيرين. انطلق الرصاص يتوجه في كل مكان أرادوه. سقط أحدهم. وسقط أحد آخر من الجهة المقابلة. النار بالنار، وجه بندقيته في الهدف الرئيس. كاد أن يرديه أرضاً لولا احتشاد حراسه حوله وإصابة أحدهم. تذكر والده...بشدة. صاح أحدهم بشعار الله وولت الشاحنة تحملهم تنطلق في الطريق تجري خلفها سيارات الدفع الرباعي. وهو يجلس في الصندوق الخلفي يفكر في والده. كيف كان يطيع الأوامر. كيف استطاع هو إطاعته. لم تدمع عيناه القاسيتان. مضت المطاردة لساعات حتى تمكنوا منهم. عرفوهم واحداً واحداً. سمع صوتاً يوجه البندقية نحوه:

- يا حارس. توقف.

12

في الحرب تذكر "الحارس" آخر العمليات التي جعلته يتقهقهر لأول مرة. الجنود ينفرطون من الميدان كثمار الخروع بعضهم قتلى، أصيب في ذراعه لكنه ظل يقاتل حتى آخر اللحظات في كل اتجاه يقاتل العدو ويقاتل الهاربين من أرض المعركة، وجه جنده عند نقصان عددهم المتزايد في النهاية السلاح نحوه وأمروه " فلنعد سيدي..". صاح " أيها الخونة، سأعمل على إعدامكم جميعاً". قام صديقه الذي يشاركه الحرب بتوجيه رصاصة أدركت ذراعه الأخرى فانهارت قواه لما صار ككيس ماء مثقوب يخرج منه الدم من جميع الجهات. نجا بأعجوبة، جرجر صديقه جسده طيلة الطريق كان يستيقظ ليسمعه يقول له " اعتذر ولكن كنا سنموت للاشيء"!

- اعدمه.

- اتركه لله.

أمروه. لذلك، أخذ بندقيته التي وضعها على الحائط تحت صورته ووليده، مرت لحظات طفولته معه كان يلعب على ساعده الذي يشعر بضعفه الآن. لحظات تلألئ عينيه في قلبه. لحظات طفولة الكائنات جميعها حيث تفطر القلب، يغذيه. مداعبة الوليد لإصابته. تدريبه له وتحويله لوحش لا يعرفه ولا يعرف منه إلا الأوامر. يخرج إلى الجنان، كان هناك. ينتظره. صوّب بندقيته لرأسه، الجمع ينتظرون. كأنه مرةبذات المشهد ذات يوم. متى كان ذلك؟ يستعد لتنفيذ الأوامر. " استعد" أمره فاستعَد. ألصق البندقية لفروة رأسه، بنيته التي شكلها، التشابه العميق بينهما رغم كل الاختلاف، الجمع يتحلقون حوله. إنه ابنه أو يكاد يكون كذلك. يطلق رصاصته. دم يخرج من فروة الرأس. تربت يد صديق قائلاً:

- كلب ومات..

تونس، مدينة الحمامات، 2017.



وجــع

خيرية فتحي عبد الجليل

دلفتْ بابي من خلال فتحة صغيرة، شدتْ على مقبض الباب برقة متناهية ثم استدارت لأجدها تحتلني، وقفت في وسطي تتأملني باهتمام مبالغ فيه، تفقدتني، تحسست كل شيء داخلي، بسبابة جميلة جاست الأشياء، المحتويات، الزوايا، الأركان، الأثاث، زفرت زفرة طويلة، تلتها زفرة أخرى، الزفرات شقتْ الفضاء حولي، امتلأت بأنفاسها السخية، جلستْ على الكرسي أمام المرآة الطويلة التي تتصدر حائطي المقابل للنافذة.

كانت ثيابها مرتبة بعناية داخل رفوف الخزانة، كتبها المدرسية موضوعة بترتيب مميت على مكتبها.

كم أتمنى معرفة ما يجوس بخاطر هذه القادمة الجديدة؟

لم يكن لدي حيلة لأتنهد أسفاً أو حسرة وصورة الجدة الطيبة التي كانت تسكنني في زمن ما تعبث بمخيلتي، كانت أمنية بعيدة المنال جرت في خاطري وأنا أتأمل الفتاة الجديدة، أن تعود تلك الجدة وتجلس تحت نافذتي من جديد.

يعلو صوت رنين هاتف الفتاة المحمول ويعلو صوت مذياع الجدة في خاطري:

"الليل عند اللي تهني ساعة ويطوال باللي كاثرات أوجاعه"

ما الذي يوجع الجدة في ذلك الحين؟

الفتاة ترقص على أنغام موسيقية هاربة بينما شاهدت رأس الجدة يتمايل طرباً على صوت " مصطفى طالب " الهادئ الحنون وهي تقوم بترقيع قطعة قماش بالية.

في الزمن الغابر باعت الجدة أسورة ذهبية ثمينة كي تحصل على المذياع بينما الجوال كان هدية تلقتها الفتاة ذات نشوى لعبت برأس أحدهم.

سؤال كبير أرقني كثيراً وسبب شرخاً عظيما في سقفي وتشققاً في أحد الزوايا تسربت منه نسمات باردة.

ما الذي تغير؟

مازلتُ على عهدي لكن ثمة أشياء تغيرت، الطلاء القديم، الأثاث، النافذة الوحيدة، الستارة، الأغطية، خزانة الملابس، الأرضية وثمة أشياء اختفت، مذياع الجدة، سجادتها، مسبحتها، ثيابها، وثمة أشياء ظلت عالقة بين حوائطي الأربعة، تسبح في فضائي، رائحة ثياب الجدة، الدعاء العالق ساعة فجر وأغنية مصطفى طالب.

ثلاثة أشياء ظلت الجدة تحافظ عليها؛ مذياعها ومنظارها تلك اللعبة التي تتفاخر بها والتي جلبتها من السعودية، كانت تضع عينها على العدسة الصغيرة وتحرك مفتاحه الجانبي لتبديل المشاهد في عرض سريع ومتتالي لجبل عرفة والكعبة وقبر الرسول.

وظلت تحافظ على الوجع الذي كانت تغذيه أغنية ما في زمن جميل.

لم يبق لي من أثر للجدة سوى ذلك المذياع، ذلك الصندوق الصغير الذي يحمل ماركة " سوني "، الحروف الأجنبية فضية بارزة، هالني تكدس الغبار على هيكله الخارجي وأزعجني ضياع مفاتيح تشغيله، أحزنني وضعه كغرض مهمل لا يحفل به أحد، مع الأشياء غير الضرورية في غرفة المخزن المركونة فوق سطح البيت.

في تلك الأيام كان صوت الجدة يملأ أركاني، أذكر تفاصيل ذلك الصوت الزاخر بالوصايا الطيبة والحكمة نهاراً وبالحكايا وقصص الجان ليلاً، بالذكر والقرآن عند الفجر وساعة الاستيقاظ، أما الغناء فيمتلئ به صوتها أغلب ساعات الوجد والفرح والوجع والانتشاء، في كل غناء لها حكاية.

الظلال الخافتة المنبثقة من مصباح صغير على هيأة شمعة صناعية و صوت تنفس الفتاة المنتظم، أزيز أحدى قنوات التلفزيون الذي تتركه الفتاة في بث متواصل جعلني أشعر بالتلوث، جدراني ازدانت بصور كثيرة أتلعثم عند نطق أسماء أصحابها، أحجاري لم تتعود على ضجيج هذه الأجهزة الكثيرة، الأصوات المنبعثة من المنظومة الإلكترونية الجديدة نهاراً

جعلتني أشعر بالتصدع، قشور صغيرة من الطلاء الوردي صارخ اللون هفت وتهاوت لتقع على أطراف الغطاء السميك الذي تتدثر به الفتاة، تذكرت عباءة الجد، تلك العباءة المصنوعة من الصوف أين هي ؟

تململتْ الفتاة قليلاً فتذكرت ليل الجدة وفراشها المنبسط على أرضيتي وأغطية حفيداتها التسع وأعينهن المتلصصة تحت الغطاء المشترك في انتظار وترقب لبدء سرد الحكاية.

كانت الحفيدات يندسن تحت الأغطية، أجسادهن الصغيرة ترتجف عندما تهمس الجدة مقلدة صوت الجني في حكاياتها :

- النهار بعويناته والليل بوذيناته.

لم أكن واسعة الأرجاء ولا كثيرة الأثاث أيضا؛ لكنني كنت أتسع لاحتواء الجدة وحفيداتها المنكمشات دوماً حولها وتحت أغطيتها، فيما كانت الحفيدات الصغيرات يسبحن في نومهن العميق كانت الجدة تقطع ليلها الطويل بأغنية خافتة :

"العين طامعة في نوم والعقل فيه دنيا شائلة"



طائر الماوث مان

أسماء القرقني

(لقد تم اختيارك لتقصّي الحقائق عن جسر أفارا المنهار من قبل منظمة حقوق الانسان.. سيتمُّ الاتفاق على موعد الرحلة لاحقاً)

قرأتُ هذه الرسالة وأنا غيرُ مصدّق أنّ حلمي بزيارة تلك الدولة العظيمة والتحقيق في تلك القضية الغامضة سيتحقّق. مددتُ يدي إلى مجموعة من الصحف كنت قد جمعتها منذ فترة، كانت تتناول موضوع انهيار جسر "أفارا" وأحداث صغيرة مشابهة حدثت بعده على مراحل مختلفة وأن كانت أقلّ خسائر بكثير، مررتُ على العناوين بسرعة

طائر الماوث مان الغريب يثير الرعب في بلدة أفارا

إحدى السيدات تؤكد رؤيتها لطائر الشؤم الماوث مان قبل الحادثة بدقائق

سيد في الخمسين من عمره يتمكّن من التقاط صورة لطائر الشؤم الماوث مان قبل الانهيار

زفرتُ بقوة وأنا أقرأ تلك العناوين المتشابهة رغم التفاوت الكبير في زمن كتابتها.

قمتُ بإحكام معطفي ووضعت قبعة ثقيلة على رأسي عند نزولنا من الطائرة فقد كان الجو مظلماً وبارداً والمطر يهطل بغزارة، لكننا نسينا برودة الطقس مع حرارة الترحيب، فقد تمّ استقبالنا في صالة كبار الزوار ووجدنا سيارة فاخرة في انتظارنا، نزل منها شخص أشقر طويل

القامة تبدو عليه الوجاهة، وإن لم أستسغ ابتسامته الصفراء المتكلفة، كان جالساً بجانب السائق، رحّب بنا ثم قال:

-أنا جون، كلفتني وزارة الخارجية بمرافقتكم وحل أيّ مشكلة قد تواجهونها...

وصلنا الى الفندق بعد رحلة ليست قصيرة، فقد كانت البلدة الصغيرة التي حدث فيها الانهيار الكبير تبعد عن العاصمة حوالي 100 كم، لم يكن لنا حديث تلك الليلة سوى انبهارنا بحفاوة الاستقبال وجمال الطبيعة والتقدم الكبير في كافة ما رأيناه من مرافق.

استيقظنا صباح اليوم التالي على صوت الجوال، أخبرني السائق أنه في الطريق إلينا هو والسيد جون الذي قال لنا في الطريق :

- ستقابلان اليوم عدداً من الأشخاص الذين كانوا شهود عيان على ذلك الانهيار منذ خمسين سنة.

رصدت مناظر البلدة الصغيرة من النافذة، كانت كلّ بيوتها باللونين الأبيض والأزرق مما جعل لها جمالاً خاصاً.. النهر يمتدّ في وسطها شاهداً على مأساة لم ينسها كلّ من عاصرها، وجدنا إحدى السيدات بانتظارنا، بدت في الستين من عمرها أو أكبر قليلاً، تضع شالاً أحمرَ على كتفيها وتبدو الطيبة والبشاشة على محيّاها، قالت بعد أن قدّمت لنا أكواباً من الشاي الساخن كنّا بحاجته:

-كنت وأخي في طريقنا إلى المستشفى تلك الليلة لعلاج والدتي من مرض ألمّ بها، عندما مرورنا بمناجم الفحم على مقربة من الجسر، ..... رأيناه!! كان جسمه يشبه جسم الإنسان وجناحاه كبيران جداً وعيناه متوهجتان باللون الأحمر، لقد أصابنا الرعب وزاد أخي من سرعة السيارة، لم تمض نصف ساعة حتى سمعنا بانهيار الجسر.

صمتت برهة لتزدرد ريقها، ثم قالت والألم يبدو على قسماتها:

-كانت الجثث في كل مكان، لا أستطيع أن أصف لكم هول ذلك اليوم.

قلت محاولاً ان أواسيها:

- شيء مؤسف، أشعر بما تصفينه سيدتي... هل تستطيعين أن تصفي لنا ما رأيتِ بدقة؟

بدت مترددة وهي تقول:

-الحقيقة أنا لم أره جيداً، كنت طفلة، الفزع جعلني أغمض عينيّ، لكن أخي هو من رآه ولم يمض على رؤيته أسبوع واحد حتى توفي.

-هل تعرفين أحداً في القرية رآه بنفسه؟

-نعم... جارنا الطيب إبراهام... رجل معمّر كان شاهداً على الحدث بنفسه...

في طريقنا للخروج سمعتها تقول:

- مهلاً...

وقفتُ والتفتُّ إليها...قالت:

-هناك تمثال لطائر الماوث مان موضوع في وسط المدينة إن كنت تودّ رؤيته.

نظرت إليها وقد ساورني الشك في سلامة عقلها ...

عند خروجنا من بيتها قابلتنا فتاة ثلاثينية حسناء تلبس ملابس رياضية، قالت وابتسامة رائعة على شفتيها المكتنزتين:

-هل أنتما الصحفيان اللذان جاءا للتحقيق في حادثة الجسر؟

ودون أن تنتظر إجابة أضافت قائلة:

حدثت منذ حوالي عشر سنوات حادثة مشابهة وإن كانت لا تقارن مع سقوط جسر أفارا في حجم الأضرار، انهار أحد البيوت القريبة من النهر... رأت جدتي يومها ذلك الطائر وأصيبت بالذعر، لم أصدق أنه شؤم، كنت موقنة أن ما يردده الناس مجرد شائعات... لكن ما حدث في نفس تلك الليلة زعزع يقيني.

أنصتنا لها بكل اهتمام، شكرتها بحرارة ثم قطعنا المسافة باتجاه بيت العجوز إبراهام على أرجلنا، كان يسكن وحده في بيت صغير مشيد على ربوة مرتفعة قليلاً، يبدو في التسعين من عمره لكنه مازال يتمتع بصحة جيدة، يملك عينين صغيرتين ماكرتين ووجهاً صارماً، رفض استقبالنا بادئ الأمر لكن السيد جون تدخل وتحايل عليه حتى وافق أن يقابلنا..

قال وهو ينظر لنا نظرات شك وريبة:

-لقد رأيته بنفسي قبل سقوط جسرنا بوقت قليل، كان كبير الحجم، عيناه وكأنهما شعاع من نار وله جسم يشبه جسم الانسان... لن أنسى منظره ما حييت و.....

• • •

شعرت بقشعريرة تسري في جسدي، اختلست النظر إلى جون وجدت على وجهه ابتسامته الصفراء المستفزة ذاتها، الحقيقة أن الرجل كان دمثاً ومهذباً جداً ولم يتدخل في الحديث لكن ابتسامته تلك لم أستسغها .

تلك الأمسية قال لي صديقي والحيرة تكسو ملامحه:

-أيعقل أن تنتشر الخرافة في مثل هذا البلد؟ وهل هي خرافة فعلا؟ الحقيقة أنا أكاد أصدق أنّ هذا الطائر حقيقي وليس أسطورة.

قلت له في شرود:

-الأغرب هو وضع تمثال لطائر الماوث مان في وسط البلدة بالمواصفات نفسها التي سمعناها من الأهالي.

سادت برهة صمت قطعها صديقي بقوله وهو يشير إلى التلفاز:

- انظر!!

قرأت الخبر العاجل المكتوب على الشاشة بذهول:

(انهيار مبنى للضمان الاجتماعي يسفر عن سقوط قتلى وبعض الأهالي يؤكدون رؤيتهم لطائر الماوث مان في المكان قبل الحادثة بقليل).

طلبت من السائق صباح اليوم التالي أن يذهب بنا إلى مكان الحادثة الجديدة القريب من النهر، كان المكان مزدحماً جداً.

الشرطة تحاول إبعاد الناس حتى تفسح المجال لرجال الإطفاء للقيام بعملهم، لم نمكث كثيراً في المكان، فقد كان مزدحماً خانقاً والمنظر مؤلماً ومؤثرا، ما لفت نظري أنّ هناك منجم فحم بالقرب من المبنى المنكوب، طلبت من السائق أن يذهب بنا إليه.

بهرت بالمشروع وبالمساحة الكبيرة التي يشغلها والأرباح الضخمة التي يحققها. قدّم لنا المعلومات أحد الموظفين الذي بدا متعاوناً جدا، أثناء حديثنا خرج أحدهم من حجرة مقابلة لنا كانت مغلقة، لم أستطع منع نظراتي من التلصص بداخلها، كانت تحوي الكثير من الزجاجات الصغيرة الحجم المعتمة اللون..

شعرت أن الموظف ارتبك عند رؤيتنا، وربما كنت مخطئاً، قال :

-لم أكن على علم بهذه الزيارة ..

ثم أضاف بعد برهة وهو يضع ابتسامة على وجهه:

-نحن نرحب بجون وضيوفه في أي وقت طبعا.

عند خروجنا من المنجم اقترب مني الموظف الأول ومدّ لي شيئاً واختفى بسرعة، أخرجت الورقة عند وصولي وكان فيها ما يلي: (أريد مقابلتك لأمر هام على هذا العنوان)

كان الجو غائماً شديد البرودة لا يغري بالخروج صباح اليوم التالي، لكن الفضول والإصرار على معرفة الحقيقة والشعور بالمغامرة تفوقت علي وجعلتني أصمم على مقابلة الرجل، لم أخبر حتى صديقي بموضوع الرسالة.

وصلت إلى العنوان، كان مقهى صغيراً من الخشب يبعد عن البلدة بضع كيلومترات، رأيت الرجل ينتظرني على إحدى الطاولات، عرفته رغم أنه كان يضع لثاماً يخفي به نصف وجهه، عيناه زائغتان يبدو في نظراته القلق والتوتر، قال لي دون مقدمات:

-السر يكمن في تلك الزجاجات التي رأيتها في الغرفة .

مدّ لي ورقة مطوية وقال:

هذا عنوان صديق أثق به كثيرا، اذهب إليه غداً صباحاً سيسلمك إحدى تلك الزجاجات، هي مواد متفجرة يستخدمونها في المناجم.. اقترب مني وقال هامساً:

-المصيبة أنها على الأغلب تسربت الى مياه النهر بطريقة أو بأخرى...

تساءلت في هدوء:

-ولماذا لا يقفلون هذه المناجم طالما تشكل خطورة؟ وما علاقة طائر الماوث مان بهذا الموضوع؟

ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة وأحكم وضع اللثام على وجهه وخرج مسرعاً.

رجعت إلى الفندق تتنازعني الكثير من المشاعر المختلطة الخوف والإثارة والدهشة التي ازدادت عندما وجدت السائق أمام الفندق وبرفقته جون، استغربت فهو لم يتصل بي قبلها. وجدت صديقي أيضاً ينتظرني معهم..

نظرت إلى صديقي من خلال النافذة مستفهما، قال بصوت خافت وهو يناولني جواز سفري:

-جمعت كلّ ملابسك وأوراقك ووضعتها في حقيبتك!!

انطلق بنا السائق بسرعة كبيرة. التفت جون الينا وقال في هدوء وابتسامته الصفراء لا تفارق وجهه :

- الأرصاد الجوية أخبرتنا أن هناك عواصف وأعاصير ستجتاح البلاد الأيام القادمة، وخوفاً على سلامتكم قررنا أن نوصلكم إلى المطار.



إبداعات الشعر

- قم الصلاة لم تفتك - مهند سليمان
- إحساس مسافر – د.قيس عمران اخليف
- ثلاث لوحات على جدار المنفى – سعاد يونس
- على جراحنا ترقصون - خالد اغبارية

قم الصلاة لم تفتتك

مهنّد سليمان

فِي أعقابِ نهارٍ هشٍّ

العَودة إلى المقهى ..

إعادةٌ لقراءةٍ متواضعة

يُثبت مَنْ أمامي أنَّ "الله" فِي صوت رصاصة والله سيُعاقب مَنْ حاد عَنِ الهدف !

آخرٌ خمَّن..

المرأة الناهدة شيطانٌ استيقظ لتوِّهِ !...

صديقِي تحدّث عَنْ استمنائكَ البارحة، آثار الجريمة فضحتك

وأترك " الله " منشغلاً مع دُفعةٍ جديدةٍ مِنَ الموتى...

أحدهم طبيب ينتظره "الله " ليُضمِّد خدوش آخر معركة

لِمَ ساورتكَ الشُكوك حول صِحّة قضيبكَ فخبأته عن المرايا؟ !

أصدَّقت المِرآة حقًا؟

أنتَ سررت بِسرِ قُرآنِكَ والفقيه التعس أفشى الآية المُقدَّسة...

حذرتُك لتُحلّق وما رأيتك إلا كجُنديٍّ مُنبطح

جرِّب مِثلِي حُبّ امرأةٍ تُفضِّلُ القطط عَنْكَ ...

تذكَّر موت عنترةَ العبسي وتحسَّر كيف جُنَّ قيس ابن المُلوّح إزاء نَهْدٍ لم يلتهِمه

عُضَّ نهديِّ حبيبتكَ وأترك للخائن التالي ندبةً تُحرِّضهِ على الانتحار ... افهم جيّدًا لماذا تتأخر حبيبتك عَنْ موعدها! لقد وعدتكَ أجل! لكنَّها لنّ تفي بوعدها! فهي على الوجه المُضيء بادلتني السجائر وحُزمة أقلامٍ تُشبه الأصل تمامًا

كما أحرجت أظافرها جِراح قلبيَ ..

لملم بعضكَ وعُدّ أدراج السُكون

التفت ولا تنتبه إنّ رآكَ قبر أبيكَ

نحّي القسَم جانِبًا ..

الله مُتعب حتى نهاية هذا الأسبوع

فلا تجزع، أحضر الأوراق المطلوبة وتوخى بيروقراطيَّة الوطن

أنا كذلكَ أُراهن مثلكَ

ومِثلي أنتَ تصيحُ فيهم "... الذيل وراء البِغل".



إحساس مسافر

د. قيس عمران اخليف

أغيب أحيانا عن الدار

تغيب معي ذكرياتي

وأترك حزني وفرحي في أروقة المنزل

وأتذكر أني راحل

وبعض الصور والوجوه.

فأنظر خلال نوافذ الطائرة

فلا أرى سوى ديار المسافرين

وقد صمتت وأصبحت

جامدة..

هادئة ..

تودع باستسلام، كل الأحباب

عندها أظن أن الحب هو الوطن

وتسكن أفكار من الشوق نفسي

وأعثر على حبيبتي

يرجعني الزمن فترة الغياب

وتعانقني لحظات الفراق

وأحس بالتعب، والحزن...

أحس بالاضطراب....

كييف: 2007



ثلاث لوحات على جدار المنفىً

سعاد يونس

اللوحة الأولى:

الخلفيّة امتداد لملامح وطن

من شفتيه تنطق عقارب التوقيتَ

وتحت ظلال رموشه ..

رجل يُقاوم انحناءَ

اللوحة الثانية:

إطار بنفسجي

بداخله إطار أبيض

يحوي نهاياتِ ليل

وعلى الجزء الظاهر من حذوه

ينعكسَ ضياءُ فجر قادمَ

فيكشف عن آثار قدم

راكضةِ نحو البنفسج

اللوحة الثالثة:

اللوحة من غير إطار ..

بالبياض..

كُل شيءٍ عار تماما

ومعظم زوايا الورقة

يلتفُ خجلا..

ماذا..

مـــاذا ...؟

هل خلت يثربِ من سُكّانها؟

ونما العشبُ عند أطراف الكعبةَ

وذرّت الرياحِ كُلّ أبناء العربَ

فما بقي بالسوق

غيرُ حمير قينُقاع وبني النظير

ماذا...؟

أمازلت تتوسَّد

معولك يا أبي؟

وتوصيني بإتقان الدفنَ

وأداء صالة الموتى

أتقتلنا السالمةُ

تنخرنا حتى التماثل

ولمّا قضت منّا وطرا

عند باب العجز أدركنا التساؤل.

والجواب..

نقر رأسَ القلمَ

في فراغ محبرتي يا "سالمة "

يا أول امتدادٍ لغضبيَ

منذ أن سرحت بذات الحلم

في منام الآمنين



على جراحنا ترقصون

الشاعر خالد اغبارية (فلسطين)

على الشاشة الصغيرة

طفل يلتحف صمت العيون

فراشه دم ودمع وبقايا وطن مفجوع

يرقد في كفن حوافه الرصاص

وعروبتنا الكسولة حواس!

فمن يبكيك يا طفلي الصغير إن تحركت بالدماء؟

ومن يملك وسط ضجيج الراقصين تقديم العزاء؟

على الشاشة الصغيرة

امرأة تبكي ذُلّ الرجال

يخيفها في القدس مستوطنون

السلاح رجولتهم

تتفقد وسط الصمت العربي آخر الكلمات

شموع التسبيح وفتات الدعاء

عزلاء إلا من رجاء أدمى مقلتيها

حين جفت ينابيع النخوة

وتصحرت الشجاعة

على الشاشة الصغيرة

أطفال يلوّحون بحجر داوود المقاتل

وعلى الشاشة فاتنة تبيع جسدها خمرا للمتفرجين

ورجالٌ بلا رجولة وسط العري

وكلمات تحمل السمّ على أوراق الياسمين

على الشاشة الصغيرة

فتيات الإعلان يحملن البسمة

وبضائع تثير الشهوة

ونهم العينين بلا حد!

تتسع الحلقات لتلقط المشهد

وتضيق به حين تطل الأكف المغبرة بالحجارة

فينتقل المشاهد عبر محطات البث بمنتهى المهارة

على الشاشة الصغيرة

مهرجانات الموت المزيّن بالغناء عتمة في عين الضياء

مهرجانات العروبة والطرب

رماد بارد لنار أكلت نفسها

فتقيّأت الدروب...

وانتشرت بلا دخان على أشلاء الصغار

على بقايا الدور المهدمة

على نوافذ التاريخ حين تتمزق الأستار

وحين ينسلخ من برد الليل دفء النهار

أطفالنا يموتون!

يقتلعهم جنود الرصاص

كأشجار لم تثمر بعد

أطفالنا ينزفون ونساؤنا تحرقهم خطوات العدو

وقد تبخرت وعود العشيرة

وأسدلت ستائر القمع على بصائر الرافضين

على جراحنا ترقصون!!

مستوطنون في المدى فوق الحدقات

مستوطنون في الطرقات على الجبال وفي العرين

والسبع صامت حزين!

أشبال تقذفهم بالحجارة

والسبع يخذله الزئير

يعض على لسانه كي لا يقول

يصم أذنيه كي لا يسمع

ينظر بزجاج عينه المكسور

ويقرر أن يركع!!

فيا أيها المسكون بالغباء

كم ينبغي أن يراق من دمنا كي تقلع عن صمتك

وتختار كلمتك قبل أن تنطق بها

كببغاء مهارتها غباء؟!

كم طفلا علينا أن نودع أشلاءه

قبل أن تجمع القطن من أذنيك

...

كي لا تسمع ؟؟

أو ربما تفزع!

أيها الراقصون على جراحنا

فلترتفع حناجركم بالغناء

وليترنح السكارى كل مساء

ولترتعش الشفاه المخمورة بالكلام

فعروبتنا أجساد يهزها غناء

لتتساقط – راقصة–

أمتي الثكلى ولا عزاء !!



متـابعـات

- أخبار الرابطة
- مناشط وفعاليات
- رحلوا عنا
- إصدارات

أخبار الرابطة..

رابطة الأدباء والكتاب الليبين في زيارة للكاتب والشاعر عمر رمضان

في إطار رعاية الأدباء و الوقوف على ظروفهم قام رئيس رابطة الادباء والكتاب الليبيين المكلف، الدكتور خليفة احواس، أصالة عن نفسه ونيابة عن معالي وزير الثقافة د.سلامة الغويل، بزيارة القامة الوطنية الثقافية الكاتب والشاعر الكبير عمر رمضان، حيث نقل له تحيات معالي الوزير و حرصه على الاطمئنان على أحواله الصحية، معبرا له عن الاستعداد لتقديم العون و طباعة إنتاجه الادبي والفني. وقد عبر الشاعر عن سعادته بهذه اللفتة شاكراً الجميع على الاهتمام.

الغويل يبحث مع الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب تفعيل رابطة الكتاب الليبيين

بحث وزير الثقافة والتنمية المعرفية الدكتور سلامة الغويل على هامش معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الـ53، مع الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب رئيس نقابة كتاب مصر الدكتور علاء عبدالهادي، وأمين رابطة الأدباء الليبيين الدكتور خليفة أحواس، أوجه التعاون المشترك.

هذا واتفق الجانبان على تعزيز التواصل بما يخدم الثقافة العربية، وتوطيد العلاقات التاريخية بين الأدباء والكتاب في ليبيا ومصر والعالم العربي بشكل عام.



مناشط وفعاليات..

الفرجاني تطلق ركن الكتاب

أطلقت مكتبة الفرجاني – شارع ميرزان، مشروعها (ركن الكتاب) الذي تهدف من خلاله إلى تقريب الكتاب من القراء، والتشجيع على القراءة، والتعريف بمنشورات الدار.

مشروع (ركن الكتاب) يتمثل في مكتبة مكونة من خمسة أرفف، تحتوي مجموعة من الكتب في شتى مجالات الأدب والمعرفة، تم توزيعها على أحد عشر مركزا تجارياً بمدينة طرابلس.

ليبيا في التاريخ (الانتماء والوحدة الوطنية)

نظّم قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة بنغازي الإثنين 6 ديسمبر 2021م، المؤتمر التاريخي الدولي الثاني، ليبيا في التاريخ "الانتماء والوحدة الوطنية"، والذي استمر حتى الثامن من ذات الشهر، بمدرج كلية العلوم بجامعة بنغازي، بمشاركة وفود متنوعة من القناصل والممثلين الدوليين من دول: مصر، فلسطين، السودان، إيطاليا، بالإضافة لأساتذة من الجامعات الليبية والعربية، ومجموعة من الأكاديميين والمهتمين بتاريخ ليبيا.

الهدف من هذا المؤتمر؛ هو تجميع كل المؤرخين التاريخيين في ليبيا، لغرض تحقيق الانتماء، وتأكيد التماسك والتوحيد. وتم في هذا المؤتمر مناقشة مجموعة من الأوراق البحثية، وحلقات النقاش التي تناولت التاريخ الليبي في اكثر من حقبة.

الفسيفساء الليبية معرض للتنوع الثقافي الليبي بمدينة سرت

تحت شعار (تنوع الموروث الثقافي الليبي عنصر قوة)، أقيمت بأرض المعارض بجامعة سرت السبت 18 ديسمبر 2021م، مبادرة الفسيفساء الليبية، والتي تسعى إلى تأكيد أن الاختلاف في التراث الليبي أداة قوة ومصدر حقيقي للإبداع وتعزيز الشعور بالهوية الوطنية رغم تنوعها حيث أصالة الماضي وتطلعات الحاضر.

هذا وشمل المعرض العديد من الفعاليات الفنية والثقافية والتراثية التي تعكس طبيعة الموروث الثقافي الليبي وتنوعه الأصيل.

هذه المبادرة بتمويل من مُنظمة مسَارات للسلام والتنمية بالشراكة مع صندوق الأمم المتحدة للسكان في ليبيا.

انطلاق مجلة الآتي

مع انطلاقة العام 2022م، انطلقت مجلة الآتي؛ صوت الكلمة وضميرها، وهي مجلة إلكترونية تعتمد على منصات التواصل الاجتماعي، لتجمع بين نخبة من كتاب وشعراء العالم، بلغاتهم، وثقافاتهم، من أجل براح مفتوح على الثقافات العالمية.

في كلمته يقول مؤسس المجلة؛ الأستاذ إبراهيم النجمي: (الآتي.. مجلة صادرة عن "المؤسسة الليبية للأبحاث والدّراسات والمعلومات والنشر والترجمة"، وأحد أجنحتها، لا تنطق بغير لسانها، أعني لا علاقة لها بما ف العالم من سياسات احتواء، تُعني بالأدب، بالفن والتاريخ والتراث.. هدفها الرئيس أن تكون جسرا بيننا كصنّاع كلمة مبدعة بحيث يكون بمستطاعنا عمل ما لصالحنا كتأسيس أو إقامة مشاريع استثمارية مشتركة وما شابه. ليس لها شروطا للكتابة فيها غير الالتزام باحترام قدسية الكلمة، وكذلك تقديم الجديد والمتجدد والموضوعي وغير القائم على المحاكاة من مواضيع مستهلكة).

وحول النشر يقول: (المجلة رأيت ألا تكون بلسان واحد بل بثلاثة ألسن وكما فعلت مع سائر ما ترجمت، النص الاصلي للكاتب وبترجمة الكاتب إن شاء بنفسه كنص شاعر جنوب كوريا هنا الذي قدمه لنا بلسانه وبترجمته الانجليزية فنقلناه إلى العربية، فكرة تمكّن الناس من متابعة ألسنتها وتمنحهم فرصة مقارنة لسان بآخر).

هذا العدد تضمن بداية مجموعة من المواد، جاءت بلغاتها الأصلية ومترجمة إما إلى اللغة العربية، أو لإنجليزية، فجاءت المنشورات كالتالي:

مجموعة من نصوص الشاعر الكوري الجنوبي هانيوتغ جيونغ. في ثلاث لغات؛ الكورية الجنوبية، الإنجليزية، العربية.

قصة (همس الألوان) للكاتب الليبي والقاص سالم العبار، بترجمة للغة الإنجليزية.

قصيدة للشاعرة اللبنانية وفاء أخضر، في ترجمة باللغة الإنجليزية.

قصيدة بالأمازيغية للشاعر المغربية فايزة سلطان، مترجمة للغة العربية.

إضافة إلى مقطع مصور للشاعر المغربية خديجة زواق، بمصاحبة على العود للفنان التونسي محرز العبيدي.

الجدير بالذكر؛ إن مجلة الأني، هي مجلة إلكترونية على الفيسبوك، المؤسس والمسؤول إبراهيم النجمي، بإدارة وإشراف نخبة من كتاب وشعراء عالميين، يشرف عليها فنيا رامز النويصري.

مركز الدراسات الحضارية يُصدر أولى مجلاته

أصدر مركز الدراسات الحضارية البينيّة Center for Intercivilisational Studies المعروف اختصاراً باسم CIS أولى مجلاته المحكّمة، وهي فصلية بعنوان "روافد"، تعنى بالعلوم الاجتماعية والإنسانية. تصدر المجلة بنسختين ورقية ورقمية، وتُنشر موادها البحثية على موقعها الإلكتروني: https://cistudies.net/rawafed/.

وتحتكم روافد إلى نخبة من المحكّمين المتخصصين، بالإضافة إلى لجنة علمية من الباحثين الأكاديميين يقومون بالإشراف على سياق المجلة التحريري، ومراجعة محتويات المجلة، وتشمل اللجنة العلمية مساهمين من أساتذة الجامعات في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا، ومستشارين من مصر والعراق وعمان واليمن وبلجيكا وفرنسا ومالطا وبولندا.

يرأس تحرير المجلة د. حافظ امحمد زكري، ويساعده مريم عبدالله في إدارة التحرير، وعصام العبيدي في التسيير والإدارة.

يُذكر أن مركز الدراسات الحضارية البينيّة بصدد إصدار دوريتين أخريين بعنوان "الترجمة والاصطلاح"، و"فلسفة". ومن المتوقع أن يُصدر كذلك فصلية ثقافية غير محكمة بعنوان "نوافذ"، يرأس تحريرها الأديب الليبي المعروف فتحي نصيب.

10 ليبيا بالقائمة الطويلة لجائزة الكاتبة المغاربية

أعلن المكتب التنفيذي لرابطة كاتبات المغرب، القائمة الطويلة لجائزة الكاتبة المغاربية، دورة الكاتبة المغربية الراحلة ثريا لهي للعام 2002، والتي ضمت 10 كاتبات ليبيات، هن: حنان المجبري، حنان علي كابو، حنان يوسف الهوني، سعاد احمد الشويهدي، صافيناز محجوب شنيرة، عزيزة حمد الحصادي، مروة آدم سالم حسن، مسعودة إبراهيم، مفيدة محمد جبران، نعيمة عمر القطعاني.

ضمت القائمة الطويلةوبحسب ما أورد المكتب التنفيذي للجائزة في بيانه، فإن القائمة الطويلة ضمت 62 عملاً في جميع أصناف الجائزة؛ من شعر وقصة قصيرة ورواية ومسرح. منها 53 عملا باللغة العربية، والأمازيغية، الزجل، و9 اعمال باللغتين الفرنسية والإنجليزية. اما الدول التي ضمتها القائمة الطويلة فهي؛ ليبيا، تونس، الجزائر، موريتانيا، المغرب.

الجدير بالذكر إنه بعد صدور اللائحة القصيرة للجائزة، ستحال إلى لجنة التحكيم لاختيار الأعمال الفائزة، ومن المقرر ان يتم الاحتفال بالفائزات في يوم 9 مارس 2022، والذي يصادف الاحتفال باليوم الوطني للكاتبة المغربية.

منشورات جديدة لمكتبة الكون بمعرض القاهرة الدولي للكتاب

مجموعة من الكتب أعلنت عنها مكتبة الكون للنشر والتوزيع والطباعة (طرابلس-القاهرة) ضمن منشوراتها بمعرض القاهرة الدولي للكتاب، في دورته الـ53 للعام 2022م.

حيث أصدرت المكتبة للكاتب المصري محمد عطية محمود كتاب (إبحار في رمال متحركة) والذي يجمع فيه مجموعة من القراءات في النقد والتحليل. الكتاب الثاني جاء بعنوان (شعرية الفضاء الغلق) للباحثة فاطمة الطيب قزيمة، والذي تتناول فيه شعر السجون في ليبيا خلال الفترة من 1960 إلى 2011م.

(النفحات المسكية على الأبيات الرحبية) هو عنوان الكتاب الثالث للباحث محمد علي السيد الشافعي الأزهري، والتي يقو فيه بتحقيق إرث الوارث للإمام أبي عبدالله الرحبي.

الدكتور عبدالحفيظ العابد يتناول قصيدة النثر في ليبيا من خلال كتابه (قصيدة النثر في ليبيا – التشاكل والبناء). خامس إصدارات المكتبة رواية (قوارير خاوية) للروائية الليبية غالية

يونس الذرعاني، وهي الرواية الفائزة بجائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي في دورتها العاشرة – فبراير 2020م.

ضمن سلسلة دراسات صحفية، صدر للدكتور عبدالحفيظ سالم بلال كتابه (الصحافة الإلكترونية وقضايا المجتمع – دراسة تحليلية). وهو كتاب مهم في الإعلام الإلكتروني.

دار الرواد في مجموعة من الإصدارات الجديدة

ضمن مشاركتها بالدورة بمعرض القاهرة الدولي للكتاب الـ53، شاركت دار الرواد بمجموعة من إصداراتها الجديدة للعام 2022، جاء الكتاب الأول بعنوان (تحرشات المبدع.. قراءات في السرد الليبي) للكاتب والقاص والمترجم الليبي عمر أبوالقاسم الككلي، والذي جاء في 136 صفحة. وهو يضن مجموعة من المقالات النقدية المهتمة بالنتاج السردي الليبي. ولذات الكاتب، صدرت الطبعة الثانية من كتابه (سجنيات) والذي يضن مجموعة من النصوص السردية عن تجربة الكاتب خلال تجربة سجنه السياسي إبان فترة نظام القذافي. الكتاب جاء في 106 صفحة.

الكتاب الثالث، للكاتب الصحفي جمال الزائدي، والمعنون (اتوبيسات) في 92 صفحة، والذي يجمع فيه الكاتب مجموعة من منشوراته التي يعرض فيها الكاتب لتجربة استخدام الحافلة كاحد وسائل المواصلات، من خلال قراءة اجتماعية ثقافية.

الكتاب الرابع ضمن هذه المجموعة، هو (بلاد الكوميكون.. وقصص أخرى) للقاصة والمحامية عزة كامل المقهور، وهو الكتاب الرابع للكاتبة الصادر عن الدار، وجاء في 196 صفحة، أما لوحة الغلاف فهي للفنانة التشكيلية فاطمة الفرجاني.

من الإصدارات المشاركة أيضا، كتاب (ليبيا الدولة وما دونها.. قراءة في مسارات التحديث من 1951 الي 2011)، تأليف خليفة علي حداد، وهو يأتي بالمشاركة مع مركز ليبيا المستقبل، في 116 صفحة.

الكتاب السادس في هذه المجموعة، هو (كرمة) للقاصة الشابة داليا محمد، ويضم الكتاب مجموعة من النصوص، في 148 صفحة. بغلاف مميز من تصميم الفنان علاء بودبوس.

تحت عنوان (ثورة فبراير.. احلم المسروق) جاء الكتاب السابع في هذه المجموعة، للباحث الدكتور ناجي جمعة بركات، والذي يتناول فيه بالتحليل ثورة 17 فبراير، الكتاب جاء في 408 صفحة.

الكتاب الليبي في الدورة 53 لمعرض القاهرة الدولي للكتاب

انطلقت الدور الـ53 من معرض القاهرة الدولي للكتاب في 26 يناير وحتى 7 فبراير من العام 2022، وشاركت في هذه الدورة 8 دور نشر ليبية، إضافة إلى جناح اتحاد الناشرين الليبيين، وهذه الدور: جامعة عمر المختار، مكتبة الكون للطباعة والنشر والتوزيع، دار مكتبة الوليد، دار الرواد للنشر، دار أويا للنشر، دار الحسام للنشر، دار الفرجاني للنشر، نيولينك الدولية للنشر.

وشهد معرض القاهرة الدولي للكتاب في الدورة الحالية العديد من التعديلات لأول مرة، ومن أبرزها:

اختيار شخصية الكاتب عبد التواب يوسف، شخصية الدورة المرتقبة معرض كتاب الطفل لأول مرة، بالإضافة إلى اختيار يحيى حقي شخصية المعرض.

تعود الفعاليات الثقافية والفنية في هذه الدورة، بعد توقفها بسبب ظروف كورونا في الدورة الماضية.

حجز التذاكر تم «أونلاين» عبر المنصة الرقمية لمعرض الكتاب. بحيث يتم دفع قيمة التذكرة عن طريق فوري أو عن طريق الفيزا، كما تبحث اللجنة المنظمة عدد من الطرق للتيسير على الجمهور.

تحل اليونان ضيف شرف الدورة الـ53 بعد تأجيلها من الدورة الماضية بسبب كورونا.

الرواية الليبية في قائمة البوكر العربية الطويلة 2022

أعلنت الجائزة العالمية للرواية العربية، والتي تعرف بالبوكر العربية، في 24 يناير 2022 عن الروايات المرشّحة للقائمة الطويلة بدورتها للعام 2022، والتي تبلغ قيمة جائزتها 50 ألف دولار أمريكي، حيث تضمنت القائمة 16 رواية صدرت خلال الفترة بين أول تموز/يوليو

2020 وحتى آخر حزيران/يونيو 2021، وجرى اختيارها من بين 122 رواية تقدمت للجائزة.

هذه القائمة شملت رواية (خبز على طاولة الخال ميلاد) للقاص والروائي الليبي محمد النعاس، والصادرة عن دار الرشم.

وهذه المشاركة هي المشاركة الخامسة للرواية الليبية التي بدأت مع الروائي العالمي إبراهيم الكوني وروايته (الورم) في العام 2009، عن طريق الناشر؛ المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت، 2008م وكانت آخرها العام 2020م، برواية (حرب الغزالة) للروائية الليبية عائشة إبراهيم، الصادرة عن مكتبة طرابلس العلمية العالمية، في العام 2019م.

مفتاح العماري في قائمة باوا القصيرة

أعلن الدكتور وال اكيديران أمين عام رابطة الكتاب الأفارقة (PAWA)، في 9 فبراير 2022م، عن مرشحي القائمة القصيرة (المختصرة) للفوز بجائزة باوا للشعر الأفريقي، وهم الشعراء:

عبد المنعم رمضان – عاشق

مفتاح العماري – تحطيب أهل الريح

نسيبة عطا الله – باستضافة من جودو

محمد نقيب محمد علي – خلية الأجنحة

هذه القائمة القصيرة أو المختصرة التي قام على تحكيمها كل من: أشرف أبو اليزيد (مصر)، فاطمة بوهراكة (المغرب)، هي جاءت بعد استلام لجنة الجائزة ما مجموعه 363 مشاركة: بالعربية (88)، والإنجليزية (179)، والفرنسية (88)، والسواحيلية (8)، وكانت القائمة الطويلة قد أعلن عنها في الأول من فبراير الجاري، والتي ضمن 15 اسماً. هذا وستمنح لجنة الجائزة القائمة الفائزة بجوائز قدرها 2000 دولار لكل فئة.

قلب الحريري يصفق ويقول يا رب

عبر حسابه الشخصي على الفيسبوك، أعلن الكاتب الليبي يونس شعبان الفنادي الانتهاء من التجهيزات الفنية لكتابين جديدين للكاتب والشاعر أحمد الحريري، والعمل على نشرهما في الذكرى السابعة لرحيله. وجاء في منشور الفنادي:

(القلبُ يصفق) ... (قولوا يا رب) للحريري.. بحمد الله وتوفيقه... ودعم المحبين والخيرين من الزملاء الأدباء والفنانين والأصدقاء المثقفين ... اكتملت التجهيزات الفنية الإخراجية لكتابين جديدين، أدعو الله أن يوفقنا لإصدارهما بمناسبة الذكرى السابعة لوفاة الفنان والكاتب والشاعر الكبير أحمد الحريري والتي توافق يوم الجمعة 25 فبراير الجاري.

ديوان (القلبُ يصفق) الذي يحتوي على (130) مائة وثلاثين نصاً شعرياً وغنائياً، وكتاب (قولوا يا رب) الذي يحتوي على (84) أربعة وثمانين مقالة صحفيةً.

هذا قليلٌ من إرثٍ إبداعي كبير للفنان والشاعر الراحل نأمل أن يجمع ويصدر كله لاحقاً.

ألف مبروك لجميع محبي الفنان والشاعر الراحل أحمد الحريري. وأتوجه بعظيم الشكر والامتنان للأستاذة الاعلامية نعيمة الطاهر بشكل خاص ولكل من دعمني، وشجعني، وساندني في إتمام هذين المنجزين اللذين يحملان جانبين مهمين في حياتنا: أولهما الوفاء لمبدع ليبي أصيل أسهم في إثراء المشهد الصحفي والفني بالكثير من إبداعاته المتنوعة، وثانيهما هو تجميع وحفظ هذا الإنتاج المتسم بالإبداع بكل ما تحمله الكلمة من معنى، بما يحمله من عذوبة وفطنة وعشق للإنسان وليبيا الوطن.

يتفق الجميع على أن الفنان الكبير أحمد الحريري إنسان مكتظ بالمحبة والنقاء والبهجة، ولأجل ذلك فقد فرح كل من حدثته عن فكرة الإصدار في مهدها ورغبتي خوض تلك المغامرة بكل ما فيها من تعب ومشقة وانشغالات وتحديات، ولم يبخل عليّ أحد بالكلمة الداعمة والمشجعة، فللجميع أهدي هذين الكتابين.. وطيّب الله ثرى الفنان الراحل أحمد الحريري وغفر له.

مجلة أكسيولوجيا تقيم ندوة السياسات الثقافية في ليبيا

برعاية مجلة أكسيولوجيا (الجامعة الليبية الدولية)/ المختبر الليبي للسياسات الثقافية، تقيم الجامعة الليبية الدولية للعلوم الطبية، ندوة (السياسات الثقافية في ليبيا: واقعها وتدابير تطويرها) والمزمع إقامته يومي 7 و8 مايو 2022م.

تهدف الندوة الي التعريف بمفهوم السياسات الثقافية، ورصد واقعها في ليبيا، وتسليط الضوء على اهميتها وأبرز ملامحها، ومؤشرات قياسها، وطرائق تقويمها، ودور مؤسسات المجتمع المدني في تطويرها، كما تهدف الي لفت انتباه صناع القرار والفاعلين الثقافيين الي اهمية تنمية مشروع مقترح وطني لصوغ سياسات ثقافية تنطلق من حاجات المجتمع، وفق مقاربة تشاركية، مواكبة للتغيرات، وتعتمد على بيانات دقيقة. ويطمح القائمون على الندوة إلى أن تمهد لمؤتمر دوري للسياسات الثقافية، يسهم في مراكمة الدراسات في هذا المجال ويعظم اهتمام الوسط الأكاديمي وصناع القرار في قطاع الثقافة بموضوع السياسات الثقافية.

وتدار الندوة مباشرة في حضور الجمهور، وتنقل مباشرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي كما تعرض على الأنترنت بصيغة مرئية وأخري مسموعة، وتنشر الاوراق البحثية في مجلة أكسيولوجيا، بعد تحكيمها وإجازتها للنشر.

ووجه القائمون على الندوة، الدعوة موجهة للراغبين في المشاركة بإرسال ملخص لمشاركتهم في موعد أقصاه: 15 مارس 2022 على البريد الالكتروني AXIOLOGIA@LIMU.EDU.LY

وآخر موقع لتسليم الاوراق البحثية كاملة: 15 أبريل 2022.

انطلاق فعاليات المُلتقى الوطني الرابع للإبداع في دورة "عودة الحياة"

انطلقت مساء الثلاثاء (22 فبراير 2022م) بميدان الشهداء بالعاصمة طرابلس، فعاليات المُلتقى الوطني الرابع للإبداع تحت شعار (عودة الحياة) الذي تنظمه وتشرف عليه وزارة الثقافة والتنمية المعرفية بحكومة الوحدة الوطنية...

بحضور وكيل وزارة الثقافة والتنمية المعرفية، الأستاذ خيري الراندي، وعدد من مدراء المكاتب الثقافية بالبلديات، ومدراء الإدارات بديوان وزارة الثقافة، ولفيف من المثقفين والكتاب والمبدعين.

وأعطى السيد وكيل وزارة الثقافة، رئيس اللجنة العليا للملتقى الإذن ببدء الفعاليات والنشاطات المصاحبة للملتقى، بانطلاق المسيرة الراجلة التي تقدمها علم الاستقلال والفرقة النحاسية لوزارة الداخلية وفرق الفنون الشعبية وفرق المالوف والموشحات والزوايا الصوفية، نحو مسرح الكشاف، مروراً بشارع عمر المختار. وعزفت كل هذه الفرق طوال الطريق أناشيدها وأهازيجها الشعبية والتراثية وسط ترحيب حشد من المواطنين الذين التحقوا بموكب هذه التظاهرة الثقافية التي جسدت التراث الوطني والتنوع الثقافي المحلي.

وعزفت الفرقة النحاسية لوزارة الداخلية فور وصول الموكب إلى باحة مسرح الكشاف، النشيد الوطني إيذانا بانطلاق الملتقى في دورته الرابعة والتي اختارت لها اللجنة العليا شعار "عودة الحياة"، ايماناً بدور هذه المرحلة في عودة الحياة والاستقرار للبلاد بعد سنوات من الحروب والصراعات.

وستتضمن فعاليات الملتقى السنوي الذي يأتي تزامناً مع احتفالات الذكرى الحادية عشر لثورة فبراير، إقامة ندوات ومحاضرات وأمسيات شعرية ومعرض للكتاب ومعرض للصور الفوتوغرافية، ومعرض الفنون التشكيلية، ابتداءً من يوم 23 فبراير ولمدة أسبوع كامل، بمشاركة جميع المهتمين بالشأن الثقافي في مساحة تقدمها وزارة الثقافة ملؤها الوطن والمحبة والسلام.

افتتاح معرض الكتاب ضمن فعاليات الملتقى الرابع للإبداع الثقافي

افتتح وزير الثقافة والتنمية المعرفية بحكومة الوحدة الوطنية، الدكتور سلامة الغويل، صباح الأربعاء، بساحة مسرح الكشاف بطرابلس، معرض الكتاب ضمن فعاليات الملتقى الوطني الرابع للإبداع الثقافي، تحت شعار "عودة الحياة"، الذي تنظمه الوزارة، بحضور عدد من مديري المكاتب الثقافية بالبلديات، ولفيف من المثقفين والكتاب والشعراء والفنانين والإعلاميين والمهتمين بالشأن الثقافي.

وعلى أنغام الأهازيج الشعبية، قص السيد وزير الثقافة شريط افتتاح المعرض، إيذانًا بانطلاق فعالياته والنشاطات الثقافية والإبداعية المصاحبة له.

وتجول الوزير والمثقفون والكتاب وحشد من المهتمين في أجنحة المعرض واطّلع على آخر الإصدارات الثقافية والعلمية المختلفة.

ويشارك في المعرض عدد من دور النشر البارزة والمكتبات والمراكز البحثية والمؤسسات الثقافية والإعلامية المختلفة.

ويصاحب انطلاق المعرض، العديد من الفعاليات والنشاطات الأخرى في مقدمتها مهرجان المالوف والموشحات، ومهرجان المسرح والأغنية الشعبية، ومعرض الصور ومعرض الفنون التشكيلية.



رحلوا عنا..

الكاتب الكبير علي مصطفى المصراتي في ذمة الله

اتنقل الى رحمة الله الكاتب والمؤرخ والأديب والمناضل الليبي علي مصطفى المصراتي، عن عمر يناهز 95 عاما. الأربعاء 29 ديسمبر 2021.

علي مصطفى المصراتي كاتب ليبي ناهض الاحتلال الأجنبي لبلاده وتجاوزت كتاباته الحدود المحلية إلى الآفاق العربية والدولية فترجمت مؤلفاته لاكثر من 5 لغات.

ولد في الإسكندرية سنة 1926م وتلقى تعليمه في القاهرة سنة1933 ثم التحق بالأزهر ونال الشهادة العالية من كلية أصول الدين عام 1946 ثم شهادة التدريس العالية من كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية سنة 1946 عمل بالتدريس بمدرسة الأنباط (المدرسة المصرية) بالقاهرة "شبرا".

اشترك في عدة مظاهرات ضد الإنجليز وأعتقل بسجن قارة ميدان التحق بحزب المؤتمر الوطني برئاسة بشير السعداوي بطرابلس سنة 1948م وسجن ثلاث مرات بسبب مواقفه الوطنية والقومية الرافضة للوجود الأجنبي خلال العهد الملكي على أرض ليبيا وانتخب عضواً لمجلس النواب سنة 1960م وكان صوتاً معارضاً ومطالباً بجلاء القوات الأجنبية الاستعمارية ووحدة البلاد.

نشر إنتاجه في الصحف المصرية ثم الليبية والعربية. ترأس مجلة هنا طرابلس سنة 1954م، ترأس اللجنة العليا لرعاية الآداب والفنون، تولى أمانة اتحاد الأدباء والكتاب بالجماهيرية، تولى مهمة مدير الإذاعة الليبية، أصدر وترأس تحرير جريدة الشعب.

ترجمت أعماله إلى الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، الصينية، الهندية. ومنها أعلام من طرابلس، 1955، لمحات أدبية عن ليبيا، 1965، شاعر من ليبيا (إبراهيم الأسطى عمر)، 1957، جحا في ليبيا دراسة في الأدب الشعبي، 1958، صحافة ليبيا في نصف قرن "عرض وتحليل ودراسة لتطور الفن الصحفي في ليبيا"، 1960، غومة فارس الصحراء صفحة من تاريخ ليبيا، 1960، حفنة من رماد 1964، الصلات بين تركيا وليبيا التاريخية

والاجتماعية، 1968، خمسون قصة، 1983، الجنرال في محطة فكتوريا، 1991، الطائر الجريح، 1995، الأمثال الشعبية،2000.

الدكتور رجب أبو دبوس في ذمة الله

أنتقل إلى جوار ربه الجمعة 11 فبراير 2022م، الدكتور رجب أبو دبوس عن عمر ناهز 78 عاما. بعد رحلة غنية في عوالم الفلسفة.

ولد الراحل في العام 1944م بمدينة بنغازي، والتي درس بها حتى المرحلة الجامعية، ليعود من فرنسا في العام 1977م حاملا الدكتوراه في مجال الفلسفة.

للراحل مجموعة كبيرة من الكتب، إضافة إلى المحاضرات والبرامج الإذاعة.

تدرج في المهام والمناصب، حيث تولى مهام أمانة اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة.

ترجمت نتاجه الفكري إلى عدة لغات، منها الإنجليزية والإيطالية والفرنسي.

تقبل الله الفقيد في واسع رحمته، وألهم أهله وذويه جميل الصبر والسلوان.

الدكتور الطاهر خليفة القراضي في ذمة الله

انتقل الى رحمة الله، فجر يوم الثلاثاء 15 فبراير 2022، الأديب اللغوي النحوي الأستاذ الدكتور/ الطاهر خليفة القراضي.

صدر للفقيد رحمه الله: "ابن زيدون فتى قرطبة المدلل"، "الأسس النحوية والإملائية لغير المتخصصين"، "في الإملاء والترقيم"، "من هنا وهناك، قطوف من الأدب واللغة"، "المختار من أشهر المختارات والمصنفات الشعرية"، "من أعلام صرمان، في جزئين"، "تطبيقات في الأدب المقارن"، صرمان يا أم الربيع الدائم، جمع وتقديم قصائد للشاعر عبد المولى البغدادي"، "القلعة الحزينة، رواية مترجمة للسير وولتر سكت"، "قصر بائع القبعات رواية مترجمة للكاتب أ. ج. كرونين". إضافة إلى العديد من البحوث والدراسات اللغوية والأدبية المخطوطة.



إصدارات..

جنة الغجر

عن منشورات الطيوب، الكتاب الإلكتروني، صدر للقاص والشاعر "محمد إبراهيم الهاشمي" مجموعته الشعرية (جنة الغجر) والذي جاء في حوالي 120 صفحة، وضم 60 نصا شعرياً.

خيول النوم الهاربة

عن منشورات الطيوب، الكتاب الإلكتروني، صدر للكاتب "رشاد علوه المهدي" مجموعته القصصية (خيول النوم الهاربة) والتي جاءت في حوالي 85 صفحة، وضمت 27 قصة قصيرة. وهي باكورة إنتاجه الأدبي، وقد قدم لها بكلمة الكاتب "رامز النويصري".

غريزة الاقتداء

ضمن سلسلة دراسات فكرية، صدر عن دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، بدمشق، كتاب (غريزة الاقتداء – تاريخ ثقافي لبحث الإنسانية عن المعنى) للمفكر الإنجليزي "جيرمي لنت"، بترجمة للكاتب والمترجم الليبي "مأمون الزائدي".

جثة في كيس

عن دار الوليد للنشر والتوزيع، بطرابلس، صدر للكاتب "عماد المدولي" روايته (جثة في كيس)، وهي الرواية الثالثة للكاتب بعد روايتيه؛ روزيل، وصوت من هناك. إضافة إلى كتابه (مواقف ومحطات).

شجون قانونية

صدر للدكتورة "جازية شعيتير" كتابها (شجون قانونية)، عن دار الفضيل للنشر والتوزيع، ببنغازي. والكتاب يضم مجموعة من كتابات الدكتورة "شعيتير"، وهي قراءات نقدية في التشريعات الليبية.

الترجمة ومعضلة الاصطلاح

عن منشورات مجمع اللغة العربية – ليبيا، صدر للدكتور "الصديق بشر نصر" كتاب (الترجمة ومعضلة الاصطلاح Translation and the problem of terminology)، بتقديم للأستاذ الدكتور "سعد عبد العزيز مصلوح".

الوارفة على عروشها

عن دار الجابر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، بنغاوي، صدر للشاعرة عائشة بازامة مجموعتها الشعرية (الوارفة على عروشها)، بلوحة غلاف للفنان عبدالقادر بدر.

أعلام من رواد المدرسة المالكية في ليبيا

عن مكتبة الكون للنشر والتوزيع والطباعة، طرابلس-القاهرة، صدر كتاب (أعلام من رواد المدرسة المالكية في ليبيا) للباحث فرج أحمد كندي؛ والذي يجمع ويعرض لتراجم وسير لكوكبة من علماء ليبيا من رواد مدرسة الإمام مالك الفقهية ممن تتلمذزوا عليه، ومن أخذ عنهم عبر التاريخ منذ دخول أول نسخة من الموطأ إلى إفريقيا على يد الإمام علي بن زياد الطرابلسي المالكي.

شاهقا كالريح.. شهيّا كالعناق

عن دار إمكان للطباعة والنشر، طرابلس. صدرت للشاعرة أميلة النيهوم، مجموعتها الشعرية الثانية (شاهقا كالريح.. شهيّا كالعناق). جاءت لوحة الغلاف للتشكيلي الليبي علي العباني، وبتصميم الشاعر محمد المزوغي. هذا وقدم للديوان الكاتب والأديب الليبي الراحل يوسف الشريف، كما كتبة خاتمته. أما كلمة الغلاف الخلفي فجاءت بقلم الأديب الناقد الأكاديمي د.عمر بن ناصر حبيب.

جريمتك يا قرنفل

رواية (جريمتك يا قرنفل) هو عنوان الكتاب الجديد، للشاعر الليبي سالم العوكلي. وهي رواية مستلهمة من حكايات والد الشاعر عن المعتقل، وألم كل الفاشيات التي مرت بليبيا. الرواية صدرت عن منشورات دار النسيم للنشر والتوزيع، القاهرة.

اليوم العلمي للمؤرخ مصطفى عبدالله بعيو

بالتعاون بين جامعة مصراتة والشركة الليبية للحديد والصلب، صدر كتاب (اليوم العلمي للمؤرخ مصطفى عبدالله بعيو 1921 – 1988م) الذي يجمع بن غلافيه مجموع ما قدم من أبحاث وشهادات أبحاث وأعمال اليوم العلمي حول المؤرخ الراحل مصطفى بعيو المنعقد بكلية التربية، جامعة مصراتة بتاريخ 8 مارس 2018م.

ملف مهترئ

عن دار شطيرة الكتب، صدر كتاب (ملف مهترئ)، وهو يضم مجموعة نصوص مختارة، تتحدث عن حياة المرأة من خلال رؤية 12 كاتبة شابة، هن: محاسن حسن، أسوة الحاسي، فاطمة الربيعي، غيروز اللبار، فاطمة عبدالعزيز، حميدة ماشاءالله، فاطمة البرعصي، ريم الإدريسي، رانيا قاسم، يمني بوجازية، مآب الفيل، نهى عادل.

الربيع والأرض الجرز أيهما لعنة على الآخر

عن دار الجابر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ببنغازي. للدكتور عبدالله علي عمران، كتابه (الربيع والأرض الجرز أيهما لعنة على الآخر). يتناول الكاتب؛ مشاريع النهضة العربية وكيف أن فشلها سواء النظري الفكري أو التطبيقي الخاص بالنظم السياسية التي تبنت تلك المشاريع، كان مقدمة للربيع العربي الذي بدوره لم يحقق التغيير المنشود بسبب ضعف البنية الفكرية وهو ما أدى في النهاية لخسران تجربة التغيير الذي يمكن أن يعتبر الخسارة الأكبر قياسا إلى الخسائر الاقتصادية.

الرسالة

عن منشورات المكتبة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، صدرت رواية (الرسالة) للكاتبة الليبية حنان الهوني، والتي جاءت ضمن قائمة الأعمال التي تم قبولها للنشر بدورة النشر للعام 2020م.

الشعّاليّة

ضمن سلسلة سيرة الوجدان الليبي، صدر الكتاب رقم 1 المعنون (الشعّاليّة... من الريادة إلى هاجس المقام الليبي) للشاعر هليل البيجو، عن دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان،

ببنغازي، والذي يتناول فيه سيرة الفنان الليبي الكبير علي الشاعلية الذي أثرى الحركة الفنية في ليبيا، وكان بحق أحد مؤسسيها الأوائل، كما كان أول من أسمع صوت ليبيا للخارج.

ثلاثون يوما في القاهرة

صدر عن دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان بمدينة بنغازي، كتاب (ثلاثون يوما في القاهرة) للكاتب الصحفي عبدالسلام الزغيبي. ويتناول الكتاب مدينة القاهرة المصرية وجذور تأسيسها التاريخي والدور المحوري الذي لعبته قديما وحديثا كمركز للإشعاع الحضاري والثقافي فضلا عما حظيت به من اهتمام الرحالة والبُحّاث والمؤرخين نظرا لتأثيرها على مجريات الأمور سياسيا واقتصاديا على الصعيدين الإقليمي والدولي.

تاريخ هيرودوتوس

عن منشورات وزارة الثقافة والتنمية المعرفية صدر كتاب (تاريخ هيرودوتوس) للأستاذ الدكتور محمد المبروك الدويب، والذي يعد أول ترجمة عربية كاملة للنص الإغريقي للكتب التسعة من تاريخ هيرودوت.

أزهار بيضاء على تخوم المقبرة

عن منشورات إبييدي، صدر للكاتب والروائي؛ الدكتور صالح السنوسي روايته (أزهار بيضاء على تخوم المقبرة)، وهي الرواية الثامنة للسنوسي.

يوميات رجل محظوظ

(يوميات رجل محظوظ) هو عنوان الإصدار الروائي الجديد، للكاتب والروائي الليبي إبراهيم عبد الجليل الإمام، ضمن منشورات دار المكتبة العربية للنشر والتوزيع. والذي يحاول من خلاله الكاتب الإجابة عن سؤال: كيف تتصرف إذا وجدت نفسك في جزيرة نائية خالية من البشر مع أربعة نساء من جنسيات وثقافات مختلفة؟

وصيتي لبلادي

عن منبر المرأة الليبي من أجل السلام، صدر كتاب (وصيتي لبلادي) للدكتور أحمد الجهاني، بالشراكة مع شبكة الوسط، وتوزيع مكتبة الكون.

نار فارسية

ضمن منشورات جليس، صدر للكاتب والقاص والمترجم الليبي مأمون الزائدي كتاب (نار فارسية) لتوم هولاند. في هذا الكتاب توم هولاند أول "صراع للإمبراطوريات" بين الشرق والغرب. ومرة أخرى يجد أوجه تشابه غير عادية بين العالم القديم وعالمنا اليوم. لا يوجد كتاب شائع منافس يصف مثله تلك الأحداث.

بالبو في ليبيا

عن دار الفرجاني صدر كتاب (كتاب المنفى الذهبي – بالبو في ليبيا.. أضواء وظلال) للدكتور مصطفى رجب يونس، بتقديم للدكتور أندريا بارافيللي؛ أستاذ مشارك في التاريخ المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة فيرارا. إيطاليا.

السنوسيون في برقة

عن دار الفرجاني صدرت الطبعة الثانية من كتاب (السنوسيون في برقة) للباحث ا.ا.إيفانز بريتشارد، ونقله على العربية عمر الديراوي أبوحجلة. وكما هو واضح من عنوان الكتاب، فإنه يركز على تاريخ الطريقة السنوسية وانتشارها بين قبائل البدو في ليبيا.

بداية

عن دار ومكتبة الشعب، بمدينة مصراتة، صدر للقاصة الليبية خديجة رجب رفيدة باكورة أعمالها القصصية، المعنونة (بداية)، بلوحة غلاف للتشكيلية كاميلة أبورويص، وبمقدمة للناقد عبدالحكيم المالكي، أما اللوجحات الداخلية فهي للتشكيلي عبدالحكيم الطليس.

تسونامي

عن دار إمكان للنشر والتوزيع، بمدينة طرابلس. صدر للقاصة والروائية غالية يونس الذرعاني، مجموعتها القصصية (تسونامي).



ختامها مسك

- مفتتح – أم الخير الباروني

مفـتـــح

أم الخـيـر الــباروني

عندما تنفرد بك صفحة بيضاء في انتظار ما قد تخطه عليها، تمتلك أمرك وتأسر نظراتك، تقرأ في بياضها التحدي حينا والاستفزاز حينا آخر، اللين والقسوة معا فيما تحاول أن تشيح بنظرك عن بياضها القاتم في محاولة للنجاة منها، يظل الحرف ملجأً وملاذاً.

ماذا نريد من هذا العالم؟ ماذا يريد العالم منا؟ هل يمكن أن يكون لنا مستقبلا مشتركاً؟ كيف لأبنائنا في زمن الأيباد واللابتوب والألعاب الإلكترونية، زمن صنّاع المحتوى والمدونين والمؤثرين، كيف لهم أن يتشربوا مجدنا الأدبي؟ هل سنراهن على تشبع عقولهم بالإرث الحضاري والإنساني؟ هل سينتج هذا الجيل ومن يأتي بعده من أجيال هوية لها خصوصيتها وتميزها؟ أم أنهم سيذوبون في الهوية الإنسانية والثقافة الكونية؟ كيف لأدب الطفل أن يصنع رجالا تحمل الوفاء للتاريخ وتعبر برؤاها المشرقة الى الغد وتؤسس للعلم والمعرفة؟

إن أدب الطفل يلعب دورا كبيرا في تعزيز ثقافته وتهذيبه ويسهم بشكل أساسي في تنمية الطفل وتربيته. يصلح عقائده وينقي أفكاره ويضبط تصرفاته، يوسع مداركه ويطلعه على الاسس الاخلاقية السوية، يربطه بالقيم وينشئه على تحمل المسؤوليات، وينمي قدرته على التفكير الإبداعي.

فمسرح الطفل بوابة تودي إلى تعميق الوعي واتساع الإدراك للمعنى ولبنة في متن الإلمام والإحاطة، والنصوص الشعرية شرفة مشرعة على اتساع الخيال، والذوق الرفيع، وثراء

الوجدان. والقصص والمجلات تفضي إلى براح المتعة والتشويق وخوض المغامرة ونشوة النصر وتحقيق الأهداف.

ماذا إذا ما اعتمد الطفل على استقاء المعلومة العامة من الانترنت بدلا عن الكتاب، واللغة السليمة يستعاض عنها بلغة القنوات الفضائية، وسمو عواطفه وأحاسيسه بناء على ما تصدره له الالعاب الجماعية على حساب التواصل العائلي وتكوين علاقات اجتماعية.؟

كيف لنا أن نساعد طفلنا على الوعي بذاته وتوطيد علاقته بالآخرين. ماذا علينا لجعل هذا الطفل مميزا ومؤثرا وبنّاءً في المجتمع؟



شارك في هذا العدد:

إبراهيم عبدالجليل الإمام
أسماء القرقني
اشتيوية حسين بن محمود
أمال الهنقاري
أم الخير الباروني
امراجع السحاتي
انتصار بوراوي
حنان الصغير أبوالقاسم
خالد اغبارية
خالد خميس السحاتي
خيرية فتحي عبدالجليل
رامز رمضان النويصري
رياض الدليمي
سعاد يونس
سكينة بن عامر
عبدالله الغزال
عبدالله علي عمران
فراس حج محمد
فردية المصري
قيس عمران اخليف
محمد النعاس
محمد قصيبات
مهند سليمان

من أعمال التشكيلي
الليبي الراحل: عمران بشنة